وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2 بوزريعة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الموضـــوع

البيمارستانات وتطور الطب في العصر الذهبي للخلافة العباسيـة

232-656هـ/847-1258م

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط
شعبة: العالم الإسلامي وقارة آسيا

قائمة أعضاء لجنة المناقشة

أ.د ة / سامية بوعمران رئيساً
أ. د/ بشار قويدر مقرراً
أ.د/ أحمد شريفي عضواً
د/ نور الدين غرداوي عضواً

إعداد الطالب الباحث:
محمود سايح

إشراف الأستاذ:
الدكتور: بشار قويدر

السنة الجامعية: 1434-1435هـ/2013/2014 م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ
وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ رَبِّ هَبْ
لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾

[سورة الشعراء، الآيات:80-83]

كلمـة شكـر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والشكر له شكرا جزيلا يوازي نعمه والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على سيدنا محمد الرحمة المهداة والنعمة المسداة وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعـد:

فإنه أرى لزاما علي أن أتقدم بالشكر والتقدير لكل من له فضل عليّ ومساهمة في إخراج هذا البحث

فأتوجه بخالص الشكر والاحترام لوالديّ أمد الله في عمرهما ومتعهما بالصحة والعافية

فقد كانا خير سند ومعين لي في مواصلة دراستي بدعائهما وصلواتهما.

وأتقدم بالشكر أوفاه وأجزله، والفضل أكبره والعرفان كله لأستاذي الفاضل الدكتور:

بشار قويدر الذي تفضل بالإشراف على إعداد هذه الرسالة وبذل الكثير من الجهد

في سبيل إنبات هذا العمل فكان أمد الله في عمره في إشرافه أبا مشفقا وأستاذا موجها.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى سعادة الدكتور والأب الغالي أستاذنا أحمد شريفي

الذي كان له أطيب الأثر في ترسيخ العزم نحو إستكمال هذا البحث،

وإنّني أدعو الله عز وجل أن يجزيهما عنّي خير الجزاء وأوفاه.

وأتوجه بخالص الشكر والتقدير لكل من أهدى إلي معلومة أو أسدى إليّ نصيحة

وأخص بالذكر جميع أساتذتي في جامعة غرداية والجزائر وجميع شيوخي.

والشكر موصول لجميع الإخوان والزملاء والأصدقاء وخاصة الصديق بلحاج عيسى لخضر.

والإخوة الذين ساعدوني بمدينة أدرار.

وإلى من كانت عونا لي في كتابة هذا البحث. وكل من ساندني أيضا بمؤسسة

خدمات الإعلام الآلي شريف عبد الرحمان –رحمه الله–بمتليلي.

فللجميع من الله الثواب العظيم والأجر الجزيل.

إهـــداء

إلى من إكتحلت عيناي برؤيتهما وأنا في المهد رضيعا أمي وأبي.

إلى كل الإخوة والأخوات والقربى وذوي الأرحام إلى أولادي

بسملة وفاطمة وروميساء ومحمد إسلام،

وأم أولادي، الذين منحوني فرصة الدراسة والبحث.

إلى كل طالب علم.

إلى جميع الأصدقاء والزملاء.

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد من عمال مكتبات وأساتذة.

إلى جميع هؤلاء أهدي لهم هذا العمل كخطوة في مسيرة الكفاح العلمي.

قائمة المختصرات

صلعم: صلى الله عليه وسلم

ق م: قبل الميلاد

م: ميلادية

هـ: هجرية

ج: جزء

تح: تحقيق

تر: ترجمة

تعر: تعريب

ص: الصفحة

مج: المجلد

م س: مرجع سابق

م ص: مصدر سابق

ط: الطبعة

د ت: دون تاريخ

د ب ن: دون بلد نشر

د ط: دون طبعة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أمّا بعد:

من تمام المنّة على هذه الأمة الدّين الإسلامي الحنيف والرسالة النبوية الخالدة فقد حثّ النبي الكريم صلى الله عليه وسلم على العلم والتعلم وحثّ على الطهارة والنظافة وقاية للإنسان وتكريما له. وأوصى بالتداوي والعلاج لمن أصيب بمرض أو علّة ويظهر ذلك جليا في عدة نصوص من أحاديث نبوية وآيات تأمر وتنصح بالتداوي وتأمر بالرفق والشفقة وتدعو إلى البر بالفقراء ومواساة المرضى.

وقد حضي علم الطب باهتمام بالغ من المسلمين في ظل الحضارة الإسلامية، ولقي تشجيعا كبيراً من خلفاء المسلمين وسلاطينهم وملوكهم. وتجلى ذلك في الإهتمام الكبير بإنشاء البيمارستانات (المستشفيات) والإنفاق عليها وجلْب الأطباء الأكفّاء للعمل فيها والسّهر على ديمومتها والقيام بوظيفتها، وتُعَدُّ البيمارستانات دُور المرضى من المظاهر الدالة على تنفيذ هذه الوصايا النبوية الشريفة والرّافد الحقيقي للطب فهي إحدى المنشآت كالمساجد والعمائر والتّكايا والقِباب والمدارس التي شيّدها الخلفاء وأهل الخير عموما خدمة للإنسانية وتخليدا لذكراهم.

كما تعتبر أحد المظاهر الطبيّة التي أبانت التفوق العلمي والتطبيق العَمَلي الذي برع فيه المسلمون وأظهروا فيه تفوقهم الحضاري خلال العصر الوسيط، وكانت رسالة البيمارستانات نبيلة وسامية حيث يُقصَد من ورائها خدمة الإنسان والمجتمع دون مُقابل أو ثمن ولم تكن مهمتها قاصرة على مداواة المرضى بل كانت دوراً للرعاية الإجتماعية ومعاهد علمية لتعليم الطب والصيدلة، حيث تُلقى فيها الدروس النظرية إلى جانب التطبيقات العَمَلية. ويتم اختيار هذه البيمارستانات على قدر عظيم من التنظيم ويصمم بناءها وينظم تموينها وإدارتها وتوقف الأوقاف عليها فتضمن لها استمراريتها وتؤدي خدمات إنسانية خاصة عند انتشار الأمراض والأوبئة والمجاعات ووقوع الكوارث وزمن الحروب.

كما تقوم مقام مدارس الطب فيتخرج منها الأطباء والكحّالون والجرّاحون والمجبّرون ويحتوي كل بيمارستان على خزانة كتب أو مكتبة.

وكان يباشر الطالب مزاولة الطب بعد تلقيه أصوله وهذا بعد أن يجيزه الأطباء النّابهين في زمانه.

ويعد العصر الذهبي للحضارة الإسلامية بين القرن الثالث والسابع الهجري الموافقة ما بين القرن التاسع والثالث عشر ميلادي بحق أرقى العصور في جل الميادين، حيث تميزت بظهور أعلام الفكر والعلم الذين أبدعوا في مجالات مختلفة منها الطب على الخصوص. فبعد أن هضم المسلمون العرب علوم السابقين جاء دورهم للإسهام في الحضارة الإنسانية فأضاءت تلك المصابيح التي أوقدوها دياجير الظلام التي كانت ترفل بها بلاد الغرب، ففي الوقت الذي انحدرت فيه السلطة السياسية، ازدهرت فيه هذه الحضارة الرائدة نقلا وإبداعا، ومحاولة الخلافة العباسية استرجاع هيبتها المفقودة خاصة في بغداد بعد أن سيطر عليها الأتراك والبويهيون واستقلت عنها الولايات والدويلات في أنحاء المعمورة.

ولعل ما حاولت إبرازه واستظهاره هو المزاوجة بين دراسة البيمارستانات وما تعلق بها منذ نشأتها ونظامها وأوقافها وأنواعها والدور المنوط بها في هذه الفترة المدروسة على مدى أربعة قرون من جهة، ومن ناحية ثانية مدى الإسهامات الطبية للعرب والمسلمين والإنجازات الهامة التي قُدّمت في كافة الدراسات الطبية مع تتبع أهم المراحل التي مرّ بها الطب العربي الإسلامي بمشاركة مواطنوهم من الديانات الأخرى، وأبرز العلماء ومؤلفاتهم في هذا الصدد.

ومحاولة الجمع بين الجانبين التاريخي والطبي ليزيد من شمول العرض في الجانب التاريخي والتفاصيل في الجانب الطبي. ممثلا في الجانب الفلسفي المنهجي والتجارب ذات الأصول العلمية والعملية، والدور الديني ممثلا في النصوص الدينية ذات الصلة بالطب.

وقد تعرضت لإشكالية طرحها الغربيون والمستشرقون ألا وهي تطبيق المسلمون والعرب لعملية التشريح على الحيوانات والإنسان، وعرضت بعض النصوص والأدلة التي تؤيد الممارسة الفعلية للتشريح، وأن الأمر لم يكن مجرد إعمال الفكر والحدس وتقليد علماء الإغريق والحضارات الماضية في وصف الجسم وصفا دقيقا وأن علم التشريح ضروري للطب الطبائعي الذي يعالج الأمراض، والطبيب الجرائحي الذي يستعمل الآلات المختلفة لإجراء العمليات الجراحية، كما أشرت لبعض أنواع الأمراض التي كانت منتشرة سواء كانت خفية أو ظاهرة، وكيف فرق الأطباء العرب والمسلمون بين الأمراض المتشابهة في أعراضها وتشخيص الأمراض باستخدام الأسلوب والعلاج السريري الإكلينيكي والتحليل الطبي للإفرازات ومراقبة حالة المريض وتتبع حاجته حتى بعد خروجه من البيمارستان ، كما تعرضت لإشكالية أخرى وهي مدى تأثير الطب العربي الإسلامي في الحضارة الأوروبية ونهضتها.

وقد تم اختياري لموضوع البيمارستانات وتطور الطب في العصر الذهبي للخلافة العباسية وهو موضوع أتشرف به كرسالة ماجستير في الحضارة الإسلامية في العالم الإسلامي وقارة آسيا لأسباب موضوعية ودواعي علمية أُبرزُها فيما يلي:

- يعد الموضوع من الموضوعات الحضارية المضيئة في تاريخنا.
- تسليط الضوء على تطور البيمارستانات في عصرها الذهبي ومدى أدائها لرسالتها الإنسانية.
- التطور والتنظيم في الأساليب العلاجية، والتخصصات الطبية والوظائف العلاجية والتعليمية وهو يكشف لنا عن أمور كالأوضاع الإجتماعية والصحية والتعرف على نوعية الأمراض التي انتشرت آنذاك وطرق علاجها ونوعية الأدوية ومركباتها.
- كذلك التعرّف على الدور العلاجي والتعليمي ومدى خيرية المجتمع الإسلامي ومدى إسهام الدولة والأفراد من أبناء الشعب في مساعدة الفقراء وأبناء مجتمعهم.
- البُعد الإنساني في الطب عند المسلمين.
- خاصية الإنفتاح على الغير ومساهمة أهل الديانات الأخرى ليساهموا بإنجازاتهم .
- أيضاً قناعتي بحاجة الموضوع لمزيد من التعمق والدراسة فهذه الفترة الممتدة على مدى أربعة قرون والتي تعتبر أزهى فترات الرقي الحضاري والفكري لاسيما جانبه العلمي والطبي بصفة خاصة.

ورغم ما قد يتبادر من طول هاته المدة التي تطرقت لدراستها إلا أنه يشفع لي أن تطور الطب عند أسلافنا والأمم الماضية لا يظهر بين عشية وضحاها.

في الحقيقة فإن دراسة البيمارستان وتطور الطب وجهان لعملة واحدة فلا طب بلا مارستان ولا بيمارستان بلا طب وأطباء.

عرجت على مناهج المستشرقين الذين يتصدرون لدراسة الطب العربي الإسلامي في العصور الوسطى وهل تتم دراسة بعضهم من منطلق تعصب ضد الإسلام والمسلمين ولذلك تجد بعضهم يحرص على تأكيد دور أهل الذمة من اليهود والنصارى في المجال الطبي حينذاك ومحاولة التقليل من شأن المسلمين الريادي.

فمن بين الأهداف بيان أن تاريخنا العلمي خاصة في مجاله الطبي يعد في أكثر جوانبه مصدراً للعلم الغربي وأصلاً له من جهة ودحضا لفرية مغرضيه التي تزعم أن علم الطب ظاهرة غربية بدأت باليونان وانتقلت عبر فجوة مظلمة وهي فترة العصور الوسطى المسيحية إلى ورثتهم الشرعيين في مراكز العلم الأوروبية الحديثة والمعاصرة.

-الدراسات السابقة:

لاشك أن مثل هذه المواضيع الخاصة بالطب شدّت إهتمام العديد من الباحثين قديما وحديثا وكانت الدراسات التي قدمت في الغالب حسب إطلاعي تركز إما على جانب البيمارستانات وتقسيماتها وتنظيماتها وفنونها وأنواعها. وهناك دراسات تركز على الجانب الطبي العملي والتطبيقي. وأخرى تركز على إسهامات العرب من خلال دراسة الحضارة بصفة عامة وتختلف هذه الدراسات في دراسة الفترات الزمنية وفي المناطق الجغرافية فكانت أهم تلك الدراسات:

أولا: الدراسات الخاصة بتاريخ البيمارستانات وتقسيماتها وتنظيماتها وأهدافها، فكان أهمها.

1-تاريخ البيمارستانات في الإسلام (أحمد عيسى بك)، دون طبعة، نشر، مؤسسة كلمات عربية، القاهرة، 1432هـ/2011م.تتكون هذه الدراسة من بابين تطرق الباحث فيهما إلى نشأة البيمارستانات ونظامها وأطبائها وأرزاقها، كما تطرق في الباب الثاني لبيمارستانات البلاد الإسلامية بالتفصيل وقد أفادت الدراسة منها كثيرا في التعريف بالعديد من البيمارستانات بالإضافة إلى تراجم لمجموعة من الأطباء.

2-البيمارستانات أوضاعها وأثارها في العصر المملوكي (غادة بنت عبد الله بن عبد الرحمان القبلان)، رسالة مقدمة لنيل درجة ماجستير، الرياض، 1427هـ/2006م.

هذه الرسالة لم ينشر منها إلا المقدمة والخاتمة والمصادر والمراجع، وهاته الدراسة كما يبدوا من عنوانها تهتم بالبيمارستانات ودورها في العصر المملوكي.

أفاد منها البحث خاصة في المصادر والمراجع التي تعنى بالموضوع وبعض الجوانب من المقدمة والخاتمة.

ثانيا: الدراسات التي تركز على العلوم الطبية وعلى جانب التطبيقي العملي:

1-الطب والصيدلة عند العرب (ياسين خليل)، نشر، مطبعة جامعة بغداد، 1399هـ/1979م، هذه الدراسة تناول فيها المؤلف العناية بعلم الطب والصيدلة على أساس الموضوعات والمناهج والأساليب ولم يهتم بالجانب

التاريخي إلا في حدود ضيقة فجاءت دراسته في سبعة فصول ركز فيها على علم التشريح، وعلم الأمراض، وعلم الجراحة والكحالة...وغيرها.

أفادت الدراسة منه في شرح وتفسير بعض هذه العلوم وبعض الأمراض وطرق علاجها.

2-مقدمة في تاريخ الطب العربي (ماهر عبد القادر محمد علي)، ط1، نشر، دار العلوم العربية، 1408هـ/1988م.

تناول المؤلف في هذه الدراسة إسهام علماء المسلمين في ميدان الطب والجراحة والصيدلة، وقد أفاد البحث منه كثيرا لاسيما في التحليل والتفسير الدقيق الذي قام به صاحبه.

3-من إسهامات الطب العربي الإسلامي في العصور الوسطى (محمد مؤنس أحمد عوض)، ط1، نشر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1417هـ/1997م.

أفادت الدراسة منه في بعض إسهامات الأطباء العرب والمسلمين في تطور الطب.

كذلك في نقذ بعض الغربيين الذين حاولوا التقليل والتهوين من نشأة بعض الأطباء المسلمين.

4- الطب والأطباء بالأندلس من منتصف القرن الثالث إلى القرن التاسع الهجريين (من القرن التاسع إلى الخامس عشر الميلاديين) (شخوم سعدي)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف، محمد الأمين بلغيث، 1429-1430هـ/2008-2009م، جامعة سيدي بلعباس.

كما هو ظاهر في العنوان فالموضوع يُعنى بالطب في الأندلس؛ لكن البحث أفاد منه في بعض الجزئيات.

5- أيضا مؤلف شوكت الشطي بعنوان " تاريخ الطب وأدابه وأعلامه"، من أهم ما كتب في هذا الموضوع وقد أفادت الدراسة منه في كثير من الجوانب.

ثالثا: الدراسات التي عنيت بدراسة الحضارة بصفة عامة:

1- المرجع في تاريخ العلوم عند العرب (محمد عبد الرحمان مرحبا)، ط1، نشر، دار الجيل،بيروت، 1419هـ/1998م.

هذه الدراسة من ثلاث عشرة فصلا تكلم عن العلوم بصفة عامة في العصور القديمة، والعلوم عند العرب، وكتب في الفصل الثالث عن الطب وأعلام الأطباء وفي الفصل الرابع تكلم عن الصيدلة وأعلام الصيادلة، وقد أفاد منه البحث في فصله التمهيدي في معرفة الطب في العصور القديمة وأيضا في بعض أعلام الطب عند العرب.

2-الحضارة العربية الإسلامية (علي حسني الخربوطلي)، ط2، نشر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1415هـ/1994م.

تتكون هذه الدراسة من أربعة أبواب. فتكلم في الباب الرابع في مبحث الدراسات العلمية بشيء من السطحية عن الطب عند العرب في الجاهلية وأن هذا الطب يحتوي على بعض الشعوذات مع النصائح بالعقاقير والبيانات وأقرّ أنّ الطب العربي العلمي مأخوذ عن اليونان والفرس وأنهم اهتموا بنشر الثقافة الطبية وبترجمة كتب الأقدميين.

3-وينقل عن المؤرخ الهندي (خودبخش) في كتابة الحضارة الإسلامية، ترجمة، علي الخربوطلي، ط2، بيروت، 1391هـ/1971م، بأن الأمويين كانوا قادة العلوم، وتكلم عن خالد بن يزيد واعتنائه بنقل الطب والكيمياء.

4–قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية (راغب السرجاني)، ط1، نشر، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، 1430هـ/2009م.

فتتكون دراسته من ثلاثة أبواب وجاءت هذه الدراسة عامة شملت جميع العلوم التي لها علاقة بالطب وركز على علماء الطب في الحضارة الإسلامية كما ركز على البيمارستانات الأربعة الكبرى.

وأفاد منه البحث في بعض أعلام الأطباء وبعض الجوانب من هاته البيمارستانات.

زيادة على الموسوعات والكتب والمصادر التي كتبت في المجال الطبي وسنأتي على ذكرها في أوانها.

تلك نماذج مهمة من الكتابات والدراسات ذات الصلة المباشرة بموضوع بحثي هذا من حيث بعض جزئياته مع إختلاف في جوانب أحيانا، وبالجملة فقد أفادت دراستي من مجموع هذه الدراسات بما يملي عليّ الشكر لمن كتبها والدعاء لهم.

– منهج البحث:

بعد جمع المادة العلمية من مظانها المختلفة، تم تصنيفها إلى موضوعات متجانسة ومن تم تمت دراستها وتحليلها ونقدها بموضوعيه حسب إمكانيتي واستعدادي لهذه المرحلة بعدها صغت المادة العلمية بأسلوب علمي مراعيا قواعد اللغة العربية والدقة والترابط بين المعلومات وتسلسل الأحداث وموضحا الحقائق التاريخية وفق المنهج الإستقرائي والوصفي أحيانا، مع التتبع بالمقارنة الممكنة في الميراث التاريخي للعلوم، وتحديد حجم الإنتاج الطبي المحلي والخارجي وذلك بالسعي إلى الإعتدال في التعامل مع الطرح المسلم به لدى بعض الدراسين والباحثين.

- **خطة البحث:**

اقتضت طبيعة الموضوع بما توافر لدي من معلومات ومادة علمية أن يقسم إلى أربعة فصول وخاتمة؛ ثم أتبعتها ببعض الملاحق التي تخدم الموضوع، صدّرتها **بفصل تمهيدي**. يبحث عن ظهور الطب وتطوره عند القدماء فاشتمل على ثمانية عناصر:

أولا:الطب في الحضارة السومرية.

ثانيا:الطب في الحضارة المصرية

ثالثا: الطب عند الصينيين.

رابعا: الطب عند الفارسيين.

خامسا:الطب عند الهنود.

سادسا: الطب عند اليونانيين والإغريق.

سابعا: الطب عهد الإسكندر المقدوني.

ثامنا: الطب عند العرب قبل الإسلام.

ثم جاء **الفصل الأول** بعنوان: الطب في صدر الإسلام والخلافة، الأموية والعباسية، ويشتمل على مدخل ومباحث هي:

المبحث الأول: مشاهير الأطباء والعاملين في العلوم الطبية واشتمل على عنصرين هما الطب النبوي، والطب زمن الخلافة الأموية.

المبحث الثاني: العصر الذهبي للترجمة وتضمن العناصر التالية: أولا: أهم المدارس، ثانيا: دور الخلفاء في تشجيع الطب والترجمة، ثالثا: ترجمة الكتب الطبية.

المبحث الثالث: أعلام الأطباء والصيادلة في العصر الذهبي للخلافة العباسية واشتمل على العناصر التالية: أولا: أعلام الأطباء في العصر الذهبي، ثانيا: أعلام الصيادلة الكيميائيين.

ونتائج الفصل.

ثم عنوت **الفصل الثاني** بالعنوان التالي: نشأة البيمارستانات الإسلامية ونظم عملها وعوامل ازدهارها واشتمل على ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: النظام الإداري والتقسيم الفني للبيمارستانات واحتوى على العناصر التالية: أولا: نظام البيمارستانات، ثانيا: أنواع البيمارستانات، ثالثا: تصنيف البيمارستانات باختلاف أغراضها.

المبحث الثاني: تدريس الطب وإرساء نظام الإجازة وتضمن ما يلي: أولا: التعليم وتدريس الطب، ثانيا: إرساء نظام الإجازة.

المبحث الثالث: دور الرقابة على الأطباء والصيادلة من خلال استدعاء وظيفة المحتسب والحسبة وتضمن ما يلي: أولا: تعريف الحسبة، ثانيا: الحسبة على الأطباء، ثالثا: دور المحتسب على الصيادلة، رابعا: الحسبة على البياطرة. ثم نتائج الفصل.

ثم أدرجت **الفصل الثالث** بعنوان: بيمارستانات البلاد الإسلامية واشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: أشهر البيمارستانات الإسلامية، واشتمل على العناصر التالية: أولا: بيمارستانات الشام، ثانيا: بيمارستانات العراق والجزيرة، ثالثا: بيمارستانات مصر، رابعا: بيمارستانات إيران وبلاد الروم.

المبحث الثاني: الأوقاف التي صرفت على البيمارستانات، واشتمل على العناصر التالية: أولا: تعريف الوقف، ثانيا: البيمارستانات التي تمتعت بالأوقات، ثالثا: أرزاق الأطباء، رابعا: وقف الأطباء.

أما المبحث الثالث فكان بالعنوان التالي: الأثر الإنساني والعلاجي والتعليمي للبيمارستانات، واحتوى على ما يلي: أولا: الأحوال الإجتماعية والإقتصادية، ثانيا: الأثر الإنساني والعلاجي للبيمارستانات، ثالثا: الأثر التعليمي.

المبحث الرابع: أثر الطب العربي على النهضة الأوربية. ثم نتائج الفصل.

وبعد هذه الفصول تأتي **الخاتمة** والتي احتوت على أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة وبعض التوصيات التي أمكن تسجيلها في هذه المناسبة.ثم بعدها ذيّلت ببعض الملاحق التي في رأيي تخدم موضوع البحث.وبعده قائمة المصادر والمراجع، ثم فهرس الأعلام وفهرس لأهم الأمراض وأنواع العلاجات، ثم قائمة المحتويات.

على هذا الأساس إستعنت بالله وبدأت في جمع المادة العلمية اللازمة لهذا الموضوع. واجهتني في البداية بعض المصاعب. فالمادة مبعثرة ومتفرقة في بطون المصادر، وقد استطعت بفضل الله وتوفيقه أن أجمع مادتي العلمية مجتهدا في استقصاء ما وقفت عليه في المصادر من معلومات تخدم الموضوع ومتابعا ما جدّ في كتب المُحدثين، كما كان من بين الصعوبات أن الظروف لم تسعفني للتنقل بين مكتبات الوطن العربي كالمغرب ومصر وسوريا، وتركيا وغيرها، والتي تحتوي على كنوز من المخطوطات الطبية والتي من شأنها أن تثري الموضوع فضلا عن كتب الطب باللغات الأخرى، كالفارسية والعبرية والتركية والتي تصعب قراءتها على من لا يعرف هاته اللغات.

كما أني لم أستطع الحصول على بعض الوثائق التي قد تثري البحث.

ولا نغفل هنا دور المشرف في المساعدة على إزالة الكثير من العقبات.

فيما يخص المصادر يمكن تقسيمها إلى مصادر أولية أو معاصرة لزمن الدراسة، وأخرى ثانوية نقلت عن المعاصرين، ومصادر عُنيت بالتراجم والطبقات ومصادر ذات صبغة موسوعية، كصبح الأعشى في صناعةالإنشا للقلقشندى، أما المراجع الحديثة منها عربية، وأخرى أجنبية معربة، فانصب اهتمامي على المتصل منها بالموضوع.

بالنسبة للمصادر المطبوعة والمتخصصة في الفترة المدروسة فهي كثيرة، وقد شكلت بحق الرافد الأساسي لمادة هذا البحث ويمكن العرض لمجموعة منها: كتاب: " **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**" لابن أبي أصيبعة موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم الخزرجي المتوفى سنة (668هـ/1269م).

فقد اعتمد البحث بدرجة كبيرة على هذا الكتاب في تراجم وأخبار العديد من الأطباء.

ومن المؤلفين في هذا المجال أيضا: إسحاق بن حنين المتوفي سنة (298هـ/911م) وكتابه "**تاريخ الأطباء والفلاسفة**"، فقد أفاد البحث منه في تراجم بعض الأطباء.

أيضا كتاب" **الفهرست**" لابن النديم الذي ألفه سنة (377هـ/988م)، فقد ترجم لجملة من الأطباء في العصور القديمة والوسطى، وقد أفاد البحث منه أيضا في العديد من تراجم الأطباء.

-كتاب " **طبقات الأطباء والحكماء**" لابن داوود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل، ألف كتابه سنة (377هـ/988م)، وهو معاصر لابن النديم، فقد أفاد البحث منه أيضا في تراجم بعض الأطباء والمترجمين لكتب الطب اليونانية وغيرها.

-كتاب: " **تاريخ الحكماء**" لجمال الدين ابن القفطي فقد شمل الكتاب على العديد من الأطباء والحكماء من القديم حتى عصره وأفاد البحث منه في جملة منهم.

كذلك من جملة الكتب التي أفادت هاته الدراسة، الكتب المؤلفة في مجال الطب منها :

-كتاب :" **الحاوي في الطب**" لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (ت 311هـ/923م).

-كتاب:" **العمدة في الجراحة**" لأبي فرج موفق الدين المعروف بابن القف (ت 685هـ/1286م).

-كتاب:" **التصريف لمن عجز عن التأليف**" لأبي القاسم الزهراوي (ولد 936هـ/1013م).

-كتاب: " **منهاج الدكان**" لداوود بن أبي النصر العطّار: (ت 636هـ/1239م).

-كتاب: " **الطب النبوي**" لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت 751هـ/1350م).

وقد أفاد البحث من هذه الدراسات خاصة في الجانب العلمي الطبي وبعض الأمراض والأدوية والعلاجات.

أيضا من المصادر مؤلفات المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت 845هـ/1441م).

كتابه:" **المواعظ والإعتبار في ذكر الخطط والآثار**" و" **السلوك المعرفة دول الملوك**"..و كتاب" **الحسبة في الإسلام**" لابن تيمية وكتاب " **الرتبة في طلب الحسبة**" للشيزري، فقد غطت هذه الكتب بعض الجوانب الخاصة بالبحث.

فضلا عن الكتب التي تُعنى بتاريخ الوفيات والتراجم ككتاب " **الوافي بالوفيات**" للصفدي، وكتاب" **سير أعلام النبلاء**" للذهبي، و" **وفيات الأعيان**" لابن خلكان، فقد أفاد البحث منها في تراجم ووفاة بعض الأعلام من الأطباء.

وكتب المعاجم: " **كالصحاح**" للجوهري، و" **القاموس المحيط**" للفيروز أبادي. و" **لسان العرب**" لابن منظور، و"**مفاتيح العلوم**" للخوارزمي.

أفادت هذه المعاجم في شرح بعض المعاني والكلمات وحتى بعض الأمراض والأدوية و بالبحث.

وقبل أن أختتم حديثي عن أهم المصادر التي اعتمد عليها هذا البحث لا يفوتوني الإشادة ببعض المراجع الحديثة في استكمال بعض الجوانب التي أغفلتها المصادر وأخص منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب" **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**"، وكتاب" **معجم الأطباء**"، كلاهما لأحمد عيسى بك، وكتاب " **الأوقاف والحياة**

الاجتماعية في مصر" لمحمد محمد أمين .

ومن المراجع الأجنبية المعرّبة ، كتاب" **تاريخ الأدب العربي** " لبروكلمان، وكتاب " **الحضارة العربية**" لجاك ريسلر، وكتاب " **شمس العرب تسطع على الغرب**" لزيغريد هونكة، وكتاب " **تاريخ التراث العربي** " لفؤاد سيزكين، أفادت في بعض الجوانب من الدراسة .

وهناك أيضا غيرها من المصادر والمراجع ستدوّن في قائمة المصادر والمراجع.

وأخيراً يطيب لي أن أتوجه بالشكر الجزيل لله أولا علي ما أنعم به عليّ من إتمام هذا البحث وأعانني عليه، ثم الشكر الجزيل وجميل العرفان لوالدي الكريمين متعهما الله بالصحة والعافية والزوجة الكريمة مشجعة ومعينة ولإخواني وكل من له فضل عليّ. وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور: بشار قويدر الذي أسدى إليّ نصحه ثم متابعته المستمرة أثناء بحثي وأرائه العلمية والمنهجية السديدة التي كان لها أكبر الأثر في إنجاز هذا العمل فجزاه الله خير الجزاء.

والشكر موصول لأستاذي الكريم عليّ الأستاذ الدكتور: شريفي أحمد الذي لم يبخل عليّ بالنصح والتشجيع وشحد الهمّة فللّه درُّه.

أيضا أتقدم بالشكر للأستاذة الدكتورة: سامية بوعمران، و الدكتور: نور الدين غرداوي، وجميع أساتذتي فجزاهم الله عني خير الجزاء وأوفره وجعل ذلك في ميزان حسناتهم ونفع الله بهم وبعلمهم.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والعرفان لجامعة بوزريعة ممثلة في كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية وأخص بالذكر قسم التاريخ وطاقمه الذي أتاح لي فرصة مواصلة دراسة الماجستير.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

فصل تمهيدي:

ظهور الطب وتطوره عند القدمـــاء

أولا:الطب في الحضارة السومرية.

ثانيا:الطب في الحضارة المصرية

ثالثا: الطب الصيني.

رابعا: الطب الفارسي.

خامسا:الطب الهندي.

سادسا: الطب اليوناني.

سابعا: الطب عهد الملك إسكندر المقدوني.

ثامنـا: الطب عند العرب قبل الإسلام.

مدخـل:

الطب علم وفن يبحث في العناية بصحة الحي وبنيانه.

ولا يعرف أين نشأ الطب على وجه الدقة وإن كان يرجح أنه وليد بيئات متعددة وأقاليم مختلفة، ثم إن الطب يعتبر من أشرف العلوم وأشدها إتصالاً بالإنسان نظرا لما يعتريه من أمراض وأسقام.

وقد أدى البحث عن العلاج لإزالة هذه الظواهر بدفع الإنسان منذ القدم إلى تجربة شتى الأنواع من النباتات والإفادة من لحوم الحيوانات والعظام وأنواع الأحجار والمعادن بالإضافة إلى ممارسة أنواع الحركات والطقوس الدينية.

وكانت مصادر معرفته الطبية متفرقة، فقد تعلم بالتجربة الصلة بين نوع معين من النبات وحدوث الشفاء بسببه من الأمراض.

كما تعلم بعض السلوكات العلاجية من خلال مشاهداته المتكررة لبعض الحيوانات وما تقوم به من أفعال عندما يعتريها المرض أو تصيب أجسامها الجروح والقروح.

وقد تكون للصدفة في تعاطي نبات معين عند الإصابة بالمرض وحدوث الشفاء بسببه هو السبيل إلى تكرارها والاستفادة منها عند حدوث المرض نفسه.

وقال البعض :«أن الطب هو إلهام بالرؤيا واحتجوا بأن جماعة رأوا في الأحلام أدوية استعملوها في اليقظة فشفتهم من أمراض صعبة ، وشفت كل من استعملها».[1]

«وقال قوم ألهمها الله تعالى بالتجربة ثم زاد الأمر في ذلك وقوي».[2]

ويمكن القول أن جميع الشعوب البدائية في القديم قد احتفظت بمعلومات طبية تناقلتها الأجيال واستعملها الكهان والعرافون ورجال الدين وغيرهم من الذين عُرفوا بمزاولتهم هذه المهنة .

ولم يستطع الإنسان تحقيق أول خطوة كبيرة نحو الخبرة الطبية المنظمة إلا بعد أن تمكن من فصل الخبرة الطبية عن السحر والكهانة والطقوس الدينية.

وقد بدأت رياح التغير تهب على الفكر الإنساني بفضل تراكم المعارف والخبرات التجريبية والطبيعية وما رافق ذلك من نقل للمعارف والخبرات المختلفة بين الشعوب القديمة ذات العقائد الدينية المختلفة.

أولا: الحضارة السومرية: إذا تصفحنا الحضارات القديمة وعلى رأسها الحضارة السومرية والتي يرجح أنها أول حضارة بشرية والتي قامت على ضفاف نهري دجلة والفرات حيث عاشت حوالي ألفي سنة[3] .

[1] **موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق، نزار رضا، ط1، نشر، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1384هـ/1965م، ص 12.

[2] **نفسه**: ص 13.

[3] **محمد عبد الرحمان مرحبا: المرجع في تاريخ العلوم عند العرب**، ط1، 1419هـ/1998م، دار الجيل، بيروت، ص 99.

- وقد عرف عن الطب السومري أنه طب ثيوقراطي يجمع بين الأدوية الطبية والتمائم.

كما يقوم بالرقى بالتعاويذ وأن الآلهة هي مصدر الخير والشر، وأن الأمراض إنما هي دلالات على سخطها ومقتها، كما يمكن أن يصدر المرض عن الشياطين أيضا وبالتالي يكون العلاج بالصلاة والدعاء وتقريب القرابين لإرضاء الآلهة.

لكن هذا لا يمنع وجود اتجاهات طبية معقولة في الطب السومري البابلي.

وكان لكل داء دواء خاص به، وكانت الوصفات تمتاز أحيانا بطابعها العلمي وقد استعملوا بعض التدخلات الجراحية لإبطال الألم، كما استعمل الإنسان الأشوري عند ختان الأطفال وسيلة غريبة للتخدير، وذلك بتعطيل الدورة الدموية للمخ بالضغط على **الشريانين السباتيين** * اللذين يمران بالرقبة وهذا ما يؤذي للشعور بالإغماء. وقد يضرب رأس المريض بخشبة على رأسه لإغمائه.

وقد نص قانون حمّورابي ** على مواد خاصة بالطب والطبيب مما يدل على ممارسة البابليين للجراحة وتجبير الكسور وجراحة العيون، وغير ذلك.

غير أن الأطباء كانوا حتى في هذه الحالات لا يستغنون عن استعمال الوسائل السحرية، إما اعتقادا أو احتراما لتقاليد وإرضاء المريض.

* **الشريان السباتي: يسمى شريان الكاروتين**، ومعناه باليونانية القديمة شريان النوم، أنظر: **عبد الرحمان مرحبا، نفسه**، ص 100.

** **حمو رابي(Hamorabi**)، مؤسس إمبراطورية بابل، وضع مجموعة شرائع تعتبر أقدم ما وضع في هذا الشأن أيام ملكه بين: 1728-1686ق م، أنظر/ **أحمد شوكت الشطي، تاريخ الطب وآدابه وأعلامه**، (د ط) نشر، مطبعة طربين، 1386هـ /1967م، ص 15.

- الطب المصري:

إذا نظرنا للمصريين أهل وادي النيل حيث كانوا مركز الثقل الحضاري والطبي بعد انهيار مملكة سومر، ومما يبين علو كعبهم في الطب، المومياءات التي عثرت عليها في الأهرامات وغيرها من المقابر والتي ما يزال سرها لغزا معلقا يستعصي على علم الطب إلى اليوم.

وكذلك الطب الذي عثر عليه وهو عبارة عن لفافة من ورق البردي والتي يربو طولها على خمسة أمتار ويحتوي على أوصاف لأعراض مختلفة مع ذكر الأدوية المناسبة لمعالجتها، كما يعزى لهم إكتشاف الحقن الشرجيه التي ما تزال تستعمل في حالات الإمساك حتى اليوم، كما اهتموا أيضا بتشريح الجثث[1].

وقد كان لهم فضل كبير في اكتشاف بعض النباتات الطبية التي تساهم في تخفيف الآلام.

وكانت التمائم أكثر شيوعا بين الناس من حبوب الدواء لشفاء الأمراض أو الوقاية منه. إذ كان المرض في إعتقادهم نتيجة للعنة شريرة وتقمص الشياطين للجسم ، وعلى العموم يتضح لنا أن الطبيب المصري كان رجلا مجربا حكيما، وله باع في التشريح. وعلى وظائف الأعضاء، حيث أن اليونانيين تأثروا بهم لاسيما أبوقراط* .

كما تدل الآلات الجراحية التي وجدت على أن الأطباء المصريين كانوا يقومون بعمليات جراحية دقيقة، كما أن العظام المكسورة المرممة أحسن ترميم التي وجدت في المومياءات تدل على تقدم فن التجبير عندهم [2].

---

(1) **محمد عبد الرحمن مرحبا: مرجع سابق**، ص 104.

* **أبقراط**: لفظة تعني القابض على عنان جواده، بمعنى الفارس الماهر، وهو من آل إسقلبيوس ولد في جزيرة قوس سنة460ق م ومات في لاريس، بين سنتي 375 و350 ق م. أول عمل قام به فصل الطب عن الشعوذة. وبناء العلاج على قاعدة ثابتة. كان طبيبا عليما بكل ما في هذه الكلمة من معنى، أنظر/ **شوكت الشطي، مرجع سابق**، مطبعة طربين، 1386هـ/1967م ، ص 70.

(2) **المرجع نفسه**، ص 19.

ثانيا: الطب الصيني:

بدأ الطب عند قدماء الصينيين بالسحر والشعوذة، تم تأسس على الفلسفة وعلم الكون، ثم تطور إلى طب شعبي عماده التجربة والخبرات اليومية وقد عزا الصينيون القدماء حدوث الأمراض إلى الحر والبرد واليبس والرطوبة، وعلى العموم فإن الطب الصيني كان راقياً نسبياً وإن كان يختلط بالدين فهو مزيج من الحكمة التجريبية والخرافات الشعبية.

وقد نبغ أطباء عظماء قبل عهد أبوقراط بزمن طويل. هذا وكانت العمليات الجراحية في الصين شائعة ومعروفة قبل القرن الثالث قبل الميلاد[1].

وقد اخترع الصينيون أنواعا من النبيذ تخدر المرضى لكن الضياع شملها، واستخدموا اللقاح في معالجة الجدري*، ووضعوا الزئبق علاجا للزهري، كما عرفوا العلاج بوخز الإبر منذ زمن طويل[2].

---

(1) **محمد عبد الرحمن مرحبا:مرجع سابق** ، ص 105.

***الجدري**: قروح في البدن تنقط وتقيح.

(2) **شوكت الشطي:مرجع سابق** ، ص 39.

- الطب الفارسي:

فكان من أعمال الكهنة ويمارسونه بمزيج من السحر. ويعتمدون في علاج المرض على الرقى والتعاويذ أكثر منهم على العقاقير، وهكذا نشأ الطب بين رجال الدين وفي كنفهم وتحت رعايتهم.

حتى إذا زادت ثروة البلاد زيادة مطردة تكونت في فارس نقابة للأطباء والجراحين وحدد القانون أجورهم وفقا لمنزلة المريض الإجتماعية.

نستطع القول أن الطب عند الإيرانيين الأوائل كان بدائيا لكن سرعان ما انتقل إليهم الطب من الأقوام التي سكنت الجزيرة العربية من بابليين، وآشوريين، وكلدانيين، ومن الراجح أن يكون هؤلاء نقلوا معارفهم الطبية عن سكان سورية[1].

كما أن الفرس غزو بلاد اليونان والهند ومصر وبابل وكلدان فنقلوا إليهم جميع حضارات البلدان المذكورة وعلومها. ولدى يصح القول أن الطب الفارسي كان أشوريا في بدايته تم أصبح متنوعا في مرحلته الثانية.

مدرسة **جنديسابور** (JOUNDEI SABOUR) وهي مدينة بخوزستان (إقليم بين بصرة وفارس)، وقد كان من أسباب دخول الطب اليوناني بلاد الفرس أن ملكهم سابور تزوج ابنة أورليانوس القيصر فبنى لها مدينة جنديسابور، ومنح الأطباء اليونان الذين رافقوها مكانا لبناء مدرسة، ومستشفى، فانتقل بهذه الواسطة الطب اليوناني من الاسكندرية إلى البلاد الفارسية، وممن استقر في هذه المدينة الطبيب تيودورأوتيودوس (THÉODOR THÉODOSE) مؤلف كتاب في الطب ذكره ابن النديم في فهرسته[2].

هذا ويرى بعض المؤرخين أن مدرسة جنديسابور يرجع تأسيسها إلى كسرى الأول، ومن عوامل إزدهارها، لجوء النسطوريين* إليها من الذين طردهم البيزنطيون من الرُّها** كما ذكر الطبري في تاريخه أن سابور جلب أطباء هنود فأخذ علماؤها عنهم علوم الطب الهندي[3].

---

(1) **شوكت الشطي**: **نفس المرجع**، ص 49.

(2) **نفسه**، ص 53؛ **محمد بن إسحاق بن النديم**:**الفهرست**، تح، ناهد عباس عثمان، نشر، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، 1405هـ/1985م، ص 299.

* **النسطورية**: فرقة من أتباع المسيح عليه السلام، كانت غالبة على الموصل والعراق وخراسان وفارس. والنسطورين رهبان ينسبون إلى نسطور بطريك القسطنطنية (428-430م).انتقلت العلوم من الأشوريين إلى النساطرة واليعاقبة خاصة في زمن العرب وبتشجيعهم. كما انتقلت في الوقت نفسه إلى العرب والمسلمين. أنظر/ **الشطي**، **مرجع سابق** ، ص 16.

** **الرُّها**: بضم أوله والمد والقصر، مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام سميت باسم الذي أنشأها وهو الرُّها بن البلندي بن مالك دعر، بنيت في السنة السادسة من موت الإسكندر(معجم البلدان) وذكرها بعضهم بالفتح الرَّها: وهي أورفا (URFA EDESSE) مدينة بين النهرين أشتهرت بين القرن الثالث والخامس بمعاهدها العلمية فتحها العرب سنة 639 م، أنظر/ **الشطي**، **نفسه**، ص 57.

(3) **نفسه**.

هذا وقد أنشأ أتباع نسطور في سورية وما بين النهرين، وخاصة في الرُّها ونصِّيبين* وحرّان** وفي جوارهما مدارس تدرس باللغات السريانية واليونانية والفارسية وكان لهذه المدارس شأن عظيم كمعاهد علمية في أواخر القرن الخامس بعد الميلاد وألحق بمدرسة الرّها الطبية مستشفيان كبيران وعدت مدينة الرُّهافي ذلك الحين أثينا الشرق[1].

وقد كان لوجود الكثير من العلماء في جنديسابور أثر على حركة التعليم والثقافة والترجمة وممارسة العلوم الطبية، حيث غصّت المدينة بالعلماء اليونانيين والسريانيين والمسيحيين النساطرة والفرس الهنود، مما جعل هذه المدينة أهلا لأن تكون أكبر مركز للعلوم والثقافة وممارسة المهن الطبية عبر البيمارستانات[2]*** (المستشفيات).

---

* **نصيبين:** من أعمال ما بين النّهرين وتقع في الرقعة التي تخلت عنها فارس لروما سنة 298م، وقد حصنها الرومان تحصينا قويا نظرا لموقعها الهام على الطريق الرئيسي بين شمال ما بين النهرين وبين دمشق.

** **حرّان:** بتشديد الراء: كانت مدينة مشهورة وهي كل طريق الموصل والشام والروم، فتحت أيام عمر ابن الخطاب- رضي الله عنه- على يد عياض بن غنم؛ أنظر: **أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام،** نشر، مؤسسة كلمات العربية، مدينة نصر، القاهرة، 1432هـ/2011م، ص 140.

(1) **أحمد شوكت الشطي : مرجع سابق** ، ص57. ويقول ابن خلكان فيما نقله عن الجوهري: « وحران اسم بلد والنسبة إليه حرنان، على غير قياس، والقياس حراني على ما عليه العامة »؛ أنظر: **شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،** تح: إحسان عباس، 8 أجزاء، دار صادر، بيروت، لبنان، 1392هـ/1972م، مج1، ص 315.

(2) **محمد نزار خوام وآخرون: تاريخ العلاج والدواء في العصور القديمة، العصر الإسلامي، عصر النهضة في أوروبا،** دار المريخ للنشر، الرياضي، 1410هـ/1990م، ص52.

*** **البيمارستانات:** كلمة فارسية مركبة من كلمتين: بيمار: بمعنى مريض، وستان: بمعنى مكان أو دار المريض وتختصر أحيانا إلى مارستان. أنظر/ **أحمد عيسى بك، مرجع سابق،** ص 70.

-الطب الهندي:

لم يكن الطب الهندي متخلفا عن الطب الصيني، حيث أننا نجد أن أطباء الهنود يعرفون خواص الأربطة العضلية ورتق العظام، والجهاز اللمفاوي والضفائر العصبية، كما فهموا عمليات الهضم فهما يثير الإعجاب، كما وصفوا تطور الجنين.

غير أن الخطأ الذي وقعوا فيه هو أن القلب هو مركز الشعور وأداته وأن الأعصاب إنما تصعد من القلب وتهبط إليه،كما أننا نجد في مدوناتهم جدولا طويلا بأسماء أمراض مقرونة بأعراضها لكنك تجدها محاطة بكثير من السحر والطلاسم[1]، ويذهب الطب الهندي القديم إلى أن المرض يكون سببه اضطراب العناصر الأربعة وأن الشفاء إنما يكون بالعلاج بالأعشاب والتمائم السحرية لإزالة هذا الاضطراب.

كما أن الماء بحسب الطب الهندي هو خير علاج لمعظم الأمراض.

ورغم تحريم البراهمة لتشريح جثث الموتى، فقد كان بعض أطبائهم ينصح بذلك لتدريب الجراحين على أعمال الجراحة، إذ أن للهنود شهرة في صنع أنواع من الترياق تمنع من تأثير السموم في البدن، كما أشاروا إلى أثر البعوض في إحداث الملاريا* قبل أن يصبح ذلك حقيقة بمئات السنين.

هذا وقد اعترف الخليفة هارون الرشيد بالتفوّق العلمي والطبي للهنود، واستدعى أطبائهم لتنظيم المستشفيات ومدارس الطب ببغداد.[2]

---

(1) **محمد عبد الرحمان مرحبا**: **مرجع سابق**، ص 108.

(2) **نفسه**، ص ص 109- 110.

*الملاريا: الحمى الصفراوية ثلاث(غب دائرة، غب لازمة، ومحرقة)

ثالثا: الطب اليوناني:

إن معرفة اليونانيين بالطب كانت أول أمرها لا تعدو مستوى المعرفة المنتظرة من أناس أذكياء ذوي خبرة في الحروب وجرحاها، وطرق علاج الجروح، ومعرفة خواص الإغماء، وأعراض التشنج الذي يصيب الإنسان عند الاحتضار.

ويمكن أن نقسم الطب اليوناني إلى زمن ما قبل هوميروس*، ويناسب ذلك زمن إسقلبيوس** (إله الطب)، وقد وجد في رومية هيكل إسقلبيوس [1]، وإلى زمن أبوقراط فزمن إسكندر الأكبر وأخيرا زمن جالينوس، وبيّن هوميروس أن الطب منه باطني وجراحي، وقد اشتهر في عهده نساء طبيبات.

أما أبوقراط: فقد اعتمد في طبه على القياس والتجربة، ولا أشباح ولا أرواح ولا شياطين في الطب الأبوقراطي، لذلك لجأ في علاجه استخدام المسهلات والمقيئات والمنعشات، والكمادات، كما استعمل الفصد والحجامة والتدليك والحقن الشرجية، واستعان بالحمية والمراهم، والمياه المعدنية، ونصح بالصوم والاستحمام، والرياضة وغيرها، وتتجلى عبقرية أبوقراط في ملاحظاته الدقيقة وأحكامه المعتدلة، وبعده عن الشطط الفلسفي وعلّم علمه للغرباء وكان بذلك أول مؤسس لمدرسة طبية، كما يقال أنه أول من أوجد مستشفى.

يقول ابن أبي أصيبعة:« ويقال أنه أول من جدد البيمارستان» [2]، الذي وضعه وأنه سكن بحمص الشام، وكان يعتقد أن الأمزجة أربعة: دموية، وبلغمية، وصفراوية، وسوداوية، واشتهر أبوقراط بالقَسَم الذي وضعه وطلب من كل طبيب أن يتمسك به***.

ومن حكم أبوقراط كما يروي الشهرستاني:« أبوقراط واضع الطب الذي قال بفضله الأوائل والأواخر، وكان أكثر حكمته في الطب وشهرته به، وقال: أستهين بالموت فإن مراراته في خوفه"، وقال أيضا:" يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فإن الطبيعة متطلعة إلى هوائها ونازعة إلى غذائها» [3].

* **هوميروس**: شاعر إغريقي عاش حوالي السنة الألف قبل الميلاد، وهو مؤسس الشعر الروائي يصف الإنسان وصفا واقعيا، ويأتي على ذكر أجزاء كثيرة من الجسم في وصف الجراح، أنظر/ **شوكت الشطي**: **مرجع سابق**، ص 69.

** **اسقلبيوس**: تلميذ هرمس المصري، واسقلبيوس في اللسان اليوناني مشتق من البهاء والنور. أنظر: **أبو داوود سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل**، **طبقات الأطباء والحكماء**، تح: فؤاد سيد، ط2، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م، ص 11. وقد اتخذ الأطباء شعار اسقلبيوس الطبي وهي العصا والثعبان، رمز الطب.

(1) **ابن أبي أصيبعة**: **مصدر سابق**، ص 44.

(2) **نفسه**: ص 47.

*** عن قسم أبقراط. أنظر الملحق (06) .

(3) **أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ابن أبي بكر أحمد الشهرستاني**: **الملل والنحل** ، تح: أمير علي مهنا، وعلي حسن فعود، جزءان ،ط5، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1416هـ/1992م، ج2، ص 432.

أما المسيح عيسى بن مريم –عليه السلام– فقد كان من معجزاته مداوات المرضى، فيقول تعالى فيه: ﴿ وَتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي ﴾[1]

– أما الطب عهد الملك إسكندر المقدوني:

كانت مدينة الإسكندرية* في القرن الثاني بعد الميلاد، حاضرة العلم والطب واشتهرت في هذا الزمن مدرسة الإسكندرية التي توافد إليها العلماء وأرباب الصنائع، وعدد من الأطباء وجعلوا من الإسكندرية مدينة علم تشع نور المعارف إلى الأقطار والمعمورة.

ومن هذه المدرسة تخرج جالينوس الذي برع في الطب ووصف تشريح بعض الأعضاء، كما جدد علم أبوقراط وشرح كتبه، إذ كان له بمدينة روما مجالس علمية يحاضر فيها، وله كتب كثيرة حوالي الخمسمائة وتشمل على جميع فروع الطب وبعض ميادين الفلسفة هذا وقد شيد جالينوس صرح الطب باستدلال فلسفي رائع وطرق دقيقة صب فيها جميع معارف عصره والعصور السابقة له، وحقق هدف الفلاسفة الكبار قبله من أمثال أفلاطون، وأرسطو وأفلوطين وغيرهم، ومن الذين يقولون بنظرية الأخلاط الأربعة** وينتصرون للاستدلال المنطقي على التجارب السريرية (الإكلينيكية)، على غرار أبوقراط، فنجد جالينوس يفتعل التعاليل والتفاسير ليرد جميع الأمراض إلى اختلال في تلك الأخلاط، وبقي هذا النظام الجالينوسي جاثما فوق الأذهان حتى جاء العرب[2]، ورغم هذا الاتجاه الفلسفي لجالينوس في الطب فإن الرجل كان دقيق الملاحظة، كما أنه لم يخل من الميل إلى التجربة من حين لآخر، فقد استعمل التشريح للموتى والأحياء على السواء، وألف كتابا في ذلك.[3]

كما أجرى تجارب عدة على قطاعات مختلفة من النخاع الشوكي، وتمكن من وصف بعض الأورام الخبيثة بدقة شديدة، وكان هو من أطلق عليها اسم السرطان Cancer.[4]

يقول عنه ابن القفطي:« الحكيم الفيلسوف الطبيعي اليوناني من أهل مدينة فرغاموس من أرض اليونانيين إمام الأطباء الإطار في عصره ورئيس الطبيعيين في وقته ومؤلف الكتب الجليلة في صناعة الطب وغيرها....».[5]

أهم مؤلفاته:" كتاب التشريح الكبير"و" كتاب علم وظائف الأعضاء".

---

(1) **سورة المائدة**، الآية 110.

* **خطط الإسكندر**، مدينة الإسكندرية نحو ثلاثين قبل الميلاد ولم تلبث أن صارت أجمل مدن وادي النيل، وأزخرها بالعلماء، ويعود السبب في ذلك إلى صفات إسكندر المقدوني العالية ومزاياه السامية، أنظر/ **شوكت الشطي، مرجع سابق** ، ص 84.

** تتبنى هذه النظرية وجود أربعة أخلاط في الجسم وهي: الدم والبلغم (من المفروض أنها دماغية المصدر)، والصفراء (مفرزة من الكبد) ، والسوداء (يفترض أنها تأتي من المعدة والطحال spleen)، فالدم حار ورطب، والبلغم بارد رطب، والصفراء حارة وجافة بينما السوداء باردة جافة. فسلوك أي شخص ومرضه له علاقة بمدى سيطرة أحد هذه الأخلاط في عملية الإستقلاب، أنظر/ **محمد نزار خوام، مرجع سابق**، ص 43.

(2) **محمد عبد الرحمن مرحبا: مرجع سابق** ، ص ص 120-121.

(3) **ابن جلجل:مصدر سابق** ، ص 42.

(4) **محمد عبد الرحمن مرحبا : مرجع سابق** ، ص 122.

(5) **جمال الدين ابن القفطي: تاريخ الحكماء**، نشر، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، 1321هـ/1903م، ص 122.

– الطب عند العرب قبل الإسلام:

يقول ابن خلدون : « إن آثار العرب الذين أسسوا مدنيات قديمة راقية تدل على أن الطب لابد وأن يكون قد ساير تلك المدنيات وأنه كان راقيا مثلها، ولكن لم يصل إلينا شيء من أخباره وكل ما نعلمه عن الطب العربي قبل الإسلام هو طب عرب الجاهلية، حيث كان لهم طب وافر من معرفة الطب المبني في غالب الأمر على تجارب قاصرة ووصفات متوارثة عن مشائخ الحي، وعجائزه، إلا أنه ليس على قانون طبيعي ولا عن موافقة المزاج». (1)

وربما صح منه البعض وتستخدم فيه بعض العقاقير والأدوية من نباتات وأغذية ومعادن وأشربة خصوصا العسل الذي يمثل قاعدة العلاج في أمراض البطن، كما يستعان بالجراحة والفصد والكي، والحجامة، وكل هذه الأعمال مقرونة بالسحر والخرافات.

وأُضِيفَ إلى ذلك كله بالتدرج عقائد ومعارف وافتراضات صحيحة، وغير صحيحة مثل الشبه الموجود بين الإنسان والعالم الأكبر، وتأثير النجوم والكواكب والأجرام السماوية، وعبادة الأرواح والإعتقاد بتناسخها وعودتها للأجسام والإيمان بوجود الجن والشياطين والأرواح الخبيثة وحلولها في بدن الإنسان وتسببها للآلام المبرحة فتكوّن من مجموع ذلك كله نوع من الطب.

وقد كان جماعة من الشيوخ المجربين ومن بعدهم أبنائهم والمتصلون بهم ممن كانوا يشاهدون التجارب، والمعالجات التي يقوم بها الشيوخ كانوا يقومون بعلاج المرضى وهؤلاء يمكن اعتبارهم أطباء تلك الحقب.

كان عدد قليل من العرب ممن درسوا الطب في البلاد المجاورة لجزيرة العرب لاسيما في إيران يزاولون مهنة الطب بين قومهم منهم: الحارث بن كلدة الثقفي الذي درس في مدرسة جنديسابور وعرف الداء والدواء، ثم تعلم أيضا بفارس واليمن وبقي أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأيام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب ومعاوية – رضي الله عنهم–، وقال له معاوية: " ما الطب يا حارث؟ فقال: " الأزم". *(2)

كما روى محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال:مرض سعد وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم...ثم قال للحارث بن كلدة عالج سعدا مما به فقال: والله إني ولأرجو شفاءه فيما معه في رحله، هل معكم من هذا التمر العجوة شيء فقالوا: نعم،فخلط له التمر بالحلبة ثم أوسعها سمنا ثم أحساه إياه فكأنما نشط من عقال. (3)

(1) **عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة المسماة " ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"**، تح: خليل شحادة، نشر: دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، 1432هـ/2010م، ص 491.

* **الأزم**: الجوع.

(2) **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق** ، ص161.

(3) **جمال الدين ابن القفطي: مصدر سابق**، ص 162.

ومن أطباء العرب ابن أبي رمثة التميمي.كان طبيبا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان جراحا معروفا[1]، وزينب طبيبة بني أود، وقد اشتهرت بمعالجة الرمد والجراحات [2].

أضف إلى هؤلاء لقمان الحكيم الذي جاء ذكره في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ**﴾[3].

والشقيقان: داميان وكوسم عاشا في سوريا وخبرا الطب والصيدلة وعالجا المرضى، وزهير بن جناب بن هبل الحميري كان حازي* قومه وطبيبهم.

وابن حذيم** : كان له قدم راسخة في الطب، وكان أطب من الحارث بن كلدة وكان أطب العرب [4].

وبنت عامر بن العدواني: كان أبوها سيدا في الجاهلية وكانت من حكيمات العرب [5].

هناك أسرة بكاملها توارثت دواء الكلب*** ، وهي أسرة الأسود بن أوس بن الحمّرة. حيث علّمه إيّاه النجاشي ملك الحبشة حين قال له: « لأعطينّك شيئا يشفي من داء الكلب»[6].

---

(1) **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق،** ص 170.

(2) **نفسه:** ص 181.

(3) **سورة لقمان،** الآية 12.

* **الحازي**: الكاهن.

** **الحذيم**: الحاذق.

(4) **أحمد شوكت الشطي: مرجع سابق،** ص 124.

(5) **نفسه:** ص 125.

*** **الكَلْب الكَلِب**: الذي يُجنُّ ويكلَب ويمتنع من الأكل ويهرب من الماء وإذا عضّ إنسانا صاحب به أعراضا رديئة وصار يفزع من الماء ومن كل شيء رطب إلى أن يموت عطشا، أنظر/ **الخوارزمي، مفاتيح العلوم،** تح: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1409هـ/1989م، ص 185.

(6) **أبو عمرو بن بحر الجاحظ: كتاب الحيوان،** تح، عبد السلام محمد هارون، 8 أجزاء، ط2، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، ج2، 1385هـ/1965م، ص ص 10-11.

خلاصة الفصل:

منذ خلق الله هذا الإنسان فهو بطبعه يلجأ إلى حفظ صحة بدنه والوقاية من الأمراض، وكان من ذلك الطب البدائي تُعالج به الأمراض دون معرفة طبائعها، وتوصف الأدوية غالبا على نتائج تجريبها وقد توارثه البعض من الناس ومزجوه بالخرافات، أما مواطن العلاج فكانت غالبا في المعابد والهياكل وما تحرر الطب إلا بتحرره منها، وكان لشعوب الحضارات القديمة طب كما هو عند البابليين والآشوريين والكلدانيين والفنيقيين والمصريين القدامى.

ودُوّن في شرائعهم كما وجد في البرديات، وقد مارسوا الجراحة وعرفوا مبادئ التبنيج وعالجوا الكسور، وبرع بعضهم في التحنيط.

كما عرف الصينيون والهنود الطب، حيث بدأ بالسحر والشعوذة ثم تطور إلى طب شعبي عماده التجربة والخبرات اليومية، وقد عزا الصينيون القدماء حدوث الأمراض إلى الحر والبرد واليبس والرطوبة ، كما نجد الطب عند الهنود حيث لم يكن متخلّف عن الطب الصيني، فقد عرفوا خواص الأربطة العضلية ورتق العظام، والجهاز اللمفاوي، وفهموا عمليات الهضم، إذ نجد في مدوناتهم جدولا طويلا بأسماء أمراض مقرونة بأعراضها غير أنها محاطة بكثير من السحر والطلاسم، ويكون الشفاء بالعلاج بالأعشاب والتمائم السحرية.

ونجد الطب عند الفرس بدائيا لكن سرعان ما انتقل إليهم طب الأمم التي سكنت الجزيرة العربية، فنقلوا علومهم وأصبح الطب متنوع في مرحلته الثانية.

أما الطب الروماني أو في الإمبراطورية الرومانية فقد إحترفه العبيد في بادئ الأمر ولم يكن ذا قيمة في نظر الرومانيين، غير أنه وبعد ما قصد روما أطباء يونانيون ومصريون وألحق الأطباء بالجيوش وصار لكل مدينة طبيبا حكومي، بدأت الأمور تتطور واعتنق أطباء روما نظرية الأخلاط الأربعة، واعتمدوا في علاجهم ومعالجتهم الدوائية والوقائية على الوسائل الطبيعية، وأصبحوا يجرون العمليات الجراحية حتى أنه يقال أن العمليات القيصرية تنسب إليهم.

كما نخلص أن الطب اليوناني قد امتزج كثيرا بالفلسفة، وقد سيطرت هذه المفاهيم على المعالجات الطبية، حيث أنها أعاقت قيام منهج علمي تجريبي صحيح عند اليونانيين، غير أننا نجد طبقة من الأطباء التجريبيون وهم من يعرفون بالشكاك التجريبون، ونجد منهم أبوقراط وجالينوس، حيث كانوا يطبقون هذا المنهج في دراساتهم وأبحاثهم لكنهم لم يندفعوا في هذا الطريق اندفاعا كاملا لأن اليونانيون كانوا ينظرون إلى الفلسفة على أنها العلم الأعلى وهي تعتبر عندهم مرتبة فوق الطب، بحيث أن الفلسفة تقوم على أسس ثابتة لا يرقى إليها الشك، وبالتالي لا يجوز للطبيب أن يجادل في هذه الأسس مهما كانت شهاداته وتجاربه وعلمه مخالفة لها.

كما أن الكائنات تعتبر عندهم مؤلفة من أربعة عناصر وهي:التراب، والماء، والنار، والهواء، وتحتوي على قوى كاشفيها وهي:اليبوسة، والرطوبة، والحرارة، والبرودة.

ويعتقدون أن الأمزجة أربعة: دموية، وبلغمية، وصفراوية، وسوداوية وأنها ناتجة من سيطرة أحد العناصر الأربعة وهي الدم، والبلغم، والصفراء والسوداء.

كما يعتقدون أن كل الأمراض والعلل يرجع تفسيرها إلى هذه الكليات ولا يتم الشفاء والعلاج إلا من قبلها.

الفصل الأول:

الطب في صدر الإسلام والخلافة الأموية والعباسية

المبحث الأول: مشاهير الأطباء والعاملين في العلوم الطبية

أولا: الطب النبوي

1- أحاديث نبوية في التداوي

2- من هديه صلى الله عليه وسلم في معالجة بعض الأمراض

ثانيا: الطب زمن الخلافة الأموية

1- حركة الترجمة في العصر الأموي

2- أعلام المترجمين

المبحث الثاني: العصر الذهبي للترجمة

أولا: أهم المدارس التي اتصلت بالخلافة الإسلامية

ثانيا: دور الخلفاء في تشجيع الطب والترجمة

ثالثا: ترجمة الكتب الطبية

المبحث الثالث: أعلام الأطباء والصيادلة في العصر الذهبي للخلافة العباسية

أولا: أعلام الأطباء

ثانيا: أعلام الصيادلة الكيميائيين

نتائـج الفصل الأول

مدخل

لقد كان فضل الإسلام على تطور العلوم كبيرا نظرا لما احتوت عليه مبادئ الشريعة من توجيهات وأسس عامة وضعت الإنسان على الطريق نحو بناء حضارة جديدة، فتحت أمامه جميع الأبواب نحو طلب المعرفة باستخدام الحس والعقل، دون الأساطير والأوهام والخرافات وقد قام ضمن هذه الحضارة نظام متميز ونظام طبي امتد بعده قرون، ويعود الفضل إلى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في تحقيق الأهداف التي تضع المعرفة الطبية في المكان المناسب من المعرفة العلمية وذلك بالفصل التام بين الطب من جهة والسحر والكهانة من جهة أخرى وذهب الإسلام إلى تحريم القيام بالسحر والكهانة والدعوة إلى تكفير من تعامل بها وبذلك يكون قد مهّد الطريق أمام الأطباء لممارسة أعمالهم بمعرفة وإجراءات طبية فقط.

كما حث المسلمين على الإهتمام بصحة أبدانهم وضرورة اللجوء إلى الأطباء عند الإصابة بالمرض، كما أكد على النظافة والطهارة والرياضة والفروسية والإلتزام بالفروض والعبادات والإبتعاد عن المحرمات لأنها ضارة بالجسم.

كما أشار القرآن الكريم إلى معلومات تشريحية وفسيولوجية توجه الطبيب إلى مزيد من المعرفة الطبية والتعمق فيها من ذلك قوله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ {1} يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ {2} وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ {3} كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ {4} يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى** ﴾[1].

كما تشير الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة إلى إهتمام الرسول الكريم بصحة الإنسان المسلم والوقاية من الوباء والأمراض، وظهرت بالفعل مؤلفات طبية تحت اسم " الطب النبوي"* .

حاول مؤلفوها إستقصاء وجمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله بصدد الصحة والوقاية من الأمراض وطرق علاجها.

---

(1) **سورة الحج**: الآية"1-5"، ص 322.

*من أشهر مؤلفاته ما وضعه كل من: **شمس الدين محمد ابن أبي بكر ابن قيم الجوزية** ت (751هـ/1350م)، **كتاب الطب النبوي، وشمس الدين أبو عبد الله الذهبي** ت (746هـ/1345م) وغيرهما.

المبحث الأول: مشاهير الأطباء والعاملين في العلوم الطبية

أولا:الطب النبوي:

يشتمل الطب النبوي على مجموعة من الأحاديث تعود إلى ثلاثمائة سنة تقريبا جرى جمعها في كتاب عنوانه " طب النبي" (1)، تتناول بعض العلل كالصداع والرمد والجذام* والحمّى واستطلاق البطن وذات الجنب** .

كما تتعرض أيضا لبعض طرق التداوي التي أجملها الرسول صلى الله عليه وسلم في شربة عسل أو شرطة محجم أو لذعة بنار أو تناول لبن النوق واستخدام الإثمد*** والكمأة♦ للعين والحبة السوداء وغير ذلك، كما تشتمل على مجموعة من النصائح الهامة كالحث على المداواة والإعتدال في الطعام والشراب والإهتمام بالنظافة والطهارة والإجراءات الوقائية التي تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على دراية تامة بطب النفوس والأبدان، ومع أنه ليس من مهمات الأنبياء عليهم السلام أن يعلموا الناس الطب ولا القيام بإيضاح العلوم الكونية؛ حيث إن ذلك متروك لجهود البشر وتجاربهم وأبحاثهم العلمية(2)، وهنا نورد رأي ابن خلدون الذي قال:« أن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما بعث ليعلمنا الشرائع، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات، وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع، فقال:« **أنتم أعلم بأمور دنياكم**» فلا ينبغي أن يحمل شيء من الطب الذي وقع في الأحاديث على أنه مشروع، فليس هناك ما يدل عليه، إلا إذا استعمل على جهة التبرك، وصدق العقد الإيماني؛ فيكون له أثر عظيم في النفع، وليس ذلك من الطب المزاجي وإنما هو آثار الكلمة الإيمانية، كما وقع في مداواة المبطون بالعسل ونحوه، والله الهادي إلى الصواب لا ربّ سواه »(3).

في الحقيقة فإن عبارة ابن خلدون هذه تعطي فرصة لبعض الحاقدين الذين حاولوا التقليل من أهمية الطب النبوي.

(1) **جاك ريسلر**: **الحضارة العربية**، تعريب، خليل أحمد خليل، ط1، نشر، عويدات، بيروت، باريس، 1413هـ/1993م، ص 195.

* **الجذام** : علة تعفن الأعضاء وتشنجها وتقرحها وتبح الصوت وتمرط الشعر، أنظر/ **الخوارزمي**، **مصدر سابق** ، ص 184.

** **ذات الجنب**: وجع تحت الأضلاع ناخس مع سعال وحمى، أنظر/ **الخوارزمي**: **نفسه**، ص 187.

*** الأثمد: نوع من الكحل، وجاء فيه حديث ابن عباس مرفوعا : « إكتحلوا بالأثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر» أخرجه الترمذي وحسنه واللفظ له. أنظر/ **أحمد ابن علي ابن حجر العسقلاني**، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تح: عيد العزيز بن عبد الله بن باز، 13 جزء، نشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1379هـ/1960م، ج 10، ص157.

♦الكمأة: كان عليه الصلاة والسلام يقول: « الكمأة من المن الذي أنزله الله عز وجل على موسى، ماؤها شفاء للعين»، حديث رقم: 1476، أنظر/ **زكي الدين عبد العظيم المنذري**، **مختصر صحيح مسلم**، تح، محمد ناصر الدين الألباني، ط1، دار بن عفان للنشر، المملكة العربية السعودية، 1411هـ/1991م، ص 382.

(2) **راغب السرجاني**: قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر، القاهرة، 1430هـ/2009م، ص 29.

(3) **ابن خلدون**: **مصدر سابق**، ص491.

أما ابن القيم: ففي معرض كلامه عن هدي النبي صلى الله عليه وسلم في معالجة المرض وبعد أن يقسم المرض إلى نوعين: مرض القلوب، ومرض الأبدان، وأن العلاج يكون بثلاثة أنواع: أدوية طبيعية، وأدوية إلهية، ومركب من الأمرين.

فيقول: « أما طب الأبدان فجاء من تكميل شريعته صلى الله عليه وسلم ومقصودا لغيره بحيث إنما يستعمل عند الحاجة إليه »[1] .

كما يقول في تقديمه لفصول عن الطب النبوي: « ...أما بعد فهذه فصول نافعه في هديه صلى الله صلى الذي تطبب به ووصفه لغيره تبين ما فيه من الحكمة التي تعجز عقول أكبر الأطباء عن الوصول إليها... »[2] .

فهو بهذا يتبين أن الطب النبوي من جملة الأمور الموصي به إليه صلى الله عليه وسلم ولم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم استعمال هذه الأدوية المركبة التي تسمى أقراباذين*، بل كان غالب أدويتهم بالمفردات.

وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالغذاء لا يعدل عنه إلى الدواء ومتى أمكن البسيط لا يعدل عنه إلى المركب[3] .

1- أحاديث نبوية في التداوي:

لعل من النصوص النبوية البارزة في التطبب وممارسة الطب التجريبي العلمي ما ثبت في الصحيح عن جابر – رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « **لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل** »[4] .

وفي الموطأ عن زيد بن أسلم، أن رجلا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه جرح فاحتقن الجرح الدم، وأن الرجل دعا رجلين من بني أنمار فنظرا إليه فزعما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما: « **أيكما أطب؟** ». فقالا: أو في الطب خير يا رسول الله؟ فزعم زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **أنزل الدواء الذي أنزل الأدواء** »[5] .

وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعالج سعد بن معاذ* –رضي الله عنه–

---

(1) **إبن قيم الجوزية**: **الطب النبوي، تخريج الأحاديث خالد بن محمد بن عثمان**، ط1، دار الإمام مالك، 1425هـ/2004م، ص32.

(2) **نفسه**: ص17.

***الأقراباذين**: أدوية مركبة.

(3) **نفسه**، ص22.

(4) **المنذري**: **مصدر سابق**، كتاب المرض والطب، باب لكل داء دواء رقم (1467)، ص381.

(5) **مالك**: **الموطأ، ضبط وتخريج صدقي جميل العطار**، ط1، نشر، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م، كتاب العين، باب تعالج المريض رقم (1757)، ص655.

***سعد بن معاذ بن عبد الأشهل**: أسلم بالمدينة بين العقبة الأولى والثانية على يدي مصعب بن عمير- رضي الله عنه- وشهد بدرا وأحدا والخندق، ورمي يوم الخندق بسهم فعاش شهرا، ثم انتقض جرحه فمات منه، أنظر/ **عز الدين بن أبي الحسن علي بن محمد الجزري ابن الأثير**: **أسد الغابة في معرفة الصحابة، تخريج الأحاديث أحمد بن شعبان بن أحمد**، 6 مجلدات، ط1، دار البيان الحديثة، القاهرة، مصر، 1428هـ/2007م، ج2، ص 331.

2 – من هدية صلى الله عليه وسلم في معالجة بعض الأمراض:

أ– في الإحتماء من التخمة والزيادة في الأكل على قدر الحاجة:

في مسند أحمد وغيره عنه صلى الله عليه أنه قال: « ما ملأ آدميٌّ وعاءً شراً من بطن بحسب ابن آدم لُقِيمات يُقمن صُلبهُ فإن كان لابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه »[1] .

وقد فسر ابن القيم الحديث فبين أن إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول والزيادة في القدر الذي يحتاج له البدن، وبين أن مراتب الغذاء ثلاثة: أحدها مرتبة الحاجة والثانية مرتبة الكفاية والثالثة مرتبة الفضلة فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يكفيه لقيمات يقمن صلبه فلا تسقط قوته، فإن تجاوزها فليأكل في ثلث بطنه ويدع الثلث الآخر للماء، والثالث للنفس وهذا من أنفع ما للبدن والقلب فإن البدن إذا امتلأ وضاق عنه النفس عرض له من الكرب والتعب وفساد القلب وكسل الجوارح عن الطاعات وتحركها في الشهوات، وهذا إذا كان دائما أو أكثريا، أما أحيانا فلا بأس به فقد شرب أبو هريرة – رضي الله عنه – بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم من اللبن حتى قال: « والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكا»[2] .

وأكل الصحابة بحضرته مرارا حتى شبعوا.

ب– التداوي بسقي العسل:

"في الصحيحين" من حديث أبي المتوكل عن أبي سعيد الخذري – رضي الله عنه–أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:« إن أخي يشتكي بطنه، فقال أسقه عسلا، ثم الثانية. فقال: إسقه عسلا. ثم قال آتاه الثالثة فقال: أسقه عسلا. ثم أتاه فقال فعلت، فقال: صدق الله وكذب بطن أخيك، إسقه عسلا، فسقاه فبرأ».[3] اللفظ للبخاري.

وفي رواية مسلم: « ..ثم جاءه، فقال إني سقيته فلم يزده إلا استطلاقا، فقال له ثلاث مرات، ثم جاء الرابعة فقال:" إسقه عسلا". فقال: لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « صدق الله وكذب بطن أخيك» فسقاه فبرأ»[4] .

وفي تكرار سقيه العسل معنى طبي بديع، وهو أن الدواء يجب أن يكون له مقدار وكمية بحسب حال الداء، وقد ذكر ابن حجر في شرح الحديث عن الموفق البغدادي وغيره قالوا عن العسل: « أنه يجلو الأوساخ في العروق والأمعاء، ويدفع الفضلات، ويغسل خمل المعدة ويسخنها تسخينا معتدلا، ويشد المعدة والكبد والكلى والمثانة والمنافذ...ونفع للسعال الكائن من البلغم، وإذا أضيف إليه الخل نفع أصحاب الصفراء، ثم هو غذاء من الأغذية

(1) صحيح أخرجه **أحمد في مسنده** 132/4، أنظر/ **ابن القيم، مصدر سابق** ، ص 28.

(2) صحيح البخاري (6452)، ج:11، ص282، أنظر/ **ابن القيم، نفسه.**

(3) **إبن حجر العسقلاني: مصدر سابق،** كتاب الطب ، باب الدواء بالعسل، رقم:(5684)، ج10، ص139.

(4) **المنذري: مصدر سابق،** كتاب المرض والطب، باب، التداوي بسقي العسل رقم:(1472)، ص 382.

ودواء من الأدوية وشراب من الأشربة وينفع من نهش الحيوان، وإذا شرب وحده بماء نفع من عضة الكَلْب...»[1].

هذا وقد اختلف الناس في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[2]، هل الضمير " فيه" يرجع إلى الشراب أو يرجع إلى القرآن؟ والصحيح رجوعه إلى الشراب وهو قول ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة[3].

ج– باب الشفاء في ثلاث:

جاء في الحديث الصحيح عن ابن عباس – رضي الله عنهما– عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الشفاء في ثلاث شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وأنهى أمتي عن الكي** »[4] . رفع الحديث وجاء في شرحه: عن الخطابي قال: إنتظم هذا الحديث على جملة ما يتداوى به الناس، وذلك أن الحجم يستفرغ الدم وهو أعظم الأخلاط، والحجم أنجحها شفاء عند هيجان الدم.

وأما العسل فهو مسهل الأخلاط البلغمية، ويدخل في المعجونات ليحفظ على تلك الأدوية قواها ويخرجها من البدن، وأما الكي فإنما يستعمل في الخلط الباغي الذي لا تنحسم مادته إلا به، ولهذا وصفه النبي صلى الله عليه وسلم ثم نهى عنه[5] .

د– هديه صلى الله عليه وسلم في منع التداوي بالمحرمات:

في الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: « **إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تداووا بالمحرم** »[6] .

وقوله صلى الله عليه وسلم: « **إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم** »[7] .

---

(1) **ابن حجر، مصدر سابق**، ص140.

(2) **سورة النحل**، الآية: 69، ص 274.

(3) **ابن القيم: مصدر سابق**، ص 41.

(4) **ابن حجر: مصدر سابق**، ص136.

(5) **نفسه**، ص138.

(6) أخرجه أبو داود (3874)، أنظر/ **ابن قيم الجوزية**: **زاد المعاد**، تحقيق، يحي مراد، 3 أجزاء، نشر، مكتبة مصر، 1425هـ/2005م، فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في المنع من التداوي بالمحرمات، ج2، ص 456.

(7) **أخرجه البخاري**، أنظر/ **ابن حجر**: **مصدر سابق**، ج10، ص68.

وفي صحيح مسلم: « من طريق طارق بن سويد الجعفي، أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر، فنهاه أو كره أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء. فقال: « **إنه ليس بدواء ولكنه داء**»[(1)].

هـ- هديه صلى الله عليه وسلم في التداوي بالحبة السوداء:

ثبت في صحيح البخاري من حديث عائشة -رضي الله عنها أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام قلت وما السام؟ قال: الموت »[(2)] .

وفي صحيح مسلم: " من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إن في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام ،والسام الموت، والحبة السوداء الشونيز »"[(3)] .

و- في هديه صلى الله عليه وسلم في الطاعون[*] وعلاجه والاحتراز منه:

جاء في صحيح البخاري من حديث أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها »[(4)] .

وجاء في صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم: « **إن هذا الوجع أو السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم ثم بقي بعد بالأرض، فيذهب المرة ويأتي الأخرى، فمن سمع به بأرض فلا يقدمنّ عليه، ومن وقع بأرض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منها**»[(5)] .

ي- هديه صلى الله عليه وسلم في علاج الحمى :ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **الحمّى من فيح جهنم فأطفؤوها بالماء** »[(6)] .

وفي حديث أسماء بنت أبي بكر- رضي الله عنها- كانت إذا أُتِيت بالمرأة قد حُمّت تدعو لها أخذت الماء فصبّته بينها وبين جيبها[**] وقالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نبردها بالماء"[(7)] .

---

(1) **مختصر صحيح مسلم**: **مصدر سابق**، كتاب الأشربة، باب التداوي بالخمر، رقم: (1279)، ص 340.

(2) **ابن حجر**: **مصدر سابق**، كتاب الطب، باب الحبة السوداء، رقم: (5687)، ص 143.

(3) **مختصر صحيح مسلم**: **مصدر سابق**، كتاب المرضى، باب التداوي بالشونيز، رقم: (1473)، ص382.

* **الطاعون**: من حيث اللغة: نوع من الوباء قاله الجوهري، وقال " صاحب النهاية": الطاعون المرض العام الذي يفسد له الهواء، وتفسد به الأمزجة والأبدان، أنظر/ **فتح الباري، م ص**، ج10، ص180.

وعند أهل الطب ورم رديء ، قتال يخرج معه تلهب شديد مؤلم جدا يصير ما حوله في الأكثر أسود أو أخضر، ويؤول أمره إلى التقرح سريعا وفي الأكثر يحدث في الإبط، وخلف الأذن والأرنبة الأنف واللحوم الرخوة .

(4) **صحيح البخاري**: **مصدر سابق** ، كتاب المرضى، باب ما يذكر في الطاعون، رقم: (5728)، ص178.

(5) **مختصر صحيح مسلم**: **نفس المصدر**، كتاب الطاعون، باب في الطاعون وأنه رجز رقم (1484)، ص385.

(6) **صحيح البخاري**: **م ص**، كتاب المرضى، باب الحمّى من فيح جهنم رقم 5723، ج10، ص 174.

** **جيبها**: الجيب في اللغة. فتحة القلب والصدر، وجيب القميص: طوقه، أنظر/ **مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط**، تح، مكتب تحقيق التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، نشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1426هـ/2005م، ص70.

(7) **صحيح البخاري**: **نفسه**.

يذكر الخطابيُّ في شرح هذا الحديث قوله: غلط بعض من ينسب إلى العلم فانغمس في الماء لما أصابته الحمَّى فاحتقنت الحرارة في باطن بدنه فأصابته علة صعبة كادت تهلكه ...والجواب أولا من أين حملت الأمر على الإغتسال؟ وليس في الحديث الصحيح بيان الكيفية فضلا عن اختصاصها بالغسل، وإنما في الحديث الإرشاد إلى تبريد الحمَّى بالماء...وأولى ما يُحمل عليه كيفية تبريد الحمّى ما صنعته أسماء بنت الصديق، فإنها كانت ترش على بدن المحموم شيئا من الماء بين يديه وثوبه فيكون ذلك من باب النشرة المأذون فيها. وأسماء كانت تلازم بيت النبي صلى الله عليه وسلم، فهي أعلم بالمراد من غيرها[1] .

هذا وقد وردت أحاديث كثيرة منها ما يتعلق في علاج الجرح، وقطع العروق والكي، وعلاج الصرع وعلاج ذات الجنب، وحكة الجسم، وعلاج الأورام، والتحرز من الأدواء المُعدِية، وعلاج لذغة العقرب بالرقية، وعلاج الكرب والهم والغم والحزن،...وغيرها من الأحاديث.

بقي علينا أن نشير أن للذّكر بنوعيه والمتمثل في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة المشتملة على الأدعية والأذكار دور فعال وعلاج قطعي إذا كان معه صدق العزم والإيمان وحق التوكل على الله.

ويظهر ذلك جليا في الرقية من العين والحُمَة*، واللديغ، ومثال ذلك: رقية أحد الصحابة حين رقى سيد قوم من أحياء العرب بفاتحة الكتاب، فكأنما أنشط من عقال[2] .

وفي هذا يقول ابن القيم: « إذا ثبت أن لبعض الكلام خواص ومنافع فما الظن بكلام رب العالمين ثم بالفاتحة التي لم ينزل في القرآن ولا غيره من الكتب مثلها[3]، ويقول تعالى: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا** ﴾»[4] .

---

(1) **ابن حجر: مصدر سابق**، ص176.

***الحُمَةُ**:ذوات السموم كلها.

(2) **البخاري** (178/10)، أنظر/ **ابن القيم، زاد المعاد**، فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في رقيه اللذيغ بالفاتحة، ج2، ص469.

(3) **ابن القيم: الطب النبوي، مصدر سابق**، ص 141.

(4) **الإسراء**: آية 82، ص290.

3- أعلام الطب في صدر الإسلام:

كان أيام النبي صلى الله عليه وسلم أطباء وممارسون للطبابة والتمريض، منهم من عاش مخضرما طبَّ في الجاهلية والإسلام، كالحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب المعروف.توفي حوالي السنة الثالثة والثلاثون للهجرة/ستمائة وأربعة وخمسون ميلادية.

ومنهم أبي رمثة* – رضي الله عنه– قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي فرأيت الدَّبَرَ في ظهره فقال: إني أعالج هذه فإني طبيب، فقال صلى الله عليه وسلم:« **أنت الرفيق والله الطبيب**».[1]، وفي رواية ابن جُلجل: « فرأيت بين كتفيه الخاتم»[2] .

ومنهم النظر ابن الحارث ابن كلدة[3]، وهو ابن خالة النبي صلى الله عليه وسلم.

ومنهم: الشمردل بن قباب الكعبي النجراني: كان من وفد نجران بني الحارث بن كعب. بينما نزل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم سأله ماذا يحلّ له من التطبب قال:« **فصد العرق، ومجسّة الطعنة وإن اضطررت، ولا تجعل من دوائك شَبرُماً**** ، **وعليك بالسنا، ولا تداو واحدا حتى تعرف داءه**». فقبل ركبته وقال:" والذي بعثك بالحق أنت أعلم بالطب مني"[4] .

وكذلك: ضماد بن ثعلبة الأزدي: من أزد شنوءة. يروي ابن عباس – رضي الله عنه: قال:" لما جاء ضماد معمرا سمع كفار قريش يقولون: محمد مجنون فقال:" لو أتيت هذا الرجل فدوايته فجاءه فقال:"يا محمد إنّي أداوي من الريح فإن شئت داويتك لعل الله ينفعك"، فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم بكلمات فأعجب ذلك ضماد فقال: « **أعدها عليَّ**». فما سمعت مثل هذا قط. لقد بلغ قاموس البحر، يعني قعره، فأسلم وشهد شهادة الحق وبايعه على نفسه وعلى قومه»[5] .

***نساء عاملات في حقل الطب**:بعد ذكرنا لزينب طبيبة بني أود التي اشتهرت بمداواة آلات العين (الكحالة) بين العرب[6].

---

* هنا يذكر أحمد النسفي[أبي رمثه]، بينما نجد ابن جُلجل ومن تبعه" كالقفطي، وابن أبي أصيبعة يذكرون ابن أبي رمثة، وأبو رمثة التميمي: "قيل أنه رفاعة بن يثربي، وقيل ابن عوف وقيل غير ذلك". **الاستيعاب 70/4**؛ أنظر/ **ابن جلجل، مصدر سابق**، ص 57.

[1] **نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي: القند في ذكر علماء سمرقند، اعتناء محمد الفاريابي**، ط1، مكتبة الكوثر، السعودية، 1412هـ/1991م، ص 340.

[2] **ابن جلجل: مصدر سابق**، ص57.

[3] **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق** ، ص 167.

** **شبرما**: شجر ذو شوك يقال: ينفع من الوباء، ونبات آخر له حب كالعدس...ويستعمل مصلحا بأن ينقع في الحليب... وينقع في عصير الهندبا والرازيانج ثم يجفف ويعمل منه أقراص مع التُربد والهليلج والصّبر فإنه دواء فائق، أنظر/ **الفيروز أبادي: مصدر سابق**، ص ص 1125- 1126.

[4] **أحمد عيسى بك: مرجع سابق**، ص 09.

[5] **نفسه**، ص 10.

[6] أنظر الصفحة27.

نثنّي برفيدة الأسلمية* التي اتخذت خيمة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تداوي الجرحى، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم بعدما أصيب سعدا يقول:« اجعلوه في خيمة رُفيدة حتى أعوده من قريب»(1) .

كما كانت أمّنا عائشة- رضي الله عنها – تمارس الطب، حيث روى الشعبي قال: قيل لعائشة أم المؤمنين هذا القرآن تلقيته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك الحلال والحرام، وهذا الشعر والنسب والأخبار سمعتها من أبيك وغيره، فما بال الطب؟ قالت: كانت الوفود تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزال الرجل يشكو علة فيسأله عن دوائها. فيخبره بذلك، فحفظت ما كان يصفه لهم وفهمته»(2) .

وأيضا من النساء اللاتي عملن في حقل الطب، أم عطية الأنصارية التي أمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تغسّل ابنته زينب، لها أحاديث . روى عنها محمد بن سيرين، وأخته حفصة، وأم شراحيل، وعلى بن الأحمر، وعبد الملك بن عمير، وهشام بن حسان عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية قالت:« غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات فكنت أصنع لهم طعامهم وأخلفهم في رحلهم وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى»(3) .

وهكذا نرى أن المرأة العربية المسلمة شاركت الرجل في ميدان الطب وإسعاف المرضى حتى الرجال منهم. في وقت لم تكن البيئة ألفت بعد معالجة المرأة للرجال، لكن لعلمها بالطب وإتقانها له كانت لها هذه المكانة السياسية والاجتماعية.

4- عهد الراشدين:

مما لا شك فيه أنّ الخلفاء الراشدين، وجيل الصحابة الأول – رضي الله عنهم- استعملوا في طبّهم ومداواتهم النصائح النبوية، وطبقوا أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في علاجهم كالاستشفاء بالعسل، والحبة السوداء، واستعمال الحجامة والكي وغير ذلك مما ثبت في الأحاديث الصحيحة.

لكنهم لم يقفوا عند حدود الطب النبوي مع إيمانهم بنفعه وبركته وأدركوا في أن العلوم الدنيوية ومنها الطب تحتاج إلى دوام البحث والنظر والاستزادة من الحكمة حيث وجدت، وباتساع حركة الفتوحات الإسلامية بدأ الخلفاء يتعرفون على الطب اليوناني واستقدموا الأطباء الروم، والنصارى الذين سرعان ما أخذ عنهم الأطباء المسلمون.

* **رفيدة الأسلمية** : إمرأة من أسلم، كانت ماهرة في الطب فكانت تداوي الجرحى وتخدم من كانت به ضيعة من المسلمين، أنظر/**ابن الأثير**، مصدر سابق،ص131

(1) **سيرة ابن هشام**، ج1، ص688، طبعة جوتنجي، أنظر/ **أحمد عيسى بك، مرجع سابق** ، ص 10.

(2) **الذهبي: سير أعلام النبلاء**، ط2، نشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م، ج6، ص 234.

(3) **أحمد عيسى، مرجع سابق**، ص 10.

ومما يروى زمن الخلافة الراشدة أنه لما قتل أبو لؤلؤة المجوسي فتى المغيرة ابن شعبة، الخليفة عُمر بن الخطاب – رضي الله عنه– دعا عُمرُ طبيبا لينظره فسقاهُ لبناً، فخرج اللبنُ بيّنا. فقال له: أعهد يا أمير المؤمنين[1] (أي أوصي).

ومن الأطباء المشهورين آنذاك، بولس الأجانيطي. وهو طبيب مذكور في زمانه، وكان خبيراً بعلل النساء كثير المعاناة لهنّ، وكانت القوابل يأتينهُ ويسألنه عن الأمور التي تحدث للنساء عَقب الولادة ويجيبهُنَّ، فلذلك سمي بالقوابلي، وله كتاب " الكنّاش في الطب"، وكتاب " في علل النساء"[2].

ومما يروى في هذا الصدد أن أحد الأعراب أصابته جراح في عهد الخليفة عثمان — رضي الله عنه– فجيء به جريحا إلى الخليفة فأرسل به إلى طبيب نصراني لمداواته[3].

ثانيا: الطب زمن الخلافة الأموية:

يصف المؤرخ الهندي (خودابخش)[4] الأمويين بأنهم كانوا " قادة العلوم"، ويذكر أنه كان لمعاوية مؤسس الدولة– قلب كبير وعقل متحرر، وكان اهتمامه بالعلوم المسيحية يجعله على نقيض من القياصرة البيزنطيين المتعصبين، فتجده يرحب في بلاطه بالطبيب المسيحي ابن أثال* الذي ترجم له كثيرا من كتب الطب إلى اللغة العربية وكان ملازما له[5] .

1– حركة الترجمة في العصر الأموي:

لعل من أعظم أحداث العصر الأموي نشاط حركة الترجمة، فما إن استقرت الخلافة الأموية وازدهرت سياسيا واقتصاديا، وورثت علوم الأعاجم من الفرس والروم وغيرهم بعد انهيار دولهم حيث كان الإتجاه إلى الحركة الفكرية؛ فترجمت كثيرا من كتب الحضارات السابقة، ونقلت ذخائرها إلى العلوم العربية، لأنها فتحت نافذة أشرف منها العلماء العرب والمسلمون لأول مرة على ما لدى غيرهم من معارف وعلوم.

عندما تعرف الأطباء المسلمون والعرب على الطب اليوناني عبر مدرسة الإسكندرية ومدرسة جنديسابور، كان همهم ترجمة الكتب الطبية إلى اللغة العربية.[6]

---

[1] **ابن العبري الملطي المعروف (بغريغوريوس): تاريخ مختصر الدول**، ط3، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1412هـ/1992م، ص 102.

[2] **نفسه**: ص 103.

[3] **رحاب خضر عكاوي: موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافية والتاريخ والفلسفة**، جزءان، ط1، نشر، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1413هـ/1993م، ج2، ص 11.

[4] **علي حسني الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية**،ط2، نشر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1415هـ/1994م، ص 285.

*طبيب دمشقي متميز، لمّا ملك معاوية اصطفاه لنفسه، وكان خبيرا بالأدوية المفردة والمركبة.

[5] **نفسه**.

[6] **راغب السرجاني: مرجع سابق** ، ص 33.

وكان من بين المترجمين الطبيب اليهودي ماسرجويه، الذي ترجم للخليفة مروان بن الحكم. حكم من (64-65هـ/684-685م) موسوعة طبية يونانية تسمى " الكنّاش"[(1)].

كما يذكر:" أن أول من شجع على الترجمة؛ هو خالد بن يزيد بن معاوية"[(2)] [*]، حيث استعان بعالم من مدرسة الإسكندرية فكتب كتبه في "الصنعة" الكيمياء والطب باليونانية والقبطية، وقد زكى ذلك الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز وأجازه. "لأن الطب لا يتدخل ولا يؤثر في الدين[(3)]. هذا وقد اعتمد الخليفة عمر ابن عبد العزيز على الطبيب السكندري، عبد الملك بن أبجُر في صناعة الطب بعد أن أسلم على يديه، ويذكر الجاحظ نشرة طبية لزياد[**]،"ويروي عن مسلمة بن محارب وعلي بن محمد عن رجاله. أن زيادا كتب دواء الكَلَب. وعلّقه على باب المسجد الأعظم بالبصرة، ليعرفه جميع الناس" [(4)]

2- أعلام المترجمين:

إشتهر الطب عهد الأمويين بثلاثة أو أربعة أسماء يبقى الحَكَمْ[***] ، أبرزهم وهو متحذر من أسرة أطباء وشعراء. وكان ولده عيسى مؤلف كتاب كبير في الفنّ الطبي « الكنّاش»[(5)] .

وقد اتّسم ذلك العصر بابتكار يستحق الإشارة وهو أن الخليفة الوليد أمر بعزل المصابين بالبرص. وقدم لهم ما يلزمهم من غذاء.

يقول رحاب عكاوي: «لما تولى الوليد بن عبد الملك السلطة شغف بالعمران والإصلاحات العمرانية، وكان من ضمن ما اهتم به بناء المستشفيات وتخصيص مرتبات للعميان والمجذومين والزمنى»[(6)] .

---

(1) **ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق،** ص 232 فما بعدها بعدة صفحات.

(2) **أحمد شوكت الشطي: مرجع سابق،** ص 193.

*يستبعد ابن خلدون أن يكون خالد بن يزيد من أهل الصناعة والكيميائية فيقول: « والبداوة إليه أقرب فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة»، انظر/ **ابن خلدون، مصدر سابق،** ص 525.

(3) **بثينة مرزوق: الطب الوقائي العربي الإسلامي**، نشر الإسكندرية للكتاب، مصر، 1425هـ/2005م، ص51.

**هو زياد بن أبيه والي العراق من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنه-.

(4) **الجاحظ: مصدر سابق،** ص13.

***يقول ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء: «"أنه يلحق بأبيه في معرفته بالأدوية والأعمال الطبية والصفات البديعة، وكان مقيما بدمشق وعمر أيضا عمرا طويلا»، أنظر ص 176، ويقول أيضا أن أبوه " أبو الحكم": كان طبيبا نصرانيا عالما بأنواع العلاج والأدوية، وله أعمال مذكورة وصفات مشهورة، وكان يستطبه معاوية ابن أبي سفيان، ويعتمد عليه في تركيبات أدوية لأغراض قصدها منه، أنظر ص 175.

(5) **جاك ريسلر: مرجع سابق،** ص 95.

(6) **رحاب عكاوي:مرجع سابق،** ص 12.

كما يذكر أبو الفدا: « أن الوليد أول من أحدث المستشفيات في الإسلام، وجعل لكل أعمى قائدا يتقاضى نفقاته من بيت المال، كما أقام لكل مُقعد خادما، ورتب للفقراء أموالا وأرزاقا، وأقام بيوتاً ومنازل يأوي إليها الغرباء، مات سنة 96هـ/715م »[1].

ومن بين الأطباء الذين كانوا في أول دولة بني أمية « **تياذوق**»، كان طبيبا فاضلا ومشهور عندهم بالطب، وصحب أيضا الحجاج* بن يوسف الثقفي، وكان يعتمد عليه ويثق بمداواته، وكان له منه الجامكية الوافرة، وهي المال السلطاني[2].

ومن الكتب التي وصلت إلى البلاط الأموي، كتاب ملك الصين الذي أهداه إلى معاوية والذي كان محتويا على قدر جيد من العلوم التطبيقية، وقد وصل هذا الكتاب وغيره إلى يد خالد بن يزيد، مما جعله يهتم بأمر العلوم الطبيعية[3].

من الأطباء المترجمين **ماسرجويه**، كان يهوديا سريانيا، تولى أيام الدولة المروانية تفسير كتاب، "أهرن بن أعين القس"**، ووجده عمر بن عبد العزيز في خزائن الكتب، فأخرجه للإنتفاع به يقول ابن أبي أصيبعة عنه: أنه كان ناقلا من السرياني إلى العربي، مشهورا بالطب وله من الكتب كتاب "قوى الأطعمة ومنافعها ومضارها"، وكتاب "قوى العقاقير ومنافعها ومضارها".[4]

وأيضا من الأطباء **ابن أبجر**، كان طبيبا عالما، وكان في أيام بني مروان، وكان عالما نحرير وروي أن عمر بن عبد العزيز، كان يبعث إليه بمائه[5]، ويزيد ابن أبي أصيبعة على رواية ابن جُلجل أن ابن أبجر الكناني: « كان يتولى التدريس في مدرسة الإسكندرية في عصرها الأخير قبل الفتح الإسلامي، كما أنه كان مسيحيا، وأسلم على يد عمر بن عبد العزيز قبل أن يكون خليفة، ولما أفضت إليه الخلافة سنة (99هـ/718م)، نقل التدريس إلى أنطاكية وحران وتفرق في البلاد»[6] .

---

[1] **أبو الفدا: التبر المسبوك في تواريخ الملوك**، تح، محمد زينهم محمد عزب، ط1، نشر مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، القاهرة، 1415هـ/1995م، ص 38.

* ولد بالطائف 40هـ/661م، وولاه عبد الملك بن مروان على الحجاز فرمى الكعبة بالمنجنيق، وقتل مصعب بن الزبير ثم تولى العراق فأخمد الفتن ببطشه وقوته، وله خطب مشهورة، توفي سنة 95هـ/714م، أنظر/ **عيون الأنباء**، ص 179.

[2] **نفسه**.

[3] **رحاب عكاوي**: **مرجع سابق**، ص 18.

أهرن القس من أهل الإسكندرية وكناشه في ثلاثين مقالة، زاد عليه ماسرجويه أو(ماسرجيس) مقالتين، أنظر/ **ابن جلجل، **مصدر سابق**، ص61.

[4] **ابن أبي أصيبعه**: **مصدر سابق**، ص 280.

[5] **ابن جلجل**: **مصدر سابق**، ص 59.

[6] **ابن أبي أصيبعه**:**المصدر السابق**، ص 171.

أما ابن **حجر العسقلاني**: فيذكر أن ابن أبجر: «كان من أطب الناس، وأنه توفي بعد سفيان الثوري المتوفى سنة (161هـ/778م)»[(1)].

وقد تعرض الدكتور **ماكس ما يرهوف** لهذه المسألة وناقشها وخلص منها فرضيتين:

- إما أن يكون ابن أبجر عاش بعد الخليفة عمر ابن عبد العزيز بكثير (حوالي60 سنة).
- وإما أن نكون هنا بإزاء طبيبين مختلفين إسمهما واحد، وثاني الفرضيتين أكثر احتمالا»، التراث اليوناني (64-67)[(2)] .

كما يذكر **لكلير**: « أنه نقل من مصدر لاتيني عنوانه " نشأة الكيمياء" ألفه « **مورنوس**»، وكان مورينوس قد تتلمذ على فيلسوف عاش في الإسكندرية اسمه « **أدفر**»، وقد أخذ خالد بن يزيد المتوفى سنة (85هـ/704م) هذه الصناعة وألف رسائله وكتبه، (يظن لكلير أن أدفر هذا هو ابن أبجر الذي قال عنه ابن أبي أصيبعة أنه تولى التدريس في مدرسة الإسكندرية قبل الفتح الإسلامي ولعل ابن أبي أصيبعة خلط بينهما (Leclerc, histoire de la médecine arabe)»[(3)] .

وقد كلف خالد بن يزيد اصطفانوس[*]، ومورينوس[**]، وغيرهم بترجمة الكتب إلى اللغة العربية وبفضلها ترجمت الكتب اليونانية، والقبطية واستطاعت عامة العرب قراءتها[(4)] .

---

(1) **ابن حجر**: **تهذيب التهذيب**،طبع دائرة المعارف النظامية ،حيدر آباد الدكن، الهند ج6، **ص ص** 394- 395.

(2) **ابن جلجل**، **مصدر سابق**، هامش، ص 60.

(3) **نفسه**.

[*] يذكر محمد بن إسحاق بن النديم في فهرست أن من أسماء النقلة من اللغات إلى اللسان العربي " اصطفن القديم" نقل لخالد بن يزيد بن معاوية كتب الصنعة وغيرها، أنظر / **ابن النديم**، **الفهرست**، تح، ناهد عباس عثمان، نشر، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، 1405هـ/1985م، ص224

[**] يقول ابن خلكان:« أخذ خالد بن يزيد الصناعة عن رجل من الرهبان يُقال له "مريانس الراهب الرومي" »، أنظر/ **بن خلكان**، **مصدر سابق**، ج2، ص224.

(4) **الخربوطلي**: **مرجع سابق** ، ص 286.

المبحث الثاني: العصر الذهبي للترجمة

أولا: أهم المدارس التي اتصلت بالخلافة الإسلامية:

هناك ثلاثة مدارس اتصلت بالخلافة الإسلامية وأدت عملها.

1- جنديسابور:

لقد تمركز النساطرة* بصورة رئيسية في الرُّها، ونصيبين، كما مارسوا العلوم الطبية، وبعدما طردهم إمبراطور بيزنطة** ، وأغلق مدرسة الرُّها، فلجأوا إلى كسرى فارس، الذي رحَّب بهم في مدرسة جنديسابور.

وقد ازدحمت هذه المدرسة بعدد كبير من العلماء سواء من طُرد منهم من بلاد الروم، أو من هاجر إليها بعدما سُدّت أمامه أبواب المعرفة عَقب إغلاق إمبراطور الروم جُستنيان جامعة أثينا عام 528م، وكان لوجود الكثرة من العلماء في جنديسابور أثر على حركة التعليم، والثقافة والترجمة، وممارسة العلوم الطبية، وكانت اللغات السائدة فيها، الفارسية، السريانية، واليونانية، كما كانت العربية معروفة، فهي لا تبعُد كثيرا عن الحيرة، وهي من خواص العرب المشهورة، وقد قيل: « إن جورجيس رئيس أطباء جنديسابور كلّم الخليفة العباسي بالعربية عندما التقى به»[(1)].

وقد بلغت اللغة السريانية دورا كبيرا في هذه المرحلة، حيث كانت همزة وصل في انتقال الثقافة اليونانية إلى العربية أول الأمر، والسبب يعود لكثرة الأطباء الممارسين السريان، ثم استمر الأمر في هذا الاتجاه إلى عصر هارون الرشيد*** والمأمون♦، وخاصة المأمون الذي أدرك أن نقل العلم مباشرة من اليونان إلى العربية أجدى بكثير من نقله عبر السريانية.

وقد اشتهر من مدرسة جنديسابور جورجيس بن بختيشوع•، طبيب الخليفة المنصور□، وابنه بختيشوع طبيب هارون الرشيد وجبريل بن بختيشوع طبيب المأمون...إلخ، وكانوا كلهم نصارى نساطرة.

---

* أنظر/ ص 21 من البحث.

** بيزنطة وريثة الإمبراطورية الرومانية الشهيرة اتخذت عاصمتها القسطنطينية (استانبول) و قد سميت عاصمتها باسم الإمبراطور قسطنطين الذي حمى المسيحية، وأصبحت في عهده دين الدولة الرسمي.

(1) **محمد نزار خوّام وآخرون**: **مرجع سابق**، ص52.

*** هو هارون الرشيد، الخليفة العباسي الخامس، حكم من (170-193هـ/786-809م).

♦**المأمون**: ابن هارون الرشيد، الخليفة السابع، حكم من (198-218هـ/813-883م)، أشرف على تنشئته البرامكة وهم بني بُرمُك تمتعوا في بداية عهد الرشيد بالسلطة والجاه والنفوذ وتقلدوا مناصب الدولة المهمة حتى سنة 187هـ/803م. أمر الرشيد بسجنهم ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم فيما عرف في التاريخ بنكبة البرامكة.

• **آل بختيشوع**: أسرة من السريان، وفي رواية من النساطرة، اشتهرت في دولة بني العباس خلال القرن الثامن ميلادي وأولهم جورجيس بن بختيشوع ثم توارثت أخلافها عن أسلافها الطب، فاستقام عزهم ثلاثة قرون، أنظر/ **شوكت الشطي**، **مرجع سابق**، ص 207؛ **جان موريس فييه**، **أحوال النصارى في خلافة بني العباس**، تر، حُسني زينه ، ط1، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1410هـ/ 1990م ، ص 84.

□ **أبو جعفر المنصور**: الخليفة العباسي الثاني حكم من (136-158هـ/753-775م) ويعد المؤسس الحقيقي للدولة العباسية.

2- حرّان:

فهي مدينة في الجزيرة شمالي العراق، تقع بين الرُّها (أودسا)، ورأس العين وهي مدينة قديمة، عاصرت اليونان والرومان، والنصرانية، والإسلام، وفي عهد الإسكندر ، سكنها كثير من المقدونيين، ولقد تنصّر كثير منهم.وآخرون سمّوا أنفسهم الصابئة خوفا من المأمون.

وكان هؤلاء الحرانيون منبعا كبيرا من منابع الثقافة اليونانية في العهد الإسلامي، وقد اتصلت مدرستهم بالخلفاء العباسيين بعد اتصال مدرسة جنديسابور.

ويعتبر ثابت ابن قرة (221-288هـ/836-901م) أول من اتصل بالخلافة وذلك عن طريق "بنُو موسى بن شاكر"* الذين رباهم المأمون، ومن ذلك الحين تقرب الحرّانيون من الخلفاء ثم من بني بويه واشتهر من الحرّانيين ثابت ابن قرة وابنه سنان الطبيب العالم وإبراهيم بن سنان وغيرهم.

3- الإسكندرية:

اشتهرت مدينة الإسكندرية بالطب والكيمياء والعلوم الطبيعية لكن أبحاثها إذ ذاك كانت ممزوجة بالسحر والطلاسم والتنجيم وغلب على اليعاقبة** في مصر الميل إلى التصوف وحب معيشة الأديار والرهبنة على حين غلب على النساطرة في "أسيا" الميل إلى التفكير الفلسفي وحب المنطق.

وقد اتصل المسلمون بمدرسة الإسكندرية منذ الفتح الإسلامي.

ثم في العهد الأموي نرى خالد ابن يزيد بن معاوية يترجم له بعض الكتب « **اصطفن**»*** الذي يلقبه ابن القفطي: اصطفن الأسكندراني و"ابن أبجر" السالف الذكر.

وفي العصر العباسي نرى ذكراً لبعض تلاميذ المدرسة الإسكندرانية منهم « **بليطيان**» كان طبيبا مشهورا بديار مصر[1]، وكان بطريكا على الإسكندرية في أيام جعفر المنصور، هذا وقد فسّر النساطرة، واليعاقبة كثيراً من كتب اليونان حيث نقلوها إلى اللغة السريانية ولما اتصلوا بالعرب قاموا بنقل هذه الكتب إلى العربية وشروحها، غير أن نقلهم لم يكن دقيقا وكثيرا من الأخطاء التي وقع فيها العرب علميا، كان منشؤه هذا الخطأ السرياني[2].

---

* **موسى بن شاكر وبنوه:** محمد وأحمد والحسن من منجمي المأمون، وكان بنوه الثلاثة من أبصر الناس بالهندسة وعلم الحيل، انظر/ **شوكت الشطي، مرجع سابق**، ص 198.

** **اليعاقبة:** هم مسيحو الغرب كاليعاقبة في مصر وبلاد النوبة والحبش، ولغتهم في الغالب السريانية، والقبطية، وقالوا بالطبيعة الواحدة، أنظر/ **ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق**، ص 152.

*** هناك إصطفن بن باسيل مترجم المأمون، يقول عنه ابن أبي أصيبعة:«كان يقارب حنين بن إسحاق في النقل إلا أن عبارة حنين أفصح وأحلى »، أنظر / **ابن أبي أصيبعة،المصدر نفسه**، ص 281.

(1) **المصدر نفسه**، ص 540.

(2) **أحمد أمين: ضحى الإسلام**، ثلاثة أجزاء، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة،1417هـ/1997م، ج1، ص281.

ثانيا: دور الخلفاء في تشجيع الطب والترجمة:

1- أسباب إهتمام الخلفاء بالترجمة:

بعد أن أشرنا إلى طرق الاتصال التي تم دخول الطب اليوناني إضافة إلى الهندي والفارسي بها إلى عاصمة الخلافة العباسية عبر المدارس العلمية الكبرى آنذاك وهي المتمثلة في مدرسة الإسكندرية بمصر، ومدرسة حران في بلاد الجزيرة، وكذلك جنديسابور بأرض فارس، إضافة إلى بعض المراكز العلمية المزدهرة في مجال الطب منها: أنطاكية في الشام، والتي رحل أطباؤها إلى بغداد في عهد الخليفة المعتضد: (279-289هـ/892-902م)، وفي بغداد إلتقوا بممثلي المدرسة الهلنستية*، وهي التي وجدت ضمن الدولة الساسانية، واتخذت من مدينة جنديسابور في خوزستان** مقرًا لها.

وبين هذه الأطراف بدأ التلاحم، وبدأ العمل الدؤوب، وبدأت عملية الترجمة تزدهر بعد أن عرفنا بواكيرها التي وجد في عصر الدولة الأموية.

ولعل من بين أسباب إهتمام الخلفاء بترجمة الكتب الطبية:

أ-حاجة الخلفاء وكبار الدولة إلى الأطباء والتطبب، لأنها تمسُّ صحتهم، فأنفق الخلفاء بسخاء لتشجيع المترجمين على الترجمة[1].

ب- زيادة الرخاء في الدولة وتوفر الأموال، فتوسع العمران وهو ما دعاهم لمعرفة العلوم الطبية وذلك كما يقول إبن خلدون :« أن الترف والنعمة إذا حصلا لأهل العمران، دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخلق بعوائدها، والحضارة كما علمت، هي التفنن في الترف واستجادة أحواله، والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه»[2].

ودفعهم بناء البيمارستانات إلى التوسع في تدريس العلوم الطبية.

ج- الإتصال بالأمم المختلفة، مما دفع العرب الإطلاع على ثقافتهم وعلومهم، فاتجهوا إلى الحياة الفكرية والاجتماعية، ورأوا أن حياة الحضارة لابد أن تستند إلى العلم فمالية الدولة تحتاج إلى حساب دقيق، كما أن عيشة الحضارة المركبة تحتاج إلى أدوية مركبة.

* يمتد العصر الهلنستي بعد فتوح الإسكندر المقدوني في الشرق، في الشطر الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد (332 ق م) وينتهي بقيام العصر الإمبراطوي الروماني في سنة (27 ق م) وتسمى هذه الحقبة الهلنستية نسبة إلى لفظة تعني "اليونان" حيث امتزجت فيها عناصر الحضارة الشرقية بعناصر حضارة اليونان وتركت أثرها الواضح على مسيرتنا الحضارية، أنظر: **لطفي عبد الوهاب يحي، دراسات في العصر الهلنستي**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1397هـ/1977م، ص 1.

** **خوزستان**: هي الأهواز في بلاد فارس.

(1) **بثينة مرزوق: مرجع سابق**، ص 52.

(2) **ابن خلدون: مصدر سابق**، ص 353.

د-ميل الخلفاء في العصر العباسي إلى العلوم الفلسفية، والخلفاء عادة أقدر الناس على الترغيب فيما أحبُّوا والناس أسرع ما يكون إلى تحقيق أغراضهم، والولوع بما أولعوا به[1].

وقد روى لنا ابن أبي أصيبعة قصة:" وهي رؤيا المأمون":« حيث رأى في منامه كأن شيخا بهي الشكل جالس على منبر وهو يخطب، ويقول:" أنا أرسطوطاليس" فانتبه من منامه وسأل عن أرسطوطاليس فقيل له رجل حكيم من اليونانيين فأحضر حنين ابن إسحاق، وسأله نقل كتب حكماء اليونانيين إلى اللغة العربية، وبذل له الأموال والعطايا»[2].

وأمثال هذه القصص بعيدة عن الواقع، فلا يصحُّ ألا يسمع المأمون باسم أرسطوطاليس، وإن صحت القصة، فتدلُّ على أن هذا الحلم كان إنعكاس لما يفكر فيه المأمون في اليقظة.

ويمكن أن نقسم مرحلة الترجمة إلى مرحلتين رئيسيتين: مرحلة النقل، ومرحلة الابتكار.

الأولى: تتمثل في مرحلة النقل، والأخذ من الطب اليوناني والهندي والفارسي، وقد وصفها ابن أبي أصيبعة بأنها " مرحلة النقلة من الأطباء"[3].

الثانية: وهي مرحلة الابتكار ومرحلة استوعب فيها العرب والمسلمون ما قد ترجموه، ثم وصلوا إلى حد الاستنباط والأصالة ومن تم ظهر بينهم عدد من كبار الأعلام في مختلف مجالات وفروع الدراسات الطبية[4].

ولعل عملية الابتكار ستظهر جليا في ثنايا البحث.

وهكذا ففي المرحلة الأولى إزداد العلم شيوعا وكثُر الأطباء كما ازداد إكرام الخلفاء للأطباء، وكان الخليفة أبو جعفر المنصور، أول من أدخل أطباء جنديسابور إلى بغداد وكان يبالغ في حفاوة طبيبه الخاص، وقد كانت عائلة بختيشوع من بين أهم العائلات التي قدِمت إلى بغداد والتي كانت في الصدارة، وكان أيضا من بين المترجمين يوحنا بن ماسويه.

يقول عبد الله الجبوري في كتابه: التراث العربي:" لقد شهد العرب في بغداد شيئا لم يعرفه التاريخ من قبل، شهدواْ أمة فاتحة تملي شروط الصلح على المغلوبين فتطلب إليهم أن يقدموا لها كتب العلم والفلسفة والطب غرامة عربية.

---

(1) **أحمد أمين: مرجع سابق**، ص 283.

(2) **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص 259.

(3) **نفسه**، ص 279.

(4) **محمد مؤنس عوض: من إسهامات الطب العربي الإسلامي في العصور الوسطى**، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1417هـ/1977م، ص 20.

وهذا دليل على أن العرب كانوا على استعداد لقبول هذه العلوم بل أكثر من ذلك أن التفكير العربي قد بلغ في تطوره حدا يجعله قريب الشبه جدا بالتفكير اليوناني[1].

وفي عصر هارون الرشيد (170-193هـ/786-809م): عصر الإسلام الذهبي أصبحت بغداد عاصمة العالم في الثقافة والسياسة والاقتصاد، فقد اعتنى الرشيد بتنشيط حركة العلوم بكل الوسائل، وتبعه في ذلك رجاله فتوسعوا في العلاج، وازدادوا خبرة في العقاقير وتركيبها، وكانوا قد استقدموا كثيرين من أطباء تلك الأمم فطبوا الخلفاء، ونقلوا لهم الكتب[2]، فعندما فتح الرشيد عمورية وأنقرة حمل إلى بغداد كل ما وجد فيها من المخطوطات. وقد أنشأ هارون الرشيد" بيت الحكمة" وجمع فيه المؤلفين والمترجمين والنسّاخ ومن العوامل التي ساهمت في ازدهار الحركة العلمية في هذه الفترة ظهور الورق واستخدامه في الكتابة ، فقد أنشأ «الفضل بن يحي البرمكي» مصنع للورق في عهد الرشيد ببغداد[3] .

وفي عهد المأمون نشطت حركة الترجمة والنقل من اللغات الأجنبية إلى العربية، فأرسل البعوث إلى "القسطنطينية" لإحضار المصنفات الفريدة من الفلسفة والطب وغيرها.

ويذكر الشيخ "بيرم"* معلومة أو يمكن وصفها بإشارة أو تنبيه عن أصل الحكمة فيقول:« واعلم أن الحكمة ضاعت قبل الإسلام بقليل وخلت الأرض منها وبقيت كذلك إلى زمن المأمون، فجُددت وانتشرت لاسيما الطب، فقد كثر الأطباء في ذلك الوقت كثرة بينة، وأظهروا مفردات لم تكن قبلهم وركّبوا تراكيب حسنة عجيبة، وتمموا ما فات الأقدمين في ذلك كله... »[4] .

إن عملية الترجمة لم تتوقف عند حد مُعين، بل استمرت حتى بلغت أوج عظمتها في منتصف القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، وأصبحت أساسا متينا لحركة التأليف والترجمة الواسعة التي شهدت تطورا عظيما على يد أطباء العرب والمسلمين[5].

2- مظاهر تشجيع الخلفاء:

كان لخلفاء بني العباس أثر عظيم في الترجمة وازدهار الطب، فقد بدلوا الأموال والعطايا والهدايا من أجل تحصيل العلوم، ونقل تراث الأمم السابقة إلى حضيرة الإسلام.

وسنذكر جملة من هؤلاء الخلفاء ومدى إسهامهم في هذا المجال ومدى إهتمامهم بالطب إلى درجة صاروا يفهمون ويفقهون منه أشياء غير يسيرة .

---

[1] **بثينة مرزوق: مرجع سابق**، ص 55.

[2] **شوكت الشطي: مرجع سابق**، ص 193.

[3] **محمد قبَّاني: الدولة العباسية من الميلاد إلى السقوط** ، ط1، دار وَحي القلم، بيروت، لبنان، 1427 هـ/ 2006، ص57.

* الشيخ محمد بن حسين بيرمْ التونسي (1130 – 1214هـ/ 1718– 1800م) ، **صاحب مخطوط التداوي بالحمامات المعدنية**.

[4] **شخوم سعدي: التداوي بالحمامات السخنة، بحث مقدم في أعمال الملتقى المغاربي الثالث للمخطوطات العلمية**، ط1، منشورات، مخبر البناء الحضاري للغرب الأوسط، جامعة الجزائر،1428 هـ/2007 م، ص 158.

[5] **بثينة مرزوق، المصدر السابق** ، ص 57.

وكان البادئ الخليفة أبو جعفر المنصور لحاجة شخصية كما رُوي إذ أنه كان معتل الصحة وبحاجة إلى أطباء من غير العرب، فشجع على ترجمة كتب الطب وكان يبالغ في حفاوة طبيبة جرجيس بن بختيشوع، وفي بلاط المنصور عمل طبيب من جنديسابور يقال أنه ترجم مصنفات طبية إلى العربية[1].

أما في أيام هارون الرشيد فإن النفقة زادت فيها أكثر من أيام أبو جعفر المنصور، ويقول في ذلك" جرجي زيدان":«وميل الخلفاء ورجال دولتهم إلى الترف والرخاء، فأصبحت في أيام الرشيد أكثر منها في أيام المنصور»[2].

وبدون شك أن النفقات على الأطباء تكون معتبرة، ومن جملة ما يخرج من بيت المال، ويقول أيضا فيما يخص رواتب حاشية الخليفة :" ونريد بحاشية الخليفة الموظفين المتعلقة أعمالهم بشخص الخليفة، كالأطباء والحجاب والحرس الخاص، ورواتبهم من بيت مال الخاصة، وقد يكون لهم رواتب من بيت مال العامة، وكانت كبيرة ونستدل على ذلك من مخصصات جبريل بن بختيشوع طبيب الرشيد، منها رواتب نقدية وبخصوص راتب جبريل المذكور في السنة كما وجدوه مدونا بخط كاتبه"[3]. سنورده في الملحق*.

ويذكر ابن أبي أصيبعة بعدما عالج جبريل بن بختيشوع جارية الرشيد، فيقول:« وأمر الرشيد في الوقت لجبرائيل بخمسمائة ألف درهم، وأحبه مثل نفسه، وجعله رئيسا على جميع الأطباء»[4]. حتى أن البرامكة شجعوا عمل الترجمة، الذي كان قد بدأ في خلافة المهدي الخليفة الثالث حكم من (158-199هـ/775-785م)، ومن المحتمل أن تكون قد أسست بدافع منهم المكتبة الشهيرة التي عُرفت بخزانة الحكمة والتي صارت من بعد نواة معهد الترجمة الذي سُمي« بيت الحكمة» وقد استقدم يحي البرمكي إلى بغداد لإدارة البيمارستان الذي أنشاه طبيبا هنديا، عرّف العرب بالطب الهندي من خلال ترجماته، وقد جاء لعلاج الرشيد من جنديسابور أيضا ماسويه بن يوحنا الصيدلاني والكحال، وأول ساعور في أول بيمارستان أنشئ ببغداد[5].

ويقول " آدم ميتز" في ذلك:« ثم جاء البرمكة، وكانوا بعيدين عن الإيمان كل البعد فأسسوا بيمارستانا أسندوا رياسته لطبيب هندي»[6] .

ويقول " ابن العبري":« ثم لما أفضت الخلافة فيهم إلى الخليفة السابع عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، تمم ما بدأ به جده المنصور، فأقبل على طلب العلم في مواضعة وداخل ملوك الروم، وسألهم صِلتَهُ بما لديهم من كتب

---

[1] **كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي**، 06 أجزاء، تر، عبد الحليم نجار، ط5، نشر، دار المعارف، القاهرة، (د ت)، ج4، ص 91.

[2] **جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي**، خمسة أجزاء، ط2، نشر، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د ت)،ج1، ص 386.

[3]**المرجع نفسه**، ص 394.

* أنظر/ الملحق رقم (01).

[4] **ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه**، ص 188.

[5] **جَان مُوريسْ فييه: مرجع سابق**، ص 84.

[6] **آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**،جزأن، تر، محمد عبد الهادي أبو رَيدة، ط5، نشر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د ت)، مج2، ص 205.

الفلسفة، فبعثوا إليه منها ما حضرهم .فاستجاد لها مَهَرة التراجمة وكلفهم إحكام ترجمتها فترجِمت له على غاية ما أمكن، ثم حرّض الناس على قراءتها ورغّبهم في تعليمها»[1] .

ويقول أبو الفدا عن المأمون:« وأتحف ملوك الروم بالهدايا سائلا أن يصلوه بما لديهم من كتب الفلاسفة، فبعثوا إليه بعدد كبير من كتب :أفلاطون، وأرسطوا طاليس، وأبقراط، وجالينوس،وإقليدس، وبطليموس وغيرهم»[2].

ويضيف صاعد الأندلسي:« ...فاستجاد لها مهرة التراجمة وكلفهم إحكام ترجمتها فترجمت له على غاية ما أمكن ثم حضّ الناس على قراءتها ورغبهم في تعليمها فنفقت سوق العلم في زمانه وقامت دولة الحكمة في عصره »[3].

أما ابن النديم فيقول عنه:« كان بين المأمون وملك الروم مراسلات، وقد إستظهر عليه المأمون فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن في إنفاد ما من مختار من العلوم القديمة المخزونة المدّخرة ببلد الروم فأجاب إلى ذلك، فأخرج المأمون لذلك منهم: الحجاح بن مطر، وابن البطريق، وسلما صاحب بيت الحكمة وغيرهم، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا فلما حملوه إليه أمرهم بنقله، فَنُقل»[4].

-**بيت الحكمة:**لا مناص من أن نتعرف على هذا الصرح الكبير الذي يعتبر أول مجتمع علمي ذي شأن في العالم الإسلامي، أنفقت عليه الدولة العباسية بسخاء، فهو أحد مآثر الخليفة هارون الرشيد، وفي أيام المأمون وصل نشاط (بيت الحكمة) إلى غاية مداه فزيادة على ما نقله الرشيد إلى بيت الحكمة مما غنمه من الفتوحات، نقل أيضا المأمون ما وصل إليه من مشارق الأرض ومغاربها، وعين سهل بن هارون أمينا على هذا البيت حيث كُتب الفلاسفة التي نقلت إليه من جزيرة قبرص، ومجموعة جاءت من القسطنطينية طلبها المأمون من ملك الروم، وكذلك جيء بمجموعة من الكتب من أصفهان بأمر من المأمون إستخرجها له الفضل بن العميد، وما أضيف إليه من خزائن الكتب القديمة التي يؤتى بها يوما بعد يوم من بلاد اليونان وفارس والهند.

وأقام عليه الخليفة المأمون جهازا كاملا من الموظفين يؤدون جميع الخدمات المطلوبة فيه فمنهم المترجمون، وإلى جانبهم يوجد الناسخون وهناك الخازنون وهم من يتولون خزن الكتب وتوزيعها في الأماكن المخصصة لها، وكذلك منهم المجلِّدون الذين يتولّون تجليد الكتب الأصلية والنُّقول التي وضعت لها .ومنهم المناولون وهم حلقة الإتصال بين (بيت الحكمة) ورواده من العلماء والطلاب والمدرسين وشاركت حتى النساء فيها بقسط وافر[5].

---

[1] **ابن العبري : مصدر سابق،** ص 136.

[2] **أبو الفدا: مصدر سابق،** ص 46.

[3] **أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي: طبقات الأمم،** ذيّله بالحواشي، الأب لويس شيخو الياسوعي، نشر، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، 1330هـ/1912م، ص 48.

[4] **ابن النديم: مصدر سابق،** ص 244.

[5] **أحمد أمين، مرجع سابق،** ج2، ص 61 فما بعدها بعدة صفحات.

وكان يجتمع فيه العلماء للدرس والإطلاع، ويلجأ إليه الطلاب للقراءة، والتعليم ويؤمه الباحثون من مختلف الأقطار الإسلامية.

وظل بيت الحكمة قائما إلى أن أهمله بعض الحكام الجهلة، وتوالت عليه الأحداث بعد ذلك حتى دالت دولته عندما داهم المغول بغداد سنة (656هـ/1258م)، وخرّبوها وبذلك « ذهبت خزانة الكتب فيما بعد، وذهبت معالمها، وأُعفيت آثارها»كما يقول القلقشندي[1] .

ويذكر " الزوبير بن بكار" في سيرة المأمون ببغداد. قال: " حدثني الزبير قال: حدثني محمد بن جعفر الأنماطي، وكان أحد الفقهاء العشرة قال:« تغذينا في يوم عيد مع المأمون فأظنُّه قد وضع على المائدة بين يديه أكثر من ثلاثمائة لون، قال: فكلما وُضع لون. نظر إليه المأمون وقال: هذا نافع لكذا، ضار من كذا. فمن كان منكم صاحب صفراء فليأكل من هذا، ومن غلبت عليه السوداء فلا يعرض لهذا، ومن أحب الزيادة في لحمه فليأكل من هذا، ومن قصده قلة الغذاء فليقتصر على هذا. قال : فوالله إن تلك حالُه في كل ما يُقدَّمُ، حتى رُفعت الموائد...»[2] .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدلّ على سعة إطلاع المأمون على العلوم وفهمه في ميدان الطب فهو أكبر حافز للرعية على الإقتداء به، فالناس على دين ملوكهم كما يُقال، وهكذا جُلُّ الخلفاء والسلاطين كانوا يهتمون بتشجيع الطب والترجمة وجميع العلوم وبناء البيمارستانات والمدارس.

ومن بين السلاطين نجد عماد الدين زنكي، فيروى عنه ابن العديم فيقول: « وكان كثير الخير والمعروف، وبنى بسنجار مدرسة هو مدفون بها، وبيمارستانات، وبنى بنصيبين مدرسة لأصحاب أبي حنيفة، ووقف على ذلك وقوفا»[3].

ويقول الطباخ عنه:« بنى المدارس بجميع بلاد الشام الكبار مثل دمشق، وحلب، وحماه، وحمص..وبحماه الجامع الذي على نهر العاصي، وجامع الرُّها، وجامع منبج، وبيمارستان دمشق»[4].

---

(1) **محمد عبد الرحمن مرحبا: مرجع سابق**، ص 242 فما بعدها بعدة صفحات.

(2) **الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات**، تح، سامي مَكي العاني، ط2، دار النشر، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1416هـ/ 1996م، ص ص 44– 45؛ طيفور أحمد بن أبي طاهر: **كتاب بغداد**، إظهار، هَنْسْ كلَّر، دار الجنان، بيروت، ج6، ص ص 35- 36.

(3) **كمال الدين عمر بن أحمد ابن العديم: بغية الطلبْ في تاريخ حلب**، تح، سهيل زكار، 10 مجلدات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (دت)، ج1، ص 3864.

(4) **الطباخ محمد راغب الحلبي: إعلام النبلاء بتاريخ حَلبْ الشهباء**، تصحيح وتعليق، محمد كمال،07 أجزاء، ط2، نشر، دار القلم العربي، حلب، سوريا، 1480هـ/ 1988م، ج2، ص 62.

أما السلطان صلاح الدين فيقول عنه المقريزي في السلوك:« سار السلطان إلى الإسكندرية فدخل خامس عشر شوال، وشرع في قراءة الموطأ يوم الخميس... وأنشأ بها بيمارستانا ودار المغاربة»[1].

ويقول أيضا: « وفي تاسعه: أمر بفتح المارستان الصلاحي، وأفرد برسمه من أجرة الرباع الديوانية مشاهرة مبلغها مائتا دينار، وغلاّت جهتها الفيوم، واستخدم له أطباء وغيرهم »[2]

أما عضد الدولة فناخسرو (338-372هـ/949-982م)، فقد استدعى الطبيب أبو علي أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه الأصفهاني للعمل في البيمارستان الذي أنشأه في بغداد[3].

ومن مظاهر تشجيع الخلفاء أيضا نرى معاملة أهل الذمة كغيرهم من المسلمين:« فكانوا صيارفة وتجار، وأصحاب ضياع وأطباء، بل نراهم نظموا أنفسهم بحيث كان معظم الصيارفة والجهابذة في الشام مثلا يهودا، على حين كان أكثر الأطباء، والكتبة نصارى، كما كان رئيس النصارى ببغداد هو طبيب الخليفة، وكان رؤساء اليهود وجهابذتهم عنده »[4].

وأما حياة الذمي:« فإنها عند فقهائنا كأبي حنيفة النعمان، وأحمد بن حنبل، فهي تكافئ حياة المسلم، وديته دية المسلم، وهي مهمة جدا من حيث المبدأ، أما عند الإمام مالك، فدية اليهودي أو النصراني نصف دية المسلم، وعند الشافعي ثلثها ولم تكن الحكومة تتدخل في شعائرهم الدينية »[5].

وهكذا نرى خاصية الإنفتاح على الغير ومشاركة الذّمي في العمل الطبي، كانت من بين العوامل التي أثرت الحضارة الإسلامية والعلوم الطبية.

ونرى أيضا أن الملك العادل عند خروجه من الكرك، وعزمه المسير إلى دمشق كان مع طبيبهِ ومعه خادمه والشربدار يصلح الشراب[6].

أما الرازي فقد وَسم كتاب الطب " المنصوري" باسم المنصور بن إسحاق بن أحمد بن نوح، وقد حكى ابن جُلجُل:« أن الرازي المذكور صنف للمنصور كتابا في إثبات صناعة الكيمياء وقصده به من بغداد فدفع له الكتاب، فأعجبه، وشكرهُ، وحبَاهُ بألف دينار»[7].

[1] **المقريزي أحمد بن عبد القادر: السلوك لمعرفة دول الملوك**، تح، محمد عبد القادر عطا، 8 أجزاء، ط1،نشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ/1997م، ج1، ص 187.

[2] **نفسه**.

[3] **كارل بروكلمان: مرجع سابق**، ص 293.

[4] **آدم ميتز: مرجع سابق**،ج1، ص 86.

[5] **المرجع نفسه**، ص 87.

[6] **المكين جرجِسْ بن العميد: أخبار الأيوبيين**، نشر، مكتبة الثقافة الدينية، ش، بور سعيد، الظاهر، مصر، (د ت)، ص8.

[7] **ابن خلكان: مصدر سابق**، ج5، ص 160.

يذكر أيضا " ابن خلكان":« أن ابن شاكر، محمد بن موسى بن شاكر، أحد الأخوة الثلاثة وأخويه أحمد والحسن، شاركوا في جلب الكتب من بلاد الروم، وأحضروا النقلة من الأصقاع الشاسعة بالبذل السّنّي، فأظهروا عجائب الحكمة »[1].

ويقول ابن جُبير: « أن الملك غليام أو غليوم الثاني الملقب بالصالح ملك صقلية، لهذا الملك القصور المشيدة وله الأطباء والمنجّمون وهو كثير الإعتناء بهم، حتى إنه متى ذُكر له أن طبيبا أو منجما إجتاز ببلده أمر بإمساكه وأدرَّ له أرزاق معيشته حتى يُسلّيه عن وطنه»[2].

ثالثا: ترجمة الكتب الطبية

1- أعلام المترجمين:

قام الخلفاء والسلاطين بتشجيع الطب والترجمة، وأقاموا باستجلاب عدد من الأطباء من أصقاع العالم، ومن المدارس المشهورة، وقد قسم العلماء مراحل الترجمة والنقل عند العباسيين إلى ثلاث مراحل[3].

المرحلة الأولى: تمتد من خلافة جعفر المنصور إلى آخر عهد هارون الرشيد أي من سنة (136-193هـ/754-809م)، اشتهر فيها أعلام كأسرة بختيشوع ومنهم جورجيس بن جبرائيل، استدعاه الخليفة المنصور، عاش إلى سنة(148هـ/766م)، وهو أول من ابتدأ في نقل الكتب الطبية إلى اللسان العربي[4].

وأيضا يوحنا بن ماسويه: يذكر ابن العبري: « أنه نصراني سرياني ولاَّه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة...وكانت له تصانيف جميلة، وكان يعقد مجلسا للنظر»[5].

ويضيف الشطي،وقد أدرك أيام المتوكل واعتنى في الأغلب بالكتب الطبية[6].

أما نزار خوام، فيقول: « يوحنا بن ماسويه من أطباء جنديسابور، ومن أوائل المترجمين المجيدين، هاجر إلى بغداد في أوائل القرن الثالث الهجري، ومارس الطب فيها إلى أن اشتهر فقربه إليه الخليفة هارون الرشيد، وأوكل إليه رئاسة دار الحكمة، هذا وأن بعض الكتب تشكك في حقيقة كونه معاصراً للرشيد. لكنه بقي في خدمة خلفاء بني العباس؛ حتى المتوكل »[7] .

---

(1) **ابن خلكان: نفس المصدر**، ص161.

(2) **أبو الحسين محمد بن أحمد ابن جبير الكناني الأندلسي البلنسي: رحلة ابن جبير**، (د ط)، دار صادر، بيروت، لبنان، 1404هـ/1984م، ص 298.

(3) **شوكت الشطي: مرجع سابق**، ص 196؛ **أحمد أمين: مرجع سابق**، ص 282.

(4) **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص279.

(5) **ابن العبري: مصدر سابق**، ص131.

(6) **شوكت الشطي: المرجع السابق**، ص 196؛ **بروكلمان: مرجع سابق**، ص 264.

(7) **نفسه.**

وكان في خلافة المأمون رئيسا للمترجمين[1].

وأما سلاّم الأبرش، كان قليل النقل متوسطه، وأما نقله في آخر عُمره يضاهي نقل حنين[2]، كما استقدم يحي البرمكي لإدارة البيمارستان الذي أنشاه في بغداد طبيبا هنديا* . قام بترجمات تعرّف من خلالها العرب على الطب الهندي، وكان في أيام البرامكة أيضا باسيل المطران نقل كتبا كثيرة، وكان نقله أميل إلى الجودة[3].

المرحلة الثانية: وتمتد من ولاية المأمون سنة (198هـ/814م) إلى سنة (300هـ/913م)، واشتهر فيها من المترجمين يوحنا ابن البطريق « مولى المأمون، وكانت الفلسفة أغلب عليه من الطب، وترجم كثيرا من كتب أرسطو»[4]، وكان لاتينيا يعرف لغة الروم اليوم وكتابتها[5].

أيضا من المترجمين في هذه المرحلة، الحجاج بن مطر، الذي عاش سنة 214هـ/830م[6] .

ويقول عنه صاحب عيون الأنباء، نقل للمأمون، ومن نقله كتاب " إقليدس"، ثم أصلح نقله فيما بعد ثابت بن قرة الحرّاني وابن ناعمة واسمه عبد المسيح الحمصي الناعمي، كان متوسط النقل، وهو إلى الجودة أميل[7].

ومن أشهر المترجمين أيضا، حُنين ابن إسحاق العبادي** المتوفى سنة (260هـ/874م)، يقول عنه ابن أبي أصيبعة كان عالما باللغات الأربع غريبها ومستعملها، العربية، السريانية، اليونانية، الفارسية، ونقله في غاية الجودة[8].

---

(1) **محمد نزار خوّام وآخرون: مرجع سابق**، ص 56؛ **جان موريس فييه: مرجع سابق**، ص 84.

(2) **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص 280.

* يدعى هذا الطبيب:"ابن الدهان" عند العرب، أنظر/ **جان موريس فييه، المرجع السابق**، ص 99.

(3) **ابن أبي أصيبعة:المصدر السابق**، ص281.

(4) **أحمد أمين: مرجع سابق**، ج1، ص 282؛ **ابن جُلجل: مصدر سابق**، ص67.

(5) **ابن أبي أصيبعة:المصدر السابق** ، ص282.

(6) **شوكت الشطي: مرجع سابق**، ص196.

(7) **ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق**، ص280.

** العباد قبائل شتى من بطون العرب، نزلوا الحيرة وكانوا نصارى، ويعد حنينا من أئمة الترجمة في الإسلام، وقد كان رئيسا لبيت الحكمة في بغداد، أنظر/ **ابن جُلجل: المصدر السابق**، هامش ص 68.

(8) **ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق**، ص279.

يقول عنه أحمد أمين: « اتصل أول أمره بالمأمون، وعُين في بيت الحكمة الذي كان يزخر بالكتب اليونانية التي نقلت من آسيا الصغرى، ومن القسطنطينية، فأخذ حُنين يُترجم منها إلى السريانية أولا، ثم إلى العربية، ثم ترجم للمعتصم والواثق والمتوكل، ولم يكتف بما جُمع في بيت الحكمة، بل رحل في نواحي العراق، وسافر إلى الشام والإسكندرية وبلاد الروم، يجمع الكتب النادرة، ومات سنة (224هـ/839م) »[1].

ويقول عنه ابن جُلجل: « حنين ابن إسحاق، تلميذ يوحنا ابن ماسويه، عالما بلسان العرب، فصيحا باللسان اليوناني جدا، بارعا في اللسانين بلغ بها تمييز علل اللسانيين»[2].

ويقول أيضا: « ووضع له كُتَّابا نحارير عالمين بالترجمة، كانوا يترجمون، ويتصفح حنين ما ترجموا كإصطفن بن باسيل، وحُبيش* وموسى ابن أبي خالد الترجمان**، ويحي بن هارون»[3].

وأيضا من المترجمين: إسحاق بن حنين، كان عالما باللغات التي يعرفها أبوه وهو يلحق به في النقل، وكان إسحاق عذب العبارة، فصيح اللسان، وكان مع ذلك حنين أكثر تصنيفا ونقلا[4].

هذا وقد ترجمت في هذا العصر أغلب كتب أبقراط، جالينوس، أرسطوطاليس، وشيء من كتب أفلاطون، ومن التفاسير على الكتب المذكورة[5].

المرحلة الثالثة:

تمتد هذه المرحلة من سنة ثلاثمائة للهجرة وهي تاريخ وفاة حبيش إلى منتصف القرن الرابع الهجري[6].

ومن بين مترجمي هذه الطبقة، متىّ بن يونس، وتاريخ وفاته مجهول إلا أنه يذكر أنه كان ببغداد في سنة(320هـ/932م)[7].

وأيضا من ضمن مترجمي هذه المرحلة، سنان بن ثابت بن قرة مات سنة 360هـ/971م، ونقل إلى العربي، نواميس هرمس، والسور، كما أصلح لكتب أبي سهل الكوهي وإصلاحه وتهذيبه لشيء نقله أبو سهل الكوهي من كتاب يوسف القس من السرياني إلى العربي[8].

---

(1) **أحمد أمين: مرجع سابق**، ج1، ص: 303؛ **ابن جُلجل: مصدر سابق**، ص69.

(2) **المصدر نفسه**، ص68.

* هو حبيش بن الحسن الدمشقي، المعروف بحبيش الأعسم، وهو ابن أخت حنين بن إسحاق وتلميذه، وقد اشتهر بالطب والحكمة، ويذكر ابن القفطي: «أن من جملة سعادة حنين، صحبة حبيش له، فإن أكثر ما نقله حبيش نسب إلى حنين»، انظر/ **ابن القفطي، مصدر سابق**، ص 177.

** في عيون الأنباء " موسى بن خالد الترجمان كان لا يصل إلى درجة حنين أو يقرب منها"، انظر/ **ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق**، ص 281.

(3) **ابن جُلجل: المصدر السابق**، ص69.

(4) **ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق**، ص279.

(5) **الشطي: مرجع سابق**، ص197.

(6) **نفسه**.

(7) **نفسه؛ أحمد أمين، المرجع السابق**، ص 283.

(8) **ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق**، ص304؛ **شوكت الشطي: المرجع السابق**، ص 197.

كذلك يحي بن عدي المتوفى سنة (364هـ/975م)[1]، كذلك أبو علي بن زرعة الذي عاش (من سنة 331 إلى سنة 398هـ /943- 1008م) وكان نصرانيا يعقوبي النحلة إشتغل بالفلسفة والطب في بغداد وترجم كتب طبية وفلسفية[2].

أيضا هناك من المترجمين في هذه المرحلة هلال بن هلال الحمصي كان صحيح النقل ولم يكن عنده فصاحة ولا بلاغة في اللفظ[3] ، وكان أكثر اشتغاله بالكتب المنطقية والطبيعية لأرسطو[4] ، أيضا شهد الكرخي كان قريب الحال في الترجمة[5]، ومن نقله كتاب الأجنة لأبقراط [6]، أيضا يعقوب بن إسحاق الكندي[7]

وهناك غير هؤلاء:« مثل زكريا الطيفوري، وسهل بن سابور المعروف (بالكوسج)، وسلمويه بن بنان صاحب المعتصم، وصالح بن بهلة الهندي...وغيرهم»[8].

2- الكتب المترجمة:

بعد أن تطرقنا إلى جملة من أعلام المترجمين، نحاول تقصّي بعض الكتب التي صنّفت أو التي ترجمت في الميدان الطبي سواء من اللسان اليوناني إلى العربي، إلى من اللسان الهندي إلى العربي أو غيرها من اللغات، فلقد شهد القرون من الثاني إلى الرابع الهجري نشاطا في الترجمة لم تشهده الدولة الإسلامية بعد ذلك.

وقد كان جورجيس بن جبرائيل الطبيب الذي عاش سنة (148هـ/766م) وخدم الخليفة المنصور، أول من ابتدأ في نقل الكتب الطبية إلى اللسان العربي[9]، وله من الكتب كتاب الكناش المعروف[10].

(1) **أحمد أمين: مرجع سابق**، ص 283.

(2) **كارل بروكلمان: مرجع سابق**، ص122.

(3) **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص280.

(4) **شوكت الشطي: مرجع سابق**، ص 197.

(5) **ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق**، ص 280.

(6) **نفسه؛ كارل بروكلمان: المرجع السابق**، ص123.

(7) **ابن العبري: مصدر سابق**، ص 149؛ **محمد نزار خوّام: مرجع سابق**، ص57 .

(8) **الشطي: المرجع السابق**، ص 197 ؛ **ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق**، ص 280 فما بعدها بعدة صفحات.

(9) **نفسه.**

(10) **ابن النديم، مصدر سابق**، ص293.

من الكتب المترجمة: كتاب الكناش لأهرن القس، وجعله ثلاثين مقالة، نقله إلى العربية ماسرجيس وزاد عليه مقالتين(1)، ولماسرجيس من الكتب: كتاب " قوى الأطعمة ومنافعها ومضارها"، وكتاب " قوى العقاقير ومنافعها ومضارها"(2).

أما يحي بن سرافيون، فقد نقل كتاباه في الطب إلى العربي: " كتاب كناش يوحنا الكبير" إثنا عشرة مقالة وكتاب " الكناش الصغير"سبع مقالات"(3).

ويقول بروكلمان عن كناش (سرابيون)، " الكناش"، «كتاب سرياني، منه نسخة كبيرة في إثني عشرة مقالة، ونسخة صغيرة في سبع مقالات، ترجمه إلى العربية موسى بن إبراهيم الحديثي وبربهلول»(4).

أما كتاب" ديسقوريدس": « صناعة الطب»، فإن من نقله، إصطفن بن باسيل، وأصلحه حنين(5). ونقل اصطفن بن باسيل كتبا كثيرة، وكان نقله أميل إلى الجودة(6).

أما حنين بن إسحاق العبادي، فإنه كان إمام وقته في صناعة الطب وكان يعرف لغة اليونانيين، معرفة تامة، وهو الذي عرّب كتاب " إقليدس"، ونقله من لغة اليونانيين إلى لغة العرب، ثم نقحة ثابت بن قرّة وهذّبه(7).

وقد اتصل حنين بالخليفة العباسي المأمون، وجعله رئيسا لديوان الترجمة في بيت الحكمة توفي سنة (260هـ/874م)، كما جاء في كتب التراجم(8) .

يقول عادل نويهض محقق كتاب ابن قنفذ، "الوفيات":«أما عن مؤلفات حنين ومترجماته فهي كثيرة تزيد على مائة، ويضيف قال يوسف شلحت: أن حنينا ترجم من اللغة اليونانية إلى اللغتين السريانية والعربية 260 كتابا ووضع نحو 115 تأليفا»(9).

(1) **ابن النديم: نفس المصدر** ، ص293؛ **ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق**، ص 232.

(2) **ابن النديم،: المصدر السابق**، ص 293.

(3) **المصدر نفسه**، ص 292.

(4) **بروكلمان: مرجع سابق**، ص 269.

(5) **المرجع نفسه**، ص 115.

(6) **ابن أبي أصيبعة: م ص**، ص281.

(7) **أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ط2، نشر، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1413هـ/1993م، ج2، ص 172؛ **ابن خلكان: مصدر سابق**، ج2، ص217.

(8) **أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني: كتاب الوفيات**، تح، عادل نويهض، ط4، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م، ص182.

(9) **المصدر نفسه**، هامش، ص 184.

ويقول أحمد أمين:« أكثر ما ترجمه حنين كتب طبية، خاصة كتب جالينوس فقد ذكروا أنه ترجم من السريانية من كتب جالينوس خمسة وتسعين كتابا، وترجم إلى العربية منها تسعة وثلاثين وأصلح ما ترجمه تلاميذه وهي ستة إلى السريانية، ونحو من سبعين إلى العربية»[1].

كما أدخل كتاب العين بغداد، وقرأ في بغداد على الطبيب المشهور، يوحنا بن ماسويه [2].

ويذكر أيضا ماهر عبد القادر أهم الكتابات الطبية التي ترجمها حنين ابن إسحاق من اليونانية أو السريانية إلى العربية، وهي لأبقراط، وجالينوس، «كتاب الفرق، وهو لجالينوس، كتاب النبض الصغير، كتاب في العظام، كتاب في العصب، وكتاب في العروق، كتاب المزاج، كتاب البُحران*، كتاب علاج التشريح، كتاب تشريح الأموات، كتاب في علم أبقراط بالتشريح، كتاب في تشريح الرحم، كتاب في حركة الصدر والرئة....»[3].

وقد نقل ابن شهدي الكرخي من السرياني إلى العربي:«كتاب الأجنة لأبقراط وغيره»[4].

ويقول ابن أبي أصيبعة أيضا، عن موسى بن خالد الترجمان: «وجدت من نقله كتبا كثيرة من الستة عشر لجالينوس وغيرهما»[5].

ونقل ثابت الناقل: « كتاب الكيموس لجالينوس»[6].

ويذكر ابن خلكان بأن: «إسحاق ابن حنين كان يلحق بأبيه في النقل وفي معرفته باللغات كما كان يفعل أبوه، وكان يخدم الخلفاء والرؤساء، إلا أن الذي يوجد من تعريب في كتب الحكمة من كلام أو كتب أرسطوطاليس وغيره أكثر مما يوجد في تعريبه لكتب الطب»[7].

كما ترجم الحسين بن إبراهيم بن الحسن بن خورشيد الطبري للأمير أبي علي الساجوري سنة (380هـ/999م)، ترجمة مصححة لكتاب " الحشائش لديسقوريدس"[8].

---

[1] **أحمد أمين: مرجع سابق** ، ج1، ص 303.

[2] **بروكلمان: مرجع سابق** ، ص 103.

* البُحران: حالة تُحدِث للعليل دفعة. إستفراغا وتغييرا عظيما ويكون هذا في الأمراض الحادة أكثر، أنظر/ الخوارزمي، مصدر سابق، ص205. أما ابن سينا فيذكر في كتابه " القانون في الطب" بأن البُحران لفظ يوناني المقصود به فصل الخطاب وتأويله تغير يكون دفعة إما بجانب الصحة وإما إلى جانب المرض، أنظر/ **شخوم سعدي، الطب والأطباء في الأندلس**، أطروحة الدكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 1430هـ/2009م، ص 100.

[3] **ماهر عبد القادر: مقدمة في تاريخ الطب العربي**، ط1، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م، ص 31.

[4] **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص 280.

[5] **المصدر نفسه**، ص 281.

[6] **المصدر نفسه**، ص 282

[7] **ابن خلكان: مصدر سابق**، ج1، ص 205.

[8] **بروكلمان: المرجع السابق**، ص 122.

أما حبيش بن الحسن الأعسم الدمشقي ابن أخت حنين وتلميذه كان يعاون خاله كثيرا في النقل حتى أدّى ذلك إلى بعض الخلط بين ترجماتهما، ومما نقله كتاب عهد أبقراط، كتاب الماء لبقراط، كتاب "الحشائش" لديسقوريدس[1].

أمّا قسطا بن لوقا البعلبكي المولود في حدود (205هـ/820م) من النصارى فقد ترجم للخليفة المستعين* (248-251هـ/862-866م)، كتابين: لإيرُن "Heron"، وثيودوسيوس " Theodosius"، كما ألف كتابه "الجامع في الدخول إلى علم الطب"[2].

ويقول عنه ابن النديم:« وقد ترجم قسطا بن لوقا، قطعة من الكتب القديمة وكان بارعا في علوم كثيرة منها الطب والفلسفة»[3].

وله من الكتب سوى ما نقل وفسر وشرح« كتاب "الدم"، كتاب "البلغم"، كتاب"الصفراء"، كتاب "السوداء"، كتاب "علة موت الفجأة"...»[4].

أما يوحنا بن ماسويه، شيخ حنين إبن إسحاق خدم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وله من الكتب: كتاب "الكمال والتمام"، كتاب"دفع ضرر الأغذية"، كتاب "الإسهال"، كتاب "علاج الصداع"، كتاب "محنة الطبيب"،....[5].

ويقول ابن جلجل:« وله في الطب أسرار خلدها، وله كتاب سماه " البرهان"، وكتاب في " الفصد والحجامة"، وكتاب في " الأدوية"،...»[6].

أما علي بن سهل الطبري له من المصنفات: « كتاب" فردوس الحكمة" يحتوي على ثلاثين مقالة، وكتاب " منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير"،...»[7].

هناك كتب هندية في الطب مترجمة للعربية منها:

-كتاب "سرد عشر مقالات"، أمر يحي بن خالد البرمكي " منكه الهندي" بتفسيره، ويجري مجرى الكناش.

-كتاب "إستانكر الجامع"، تفسير بن دَهَن.

-كتاب "مختصر للهند في العقاقير".

---

(1) **بروكلمان: نفس المرجع**، ص ص 117-118.

* هو الخليفة العباسي الثاني عشر. أحمد بن المعتصم، حكم من(248-252هـ/862-866م)

(2) **المرجع نفسه**: ص 97.

(3) **ابن النديم: مصدر سابق**، ص ص 291-292.

(4) **نفسه**: ص 292.

(5) **نفسه**.

(6) **ابن جلجل: مصدر سابق**، ص 65.

(7) **ابن النديم: المصدر السابق**، ص ص 292-293.

-كتاب "روسا الهندية في علاجات النساء"[1].

أما الكتب الفارسية التي نقلت للعربية فمنها: كتاب " كناش تيادورس*"[2].

واعتبرت ترجمة هذه الكتب الرافد الثاني لأصول الطب الإسلامي العربي في الدولة العباسية. فبعد أن رأينا الأصل الأول المتمثل في الطب النبوي، دخلت هذه المؤلفات على الأمة بما تحمله من علم وفلسفات ومثلت بحق الأصل الفلسفي للطب العربي الإسلامي بما تحمله من معارف ونظريات، كنظرية الأخلاط الأربعة المنسوبة لأبقراط ونظرية البُحران وغيرها من النظريات.

وتناوُلنا لحركة الترجمة ينصب أساساً على بعض أعلامها ولا يمثل تناولا تاما للحركة كلها وعصرها الذهبي، إلا أن ذكر البعض هنا، يمثل أهمية خاصة في فهم الدور الحقيقي الذي لعبته الكتابات المنقولة إلى العالم الإسلامي عبر حركة الترجمة، وتلي هذه المرحلة مرحلة ثالثة، وتمثلت في النشاط التأليفي والإبتكاري الذي أبدع فيه الأطباء أيما إبداع، وسوف نتناول هذه المرحلة على امتداد البحث.

---

(1) **ابن النديم: نفس المصدر**، ص 298.

* **تيادورس:** كان نصرانيا وبنى له سابور ذو الأكتاف البِيَع في بلده.

(2) **المصدر نفسه:** ص 299.

المبحث الثالث: أعلام الأطباء والصيادلة في العصر الذهبي للخلافة العباسية

أولا: أعلام الأطباء:

تعتبر الفترة بين القرن الثالث والسابع الهجري الموافقة ما بين القرن التاسع والثالث عشر الميلادي عصرا ذهبيا للحضارة الإسلامية العربية وتميزت بظهور أعلام الفكر والعلم المسلمين الذين أبدعوا في مجالات العلم والفكر المختلفة، فبعد أن هضم المسلمون العرب علوم السابقين جاء دورهم للإسهام في الحضارة الإنسانية وظلت هذه الشعلة منارا للعلم والفكر حتى عصور متأخرة، ففي الوقت الذي انحدرت السلطة السياسية في هذه الدولة العظيمة وكثرت الإمارات والدويلات نجد أنها ازدهرت حضاريا وفكريا وإبداعا وإنتاجا، سواء من كان منهم من أصل فارسي، كالطبري والرازي وعلي بن العباس الأهوازي، وابن سينا، أو عرب كالبغدادي والزهراوي وابن النفيس أو غيرهم من هنود ويهود ونصارى.

وسنأتي على ذكر بعض من هؤلاء الرواد في تاريخ الطب والصيدلة مراعين في ذلك الترتيب التاريخي ثم الجغرافي.

1- أطباء بغداد:

- **ابن اللجلاج:** طبيب مذكور كان في زمن الخليفة المنصور (136-158هـ/ 754-775م)، من بني العباس، ولما حج المنصور حجته التي مات فيها كان في صحبته من بين المتطببين[1].

- **علي بن سهل بن ربن الطبري** والمعروف " بابن الطبري" (152-235هـ/770-850م) ولد بمرو، وقد أخذ عن والده كثير من العلوم، وسافر إلى العراق، وأخذ يقوم بالطبابة فيها..كما لازم المعتصم ومن بعده المتوكل، وربن[*] هذا كان له تقدم في علم اليهود وتختلف الروايات في إسلامه على يد المعتصم أو المتوكل، وألف ابن الطبري عددا من الكتب لعل أشهرها هو" فردوس الحكمة"[2]، يعتبر أقدم كتاب عربي عن الطب والصيدلة استعان في تأليفه بكتب أبقراط، وأرسطو، وجالينوس، ويوحنا بن ماسويه، وقد قسمه إلى سبعة أقسام في ثلاثين مقالة[3].

كما أنه عندما مرض المنصور، قيل له عن **جيورجيس بن جبريل بن بختيشوع** الجنديسابوري، أنه أفضل الأطباء، فتقدم بإحضاره، فتمكن من علاجه وكافأه المنصور على صنعه[7].

أيام الخليفة هارون الرشيد: كان الطبيب الهندي **ابن بهلة،** طبيب حسن الإصابة فيما يعانيه، وقد داوى ابن عم الخليفة الرشيد، بعدما عجز عنه أكابر الأطباء[5].

---

(1) **ابن القفطي: مصدر سابق،** ص 439؛ **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق،** ص 219.

* **الربن أو الربين والراب،** أسماء لمقدمي شريعة اليهود، أنظر/ **ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق،** ص 414.

(2) **نفسه؛ محمد نزار خوّام وآخرون: مرجع سابق،** ص 58؛ **ابن القفطي: المصدر السابق،** ص 231.

(3) **صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات،** تح: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى،30 جزء، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1420هـ/2000م،ج21، ص 102.

(7) **ابن العبري: مصدر سابق، الصفحة 124.**

(5) **نفسه،** ص 132؛ **ابن القفطي: المصدر السابق،** ص 215؛ **ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق،** ص 475.

وأيضا كان زمن الرشيد من أطباء الهند **منكة الهندي**، كان عالما بصناعة الطب حسن المعالجة لطيف التدبير وهو الذي نقل كتاب شاناق الهندي في السموم من اللغة الهندية إلى الفارسية، كما سافر إلى العراق واجتمع بهارون الرشيد وداواه[(1)].

وذكر أيضا ابن العمراني: «أنه كان طبيبا مع الرشيد عند خروجه إلى خراسان فلما كان في الطريق مرض فوصف له الطبيب جُمّار النخل، فأكل منها..»[(2)].

كما كان الطبيب **بختيشوع** في زمن الخليفة المهدي، وعالجه وكان جليلا في صناعة الطب، موقرا ببغداد لعلمه وصحبته للخليفة، وكان مسيحي المذهب[(3)].

أما **جبريل بن بختيشوع** فكان من أطباء الرشيد، وقد تحصل من جراء صنعته على مبالغ كبيرة جدا، وكان أيضا في بلاط الرشيد، أبو الحسن عيسى بن حكم الدمشقي[(4)].

أما **جبرائيل الكحّال** إختصّ بخدمة المأمون، وكانت وظيفته في كل شهر ألف درهم، وكان المأمون يستخفّ يده، وكان أول من يدخل إليه في كل يوم عند تسليمه من صلاة الغداة، ويغسل أجفانه ويكحّل عينيه[(5)].

أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي: المتوفى عام(255هـ/869م)، يدعى فيلسوف العرب والإسلام إنتقل إلى بغداد. ونال حظوة لدى الخليفتين المأمون والمعتصم، وكان عالما بالطب والصيدلة والكيمياء والفلسفة، ألف عددا لا بأس به من الكتب في العلوم المختلفة[(6)].

ومن الحرانيين كان **ثابت بن قرّة** سكن مدينة بغداد، وكان الغالب عليه الفلسفة دون الطب، وكان في دولة المعتضد، توفي عام (288هـ/901م)[(7)].

أما الطبيب **قسطا بن لوقا البعلبكي**، مسيحي النحلة، فقد كان طبيبا حادقا نبيلاً، فيلسوفاً منجماً، وله في الطب تواليف حسنة، ككتابة في "غلبة الدم"، وكتابه في "نسبه الأخلاط"، وكتابه في "الفرق بين النفس والروح"[(8)]، وكان زمن الخليفة العباسي المعتمد على الله أحمد بن المتوكل بن المعتصم[(9)].

---

(1) **ابن أبي أصيبعة: نفس المصدر**، ص 475؛ **الجاحظ: مصدر سابق**، ج7، ص 213.

(2) **محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني (ت 580هـ/1185م): الإنباء في تاريخ الخلفاء**، تح، قاسم السامرائي، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر، 1419هـ/1999م، ص 86.

(3) **ابن جلجل: مصدر سابق**، ص 63.

(4) **كارل بروكلمان: مرجع سابق**، ص 267.

(5) **ابن القفطي: مصدر سابق**، ص 152؛ **جان موريس فييه: مرجع سابق**، ص 119.

(6) **ابن جلجل: المصدر السابق**، ص 73؛**محمد نزار خوّام وآخرون: مرجع سابق**، ص 57.

(7) **محمد نزار خوّام وآخرون: نفسه؛ بن خلكان:مصدر سابق**، مج1، ص 313؛ **ابن قنفذ القسنطيني: مصدر سابق**، ص 193؛ **ابن جلجل: المصدر السابق** ، ص 75.

(8) **المصدر نفسه**، ص 76.

(9) **ابن العبري: مصدر سابق**، ص 149.

– **الطبيب ثابت بن سنان بن ثابت بن قرّة:** ويقول عنه اليافعي: « كان طبيبا عالما نبيلا يُقرأ عليه كتب: أبقراط، وجالينوس فكاكا للمعاني، سلك مسلك جده في نظرة الطب والهندسة»[1].

وفي أيام الخليفة المكتفي (289-295هـ/ 902-908م) ، اشتهر **يوسف الساهر** الطبيب ويعرف أيضا بالقس، وكان مشهوراً الذكر مكبّاً على الطب[2].

– **أبو بكر الرازي:** (240-320هـ/855-932م)، مولده ومنشؤه بالري*، سافر إلى بغداد وأقام بها مدة ،تعلم صناعة الطب بعد كبر ، كما تعلم الكيمياء، نذر نفسه لخدمة العلم والمرض، يعتبره الكثير أعظم طبيب كيميائي، أنجبته أمة الإسلام بلا منازع، وصنفه بعضهم مع أبوقراط في الإنجاز والفتح الطبي، وقال بعضهم أن الرازي كان في جملة من اجتمع على بناء البيمارستان العضدي، وكان أشهر الأطباء فاختاره عضد الدولة البويهي** من بين خمسين طبيبا، وكان أفضلهم فجعله ساعورا*** [3].

ويذكر نزار خوّام قوله: « يقال إن الرازي هو أول من استخدم خيوط معي القطط للخياطة الجراحية. وأول من استعمل الزئبق كمرهم للعين... »[4].

مؤلفاته: يعتبر كتابه " الحاوي في الطب"[5] أضخم موسوعة طبية لدى المسلمين العرب، يقع في أكثر من عشرين جزءاً ضخماً، ترجم إلى اللاتينية[6].

وكتاب " المنصوري " يقع في عشرة أجزاء.

وكتاب " منافع الأغذية". يبحث في دور الاغذية في الصحة وفي المرض.

وكتاب " الحصبة والجدري"[7].

وكتاب " من لا يحضره الطبيب"[8]، هذا وله كتب كثيرة وبديعة[9].

---

(1) **اليافعي: مصدر سابق،** ج2، ص 216.

(2) **ابن العبري: مصدر سابق،** ص 154.

* **الري**: مدينة قديمة جنوبي طهران، فتحها العرب زمن الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- سنة (17هـ/639م)، وفيها ولد هارون الرشيد، الخليفة العباسي، أنظر/ **ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق،** ص 414.

** ولد في أصفهان ومات ببغداد وكان محبا للعلوم محسنا للفقراء لقبه الخليفة بـ شاهنشاه (936- 983م)، أنظر/ **عيون الأنباء،** ص 320.

*** المقدم في معرفة الطب وأدائه، ورئيسا على الأطباء. والساعور بالسريانية معناه متفقد المرضى، أنظر/ **ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق،** ص 16.

(3) **المصدر نفسه،** ص 425؛ **محمد نزار خوّام وآخرون: مرجع سابق،** ص ص 59- 60 .

(4) **نفسه،** ص 60.

(5) **نفسه؛ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي،** ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1420هـ/1999م، ص 363.

(6) **بروكلمان: مرجع سابق،** ص 271.

(7) **ابن النديم: مصدر سابق،** ص 296 ؛ **شوكت الشطي: مرجع سابق،** ص 230.

(8) **محمد نزار خوّام وآخرون: المرجع السابق،** ص 61.

(9) **ابن جلجل: مصدر سابق،** ص 77.

ويعتبر الرازي أول من نادى باستقلال الصيدلة عن الطب، ونصح بعدم اللجوء إلى الأدوية المركبة[1]، وأكد أهمية التجربة في تركيب الأدوية والمراهم، وجرّب الأدوية على الحيوانات وعلى نفسه قبل إقرارها[2].

كذلك من أعلام الأطباء: **علي بن العباس المجوسي الأهوازي،** المتوفى سنة (332هـ/944م)، ولد بالأهواز جنوبي فارس، درس على موسى بن سيار*، جمع في كتابه " كامل الصناعة الطبية" الذي ألفه للملك عَضُد الدولة البويهي[3]، جمع فيه فن الطب بكامله في ذلك العصر، مشيرا إلى المؤلفين الأصليين، ويعرف كتابه " بالملكي" عشرون مقالة[4].

وقد ترجم كتابه إلى اللاتينية، قسطنيطين الإفريقي**، وترجمه ثانية إصطفن الأنطاكي حوالي سنة (596هـ/1200م)[5].

ويعتبر المجوسي من تلاميذ الرازي، ووجد لديه علما نظريا غزيرا، وعلما عمليا مستقرا[6].

ابن سينا: (371-428هـ/980-1037م)، هو أبو الحسين بن عبد الله بن سينا ولد بالقرب من بخارى، فيلسوف وعالم منطق وطبيب وبرع فيه.

ويقول عن نفسه: « ثم رغبت في علم الطب وصرت أقرأُ الكتب المصنفة فيه... وتعهدت المرضى فانفتح عليّ من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف... وكنت أرجع بالليل إلى داري وأضع السراج بين يدي وأشتغل بالقراءة والكتابة، ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها حتى إن كثيرا من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام»[7].

ومن مؤلفات الشيخ الرئيس ابن سينا كتاب " الشفا"، كتاب" اللواحق" وهو شرح للشفاء[8].ومن ضمن مؤلفاته:" كتاب القانون"[9].

---

(1) **اليافعي: مصدر سابق،** ص 263.

(2) **عصام عبد الرؤوف: مرجع سابق،** ص 365.

* هو أبو ماهر موسى بن يوسف بن سيار، من الأطباء المشهورين بالحذق وجودة المعرفة بصناعة الطب، وله من الكتب : مقالة في الفصد، الزيادة التي زادها على كناش الخف لإسحاق بن حنين، انظر/ **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق،** ص 319.

(3) **ابن القفطي: مصدر سابق،** ص 232.

(4) **ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق،** ص 320؛ **الصفدي: مصدر سابق،** ص 124.

** **قسطنطين الإفريقي:** مسلم عربي من تونس، تعلم في بغداد، وسافر إلى الهند، وعاد إلى تونس ، مات سنة (1078م)، كان أول من نقل إلى اللاتينية مؤلفات العرب الطبية، أنظر/ **شوكت الشطي: المرجع السابق،** ص 231. أما جاك ريسلر فيذكر أنه توفي سنة (1086م)، أنظر/ الصفحة 210.

(5) **شوكت الشطي : المرجع نفسه.**

(6) **أحمد أبو زيد: أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية،** دراسة أعدت بإشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، نشر، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1389هـ/1970م، ص 281.

(7) **ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق،** ص 438.

(8) **المصدر نفسه:** ص 457.

(9) **نفسه .**

يقول أبو عبيد الجوزجاني: « وفي مدة مقامه بجرجان صنف أول القانون ومختصر المجسطي»[1]، ثم صنف في أرض الجبل بقية كتبه[2].

ويقول عنه الشطي: « لم يكن ابن سينا في الطب مقلدا لأبقراط ولا لجالينوس، بل جمع بين مدرستيهما، ومزج تعاليمها، وأضاف إليهما مما حصل عليه من التجارب الخاصة فاهتدى إلى نظريات كثيرة. ضاع بعضها لأنه كتبها على قصاصات ومات قبل إضافتها إلى الكتاب»[3].

ويقول ابن سينا في أراجيزه عن تجاربه:

بدأت باسم الله في نظم حسن   أذكر ما جربته طول الزمن

ويقول أيضا:

هذا الذي جربته في عمري   نظمته للمقتفي لأثري[4].

ويذكر المؤرخون: « أنّ ابن سينا، أول من وصف الداء الخيطي، وذكر انتشار الدودة الخيطية في الجسم، وتعرض إلى الديدان المعوية، وذكر عوارضها، وهو أول من وصف الجمرة الخبيثة التي دعاها بالنار الفارسية، كما توسع القانون في دراسة تشريح الاعضاء ومنافعها وعملها، وقد وصف السكتة الدماغية وإلتهاب السحايا وغير ذلك »[5].

ومن أساتذة ابن سينا: « أبو منصور الحسن بن نوح القُمَري، الذي كان سيّد وقته وأوحد زمانه مشهورا بالجودة في صناعة الطب...فاضلا في فصولها وفروعها، حسن المعالجة»[6].

وكانت وفاة الرئيس ابن سينا سنة (428هـ/1037م)[7].

وقد كان لكتاب القانون شروحات كثيرة نظرا لأهميته، منها شرح القانون لفخر الدين الرازي، وشرح القانون لابن القف، وشرح القانون لابن النفيس[8].

– **عبد اللطيف البغدادي:** الشيخ موفق الدين (556-627هـ/1162-1231م) ، مَوصلي الأصل بغدادي المولد، كان مشهورا بالعلوم، متميزا في اللغة العربية ، عارفا بعلم الكلام والطب، قدم إلى دمشق ثم إلى القاهرة

(1) **ابن العبري: مصدر سابق**، ص 188.

(2) **ابن القفطي: مصدر سابق**، ص 418.

(3) **شوكت الشطي: مرجع سابق**، ص 246.

(4) **نفسه**، ص ص 246-247.

(5) **ابن أبي أصيبعة : مصدر سابق**، ص 449.

(6) **المصدر نفسه**، ص 244.

(7) **المصدر نفسه**، ص 445؛ **عبد الهادي محمد رضا محبوبة: نظام الملك، الحسن بن علي إسحاق الطوسي (408-485هـ)**، ط1، نشر الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 1419هـ/1999م، ص 169.

(8) **شوكت الشطي: المرجع السابق**، ص 254.

فأقام فيها. وكان له فيها الرواتب والجرايات من أولاد الملك الناصر صلاح الدين.

ثم توجه إلى دمشق سنة (604هـ/1208م)، ودرس الطب وشرع في التدريس والإشغال، وكان يتردد إليه جماعة[1]. ويقول في ذلك: «ورجعت إلى دمشق وأكببت على الإشتغال وإقراء الناس بالجامع وكلما أمعنت في كتب القدماء ازددت فيها رغبة، وفي كتب ابن سينا زهادة »[2].

– **الطبيب ابن شبيب البلخي**: هو أبو علي الحسن بن عبد الله، بلخي الأصل، بخاري المولد، عاش ثلاثا وخمسين سنة، يعرف بشيخ الفلسفة والطب، وينقل الذهبي من قول ابن خلكان قوله:« إغتسل ومات، وتصدق بماله وأعتق غلمانه». توفي سنة ثمان وعشرين وأربعة مائة[3].

– **أما الطبيب أبو الفرج عبد الله بن الطيب**: فهو عراقي فيلسوف فاضل، مطلع على علوم الأوائل، يقول عنه ابن القفطي– رحمه الله–:« فأما أنا وكل منصف فلا يقول إلا أن أبا الفرج بن الطيب، قد أحيا من هذه العلوم ما دثر، وأبان منها ما خفي، وقد تلمذ له جماعة سادوا وأفادوا، منهم المختار المعروف بابن بطلان»[4].

– **أما ابن بطلان**: فهو طبيب نصراني بغدادي، وكان يرتزق بصناعة الطب وخرج عن بغداد إلى الموصل وديار بكر، ودخل حلب وأقام بها مدة، وخرج عنها إلى مصر فأقام بها مدة قريبة، واجتمع بالطبيب ابن رضوان المصري، الفيلسوف، وجرت بينهما منافرة أحدثتها المغالبة في المناظرة، وخرج ابن بطلان عن مصر مغضبا على ابن رضوان وورد أنطاكية ، وأقام بها ونزل بعض الأديرة بأنطاكية، وترهّب وانقطع إلى العبادة إلى أن توفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة[5].

ومن أطباء الدولة العباسية في عصرها الذهبي أيضا: **أبو الخطاب محمد بن محمد بن أبي طالب،** كان مُقامه ببغداد، قرأ صناعة الطب على أبي الحسن سعيد بن هبة الله وكان متميزا في الطب وعمله، وله كتاب"الشامل في الطب" جعله على طريق المسألة والجواب، وهو يشتمل على ثلاث وستين مقالة[6].

ويذكر غريغوريوس:« أنه كان في وسط المائة السادسة هجرية من الأطباء المشار إليهم في الآفاق، ثلاثة أفاضل معا من ثلاث ملل، كل منهم هبة الله إسما ومعنى من النصارى ، واليهود، والمسلمين،..أما **هبة الله ابن صاعد بن التلميذ الطبيب النصراني البغدادي** ، ففاضل زمانه وعالم أوانه، خدم الخلفاء من بني العباس، وكان موفّقا في المباشرة والمعالجة عالما بقوانين هذه الصناعة، توفي سنة ستين وخمسمائة »[7].

---

(1) **الشطي**: **نفس المرجع**، ص 307.

(2) **ابن أبي أصيبعة**: **مصدر سابق**، ص 688.

(3) **الذهبي**: **دول الإسلام**، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان،1405هـ/1985م، مج1، ص 224.

(4) **ابن العبري**: **مصدر سابق**، ص 190؛ **ابن أبي أصيبعة**، **المصدر السابق**، ص 323.

(5) **ابن العبري**: **المصدر السابق**، ص 190؛ **راغب الطباخ**: **مرجع سابق**، ج4، ص 183؛ **ابن أبي أصيبعة**، **المصدر السابق**، ص 325-326.

(6) **الصفدي**: **مصدر سابق**، نشر مطبعة الدولة، إستانبول 1931، ج1، ص 148.

(7) **ابن العبري**: **المصدر السابق**، ص 209؛ **ابن أبي أصيبعة**: **المصدر السابق**، ص 349؛ **ابن خلكان**: **مصدر سابق**، ج6، ص 69؛ **ابن القفطي**: **مصدر سابق**، ص 340؛ **محمد ابن شاكر الكتبي**، **فوات الوفيات والذيل عليها**، تح، إحسان عباس، 5 أجزاء، دار صادر، بيروت، لبنان، مج2، ص 115.

– **أما هبة الله بن ملكا أبو البركات اليهودي**.. فكان طبيبا فاضلا عالما بعلوم الأوائل، صنف كتابا، سماه"المعتبر" وكان قد أسلم، وجلس للتعليم والمعالجة، ولم يزل سعيدا إلى أن قلب له الدهر، ظهر المجن، ومات بعد أن أدركته علل قصّر عن معاناتها طبّهُ [1].

– **أما هبة الله بن الحسين** بن علي الحكيم الطبيب الأصفهاني، فكان من محاسن الدهر، وأفاضل العصر، وقيل أن عند طبه لا يشتري أبقراط، بقيراط، ولا يستقيم سقراط على الصراط، ولحق حق ابن بطلان بالبطلان، توفي سنة نيف وثلاثين وخمسمائة بسكتة[2].

وكان في القرن السادس من الأطباء الأوائل في العصر السلجوقي، الذين جاءوا إلى إقليم خوارزم، وأقاموا فيه، أبو مضر الأصبهاني المتوفى سنة (507هـ/1114م)[3].

كما إشتهر من **الأطباء أبو الحسين علي بن إبراهيم بن بكس**[4]، كان مكفوفا، وفاضلا عاملا بصناعة الطب متقنا لها، غاية الإتقان، وكان يدرس الطب في البيمارستان العضدي، وأيضا الطبيب **أبو الحسن بن مكين البغدادي الضرير**، قاد الحكمة بزمامها، وأيضا الطبيب أبو عبد الله **محمد بن سليمان بن الحناط** المكفوف الشاعر الضرير القرطبي[5].

---

(1) **ابن العبري: مصدر سابق**، ص 210.

(2) **نفسه**.

(3) **محمد سعد السيد أحمد عزب، الحياة الفكرية في إقليم خوارزم في العصرين السلجوقي والخوارزمي**، ط1، نشر شركة نوابغ الفكر، القاهرة، مصر، 1430هـ/2009م، ص 175.

(4) **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص 283 ؛ **أحمد عيسى بك: مرجع سابق**، ص 15،

(5) **نفسه**.

2- أطباء مصر:

من بين الأطباء النصارى المشهورين في مصر أيام الرشيد كان الطبيب "**بولتيانوس**" عالما بشريعة النصارى الملكية*، ولما مرضت حظيّة الرشيد التي أهداها إليه عبيد الله المهدي عامله على مصر، فاستدعي بولتيانوس وشخّص العلّة فكافأه الرشيد، وأمر أن تعاد إليه كنائسه التي إغتصبه إياها" اليعاقبة" (أي الأقباط هنا)[1] ،

- **الطبيب المصري خلف الطولوني**، مولى أمير المؤمنين،كان مشتغلا بصناعة الطب وله معرفة جيدة في علم أمراض العين ومداواتها، وله من الكتب: كتاب "النهاية والكفاية في تركيب العينين وخلقتهما وعلاجهما وأدويتهما"، فرغ من هذا الكتاب سنة اثنتين وثلاثمائة[2].

أيضا كان من الأعلام البارزين: الطبيب **إسحاق بن سليمان الإسرائيلي** توفي حوالي (325هـ/932م)، وقد رحل إلى القيروان وخدم زيادة الله الأغلبي، وألف العديد من المؤلفات الطبية مثل كتاب " الأغذية والأدوية " وكتاب " البول " وغيرها[3].

هناك **الطبيب البلدي**: **الشيخ أحمد بن محمد بن يحي** من مدينة بلد**، وكان خبيرا بصناعة الطب، حسن العلاج والمداواة، وله من الكتب: كتاب " تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم[4].

ومن الأطباء المتقدمين بالديار المصرية **منصور بن مقشر**، أبو الفتح المصري النصراني، وله منزلة سامية من أصحاب القصر ولاسيما في أيام العزيز بمصر، كما خدم الحاكم ابنه أيضا[5].

وأيضا كان الطبيب **أعين بن أعين** يذكر صاحب العيون، أنه كان طبيبا متميزا في الديار المصرية، وله ذكر جميل وحسن معالجة، وكان في أيام العزيز*** بالله، وتوفي هذا الطبيب في شهر ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة[6].

---

* هم المسيحيون الذين خضعوا للمجمع الخلقيدوني، الذي إنحاز إليه الملك مرتيانوس وهم في طاعة بطريرك أنطاكية لغتهم الطقسية اليونانية والعربية، أنظر/ **ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق**، ص 540.

(1) **نفسه؛ جان موريس فييه: مرجع سابق**، ص 75.

(2) **ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق**، ص 544.

(3) **المصدر نفسه**، ص ص 479- 480.

مدينة بالجزيرة أو مدينة بفارس، **ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، ص 332.

(4) **المصدر نفسه**، ص322-323؛ **محمد مؤنس أحمد عوض: مرجع سابق**، ص 26.

(5) **ابن العبري: مصدر سابق**، ص 181.

***هو أبو منصور خامس الخلفاء الفاطميين بمصر (363-385هـ/975-996م)، بلغت الدولة عزها في أيامه.

(6) **ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق**، ص 546.

الطبيب **علي بن رضوان** بن علي بن جعفر أبو الحسن المصري، رئيس الأطباء للحاكم صاحب مصر لم يكن له معلم في صناعة الطب يُنسب له، وله مصنف في أن التعلم من الكتب أوفق من المعلمين، وردّ عليه ابن بطلان هذا الرأي وغيّره في كتاب مفرد وذكر فصلا في العلل التي من أجلها صار المتعلم من أفواه الرجال أفضل من المتعلم من الصحف[1].

يقول ابن القفطي: « ورأيت لابن رضوان كتابا في أحكام النجوم، ورأيت له كتابا في ترتيب كتب جالينوس في الطب.. ولم يزل ابن رضوان بمصر متصدرا لإفادة ما هو موسم به من هذه الأنواع العلمية إلى أن توفي في حدود سنة ستين وأربعمائة »[2].

أيضا كان هناك الطبيب **عمار بن علي الموصلي** كحَّالاً مشهوراً ومعالجاً مذكوراً، له خبرة بمداواة أمراض العين، ودربة بأعمال الحديد، وكان قد سافر إلى مصر وأقام بها، وله من الكتب كتاب "المنتخب في علم العين وعللها ومداواتها بالأدوية والحديد" ألفه للحاكم[3].

ويذكر ابن الوردي في تاريخه: « وتوفي **أبو عيسى يحي بن عيسى بن جزلة** الطبيب صاحب المنهاج في المفردات، كان نصرانيا فأسلم وردّ في رسالته على النصارى، وذلك في معرض حديثه عن سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة، وله كتاب " تقويم الأبدان وغيره"»[4].

وكان أيضا في مصر الطبيب **الرصاصي**، محمد بن محمود بن أبي زيد المعروف بالرصاص، ولد سنة (576هـ/1181م)، وحدث بفوائد كتب عنه الأبيوردي، توفي بالقاهرة سنة ستين وستمائة[5].

الحكيم الطبيب **جرجس بن ميخائيل** بن الفارس علم الدين أبو النصر ابن الرشيد أبي الوحش المعروف بابن أبي حليقة، القبطي، المصري، ولد بالقاهرة سنة (626هـ/1229م) ونظر في الطب، وانتقل من دين النصرانية إلى دين الإسلام، هو وأخواه وقررهم الملك المنصور قلاوون، رؤساء للأطباء بديار مصر سنة أربع وثمانين وستمائة[6].

ونذكر أيضا الطبيب **موسى ابن ميمون** بن عبد الله القرطبي (528-600هـ/1134-1204م)، ولد بقرطبة ثم استقر بالقاهرة سنة (559هـ/1165م)، واشتغل بالطب، فاشتهر أمره وما لبث أن صار طبيب، صلاح الدين الأيوبي، ثم طبيب الملك الأفضل، ونور الدين، توفي سنة (600هـ/1204م)، له كتاب " دلالة الحائرين" وهو ناقل للكثير من أراء جالينوس، وأقوال أبقراط[7].

---

(1) **الصفدي: مصدر سابق**، ج21، ص 74.

(2) **ابن القفطي: مصدر سابق**، ص 444.

(3) **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص 549.

(4) **زين الدين عمر بن الوردي: تاريخ ابن الوردي**، مخطوط بدون تحقيق، ج2، ص 29.

(5) **تقي الدين المقريزي: المقفى الكبير**، تح، محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1411هـ/1991م، ج7، ص ص 138-139.

(6) **المصدر نفسه**، ج3، ص 14.

(7) **شوكت الشطي: مرجع سابق**، ص 306، **ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق**، ص ص 582-583.

أيضا كان من ضمن أطباء مصر **علي بن أبي الحزم، علاء الدين بن النفيس** يقول عنه أحمد عيسى: « علاء الدين ابن النفيس القرشي الدمشقي فرد الدهر، إمام الفضائل وتمام الأوائل، واشتغل بها في الطب على المهذب الدخوار..وكان علاء الدين إماما في علم الطب في ذلك لا يُدانى، استحضارا واستنباطا، صنف كتاب :"الشامل في الطب" وتدل فهرسته على أنه يكون في ثلاثمائة سفر، وهي الآن وقف بالبيمارستان المنصوري بالقاهرة[1] ، وكان قد إبتنى دارا بالقاهرة وفرشها بالرخام، وأوقف داره وأملاكه وجميع ما يتعلق به على البيمارستان المنصوري» [2].

ومن مؤلفاته: كتاب " المهذب في الكحل"،و "الشامل"، وهو كتاب موسوعي في الطب يشبه كتاب الحاوي لأبي بكر الرازي[3]، وأيضا كتاب " الموجز" يقول عنه حاجي خليفة في كتابه " كشف الظنون":هو موجز في الصورة، لكنه كامل في الصناعة[4]. وأيضا كتاب " شرح كليات القانون"، وهو شرح لكليات كتاب القانون لابن سينا وكتاب" شرح تشريح القانون" وهو كتاب سجل فيه ابن النفيس إكتشافه للدورة الدموية الرئوية قبل ظهور كتاب "وليام هارفي": دراسة تشريحية تحليلية لحركة القلب والدم في الحيوان، الذي ظهر سنة (1037هـ/1628م)[5] * .

وبلغ ابن النفيس قرابة الثمانين عاما من العمر، وعاصر خلالها أحداث كبرى كهجوم هولاكو المغولي على بغداد وهدمها سنة (656هـ/1258م)، وهزيمة التتار في حلب، وفتح المدينة سنة (676هـ/1277م)، وغيرها من الأحداث[6] وتوفي سنة سبع وثمانين وستمائة للهجرة[7].

---

[1] **أحمد عيسى بك: معجم الأطباء ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء لإبن أبي أصيبعة،** ط1، مطبعة فتح الله إلياس نوري وأولاده، مصر،1361هـ/1942م، ص ص 292-293.

[2] **ماهر عبد القادر محمد علي: مرجع سابق،** ص 98.

[3] **المرجع نفسه،** ص 100.

[4] **المرجع نفسه،** ص 101.

[5] **المرجع نفسه،** ص 104.

* يذكر الدكتور ماهر عبد القادر :« بأن الطالب المصري الذي كان يدرس في ألمانيا المسمى، محي الدين التطاوي، قد عثر على مخطوط لإبن النفيس في مكتبة المخطوطات العربية الموجودة في ألمانيا، وهذا المخطوط هو نسخة من كتاب " شرح تشريح القانون" الذي يشرح فيه ابن النفيس الأجزاء الخاصة بالتشريح في كتاب ابن سينا، وقدم نتيجة دراسته في رسالته للدكتوراه عنوانها (الدورة الرئوية تبعا للقرشي)، تلك النتيجة التي أدهشت أساتذته هناك، وأدهشت المستشرقين، وهي أن ابن النفيس هو : أول من إكتشف الدورة الدموية؛ انظر/ **ماهر عبد القادر: المرجع نفسه،** ص 99 .

[6] **المرجع نفسه،** ص 97.

[7] **عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن كثير القُرشي الدمشقي (700–794)هـ: البداية والنهاية،** خرج أحاديثها محمود بن الجميل على كتب الألباني، 8 أجزاء، ط2، دار الإمام مالك ، باب الوادي، الجزائر،1430هـ/2009م، ج7، ص 533؛ **الذهبي، دول الإسلام، مصدر سابق،** ج2، ص 383.

3- أطباء الشام:

تمتع الشام بأطباء أعلام في العصر الذهبي، قاموا بإنجازات عظيمة على المستوى الطبي، وتركوا بصمات خالدة، نحاول أن نستعرض بعضهم:

- الطبيب **عيسى الرقي**: كان طبيبا مشهورا في أيامه، عارفاً بالصناعة الطبية، وله أعمال فاضلة ومعالجات بديعة، وكان في خدمة سيف الدولة بن حَمدان ومن جملة أطبائه، ويعرف أيضا بالتفليسي* وهو من جملة النقلة من السرياني إلى العربي، ويأخذ أربعة أرزاق[1].

- اليبرودي: هو أبو الفرج جورجيس بن يوحنا بن سهل بن إبراهيم، من النصارى اليعاقبة، كان فاضلاً في صناعة الطب، عالماً بأصولها وفروعها معدودا من جملة الأكابر من أهلها، كان مولده ومنشأه بيبرود** ، وبها نصارى كثير، ثم أقام إلى أن مهر في صناعة الطب، ثم عاد إلى دمشق واشتغل بالمداواة والعلاج بها..وكانت لليبرودي مراسلات إلى ابن رضوان بمصر وغيره من الأطباء المصريين وله مسائل عدة ومباحثات دقيقة، وله من الكتب :" مقالة في أن الفرخ أبرد من الفروج"،" نقض كلام ابن الموفقي في مسائل النبض"[2].

- أما الطبيب **إسحاق بن علي الرهاوي** فهو طبيب فاضل متقدم العصر، دخل حلب، وله مصنف في آداب الأطباء، وذكر في كتابه أشياء جرت له بحلب[3].

- الطبيب **المبارك بن شرارة أبو الخير**، هذا الرجل كَاتَبَ طبيب من أهل حلب نصراني، يعرف من الطب أوائله، وله جرائد مشهورة بحلب، وجرت بينه وبين ابن بطلان مذاكرت، أدت إلى المنافرة، وتوفي سنة (490هـ/1097م)[4].

- أيضا من جملة الأطباء **ظافر بن جابر السكري** الطبيب، هو أبو حكيم، كان مسلماً فاضلاً في صناعة الطب، متقناً للعلوم الحكمية متحلياً بالفضائل، له من الكتب: "مقالة في أن الحيوان يموت مع أن الغذاء يخلف عوض ما يتحلل منه[5].

---

* **تفليس**: بفتح أوله ويكسر، بلد بأرمينية الأولى، وبعض يقول بأرّان، وهي قصبة ناحية جُرزان، قرب باب الأبواب. انظر/ ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، متوفى سنة 626هـ/1229م، معجم البلدان، تصحيح وترتيب، **محمد أمين الخانجي الكتبي**، 10 مجلدات، ط1، نشر، مطبعة السعادة، محافظة مصر، 1323هـ/1906م، ج2، ص 396.

[1] **ابن أبي أصيبعة**: **مصدر سابق**، ص ص 609- 610.

** قرية في سوريا من قرى جبل قلمون؛ انظر/ **ابن أبي أصيبعة**: **المصدر نفسه**، ص 610.

[2] **نفسه**: ص ص 610-613.

[3] **ابن العديم**: **مصدر سابق**، ج3، ص 1490.

[4] **راغب الطباخ**: **مرجع سابق**، ج4، ص 201.

[5] **المرجع نفسه**، ج4، ص 202؛ **ابن أبي أصيبعة**: **المصدر السابق**، ص 641.

– الطبيب **موهوب بن ظافر السكري**: أحد الأطباء المشهورين في حلب له إختصار كتاب المسائل لحنين، توفي بحلب أواخر القرن الخامس، وله ولد إسمه **جابر**، كان أيضا مشهورا في صناعة الطب، خبيراً بها[1].

– أما الطبيب **أبو الفضل بن أبي الوقار**، المتوفى سنة (554هـ/1159م)، أصله من المعرّة وأقام بدمشق، سافر إلى بغداد وقرأ على أفاضل الأطباء ثم عاد إلى دمشق، وكان متميزاً في صناعة الطب عِلْمها وعَملِها، وكان في خدمة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، ويعتمد عليه في صناعة الطب[2].

– الطبيب اليهودي، **سكرة الحلبي**، كان شيخا قصيراً من يهود مدينة حلب، وكانت له دربة بالعلاج، وتصرف في المداواة، وقد داوى حظية الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بحلب، وأطلق له عشرة فدادين[3].

– أما في المائة السابعة الهجرية، فكان من الأطباء **كمال الدين الحمصي** أبو المنصور المظفر بن علي بن ناصر القرشي من الفضلاء المشهورين، إشتغل بصناعة الطب على رضي الدين الرحبي، وشرع في قراءة كتاب القانون على الحكيم القاضي بهاء الدين أبي الثناء محمود المخزومي عندما قدم دمشق، وكان يكره التكسب بصناعة الطب، وبقي سنين يتردد على المارستان الكبير الذي أنشاه نور الدين زنكي، توفي سنة (612هـ/1216م)، له من الكتب: "شرح بعض كتاب العلل والأعراض لجالينوس"، "الرسالة الكاملة في الأدوية المسهلة"، "تعاليق في الطب"[4].

وقد أشار ابن القفطي إلى عدد من أطباء الجزيرة الفراتية في هذه الفترة من المسيحيين، منهم **حسنون النصراني الرهاوي**، قرأ الطب على أطباء الرّها، ورحل إلى ديار بكر، ومنها إلى آمد، وميافارقين، وتنقل في البلاد بصناعته، ورجع إلى الرّها، توفي سنة (615هـ/1219م)[5].

ومن جملة الأطباء **رشيد الدين ابن أبي أصيبعة**، الأنصاري الخزرجي، نشأ بالقاهرة، برع في الطب والحكمة، واشتغل بالطب، وحظي عند أولاد العادل، توفي سنة ست عشرة وستمائة، له كتاب " الموجز المفيد في الحساب"، " كتاب في الطب"، " مقالة في نسبة النبض وموازنته للحركات الموسيقارية"[6].

---

(1) **راغب الطباخ: مرجع سابق**، ج4، ص 202؛ **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص 641.

(2) **المصدر نفسه**، ص 635؛ **راغب الطباخ: المرجع السابق**، ج4، ص 235.

(3) **المرجع نفسه**، ص ص 259- 260.

(4) **رحاب عكاوي: مرجع سابق**، ص ص 75-76.

(5) **سوادي عَبَد محمد: الأحوال الاجتماعية والإقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي**، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، الأعظمية، بغداد، 1409هـ/1989م، ص 138؛ **راغب الطباخ، المرجع السابق**، ج4، ص 333؛ **ابن العبري: مصدر سابق**، ص253.

(6) **الصفدي: مصدر سابق**، ج21، ص 57 .

– وكان أيضا من جملة الأطباء الأعلام أيضا ، **مهذب الدين أبو محمد عبد الرحيم بن علي بن حامد**، ويعرف بالدخوار، انتهت إليه رئاسة صناعة الطب ومعرفتها على ما ينبغي، وتحقيق كلياتها وجزئياتها، كان مولده ومنشؤه بدمشق وكان أبوه كحالاً مشهوراً، وكان في أول اشتغاله بصناعة الطب، قد قرأ شيئا من الملكي على الشيخ رضي الدين الرحبي، ثم لازم موفق الدين بن المطران وتتلمذ له، وخدم مهذب الدين الملك العادل أبا بكر بن أيوب بصناعة الطب[1].

كما خدم في البيمارستان الكبير الذي أنشأه نور الدين محمود زنكي[2] ، كانت وفاته سنة ثمان وعشرين وستمائة الموافقة للواحد والثلاثين ومائتين وألف، له من الكتب: "إختصار كتاب الحاوي في الطب للرازي"، "مقالة في الإستفراغ"، "تعاليق ومسائل في الطب"، " شكوك طبية ورد أجوبتها" وغيرها من الكتب[3].

ويشير ابن العبري إلى أنه «كان مكاراً شتاماً شرهاً نهماً»[4].

– الطبيب **رضي الدين الرحبي أبو الحجاج يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي**، من علماء صناعة الطب، والمميزين من أهلها، كان أبوه كحّالاً، أقام مع والده في دمشق وبقي رضي الدين في دمشق، ملازما للدكان لمعالجة المرضى ونسخ بها كتبا، واشتغل على مهذب الدين بن النقاش الطبيب ولازمه فنوه به وقدمه، إجتمع بالملك الناصر صلاح الدين، فحَسُن موقعه، وكان له تلاميذ كُثُر، ونبغ منهم جماعة، توفي سنة (631هـ/1234م)، وله من الكتب "تهذيب شرح ابن الطيب لكتاب الفصول لأبقراط"، "إختصار كتاب المسائل لحنين بن إسحاق" ولم يكمله [5].

– ومن الأطباء المؤرخين في الشام **موفّق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة السعدي، الخزرجي**، ولد في مدينة دمشق سنة (600هـ/1204م)، في بيت علم وأدب ، فقد كان أبوه، كحالا، من أمهر الكحالين وأطباء العيون بدمشق، ثم سافر ابن أبي أصيبعة إلى القاهرة والتحق بالمارستان الناصري، فأخذ يعمل ليلاً ونهاراً على تحصيل العلم، فاشتهر بذكائه وحسن مداواته للمرضى[6].

ويقول ابن كثير :« الشيخ موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي الطبيب، المعروف بابن أبي أصيبعة له: " تاريخ الأطباء" في عشر مجلدات لطاف، وهو وقف بمشهد ابن عروة بالأموي، توفي بصرخد، وقد جاوز السبعين سنة (667هـ/1270م)» [7].

---

[1] **رحاب عكاوي: مرجع سابق**، ص 78.

[2] **محمد نزار خوّام وآخرون: مرجع سابق**، ص 71.

[3] **رحاب عكاوي: المرجع السابق**، ص 79.

[4] **جان موريس فييه: مرجع سابق** ، ص 375.

[5] **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص 672 فما بعدها بعدة صفحات؛ **سوادي عَبَد محمد: مرجع سابق**، ص 136؛ **رحاب عكاوي: المرجع السابق**، ص 84-86.

[6] **المرجع نفسه**، ص 98.

[7] **ابن كثير:مصدر سابق** ، ج7، ص 475 .

ويقول المؤرخون، «**أن ابن أبي أصيبعة حفظ لنا كنزاً بالغ الأهمية حين دوّن كتابه :" عيون الأنباء" فهو يتعرض بصورة مباشرة للأطباء لا التاريخ لكنه في الوقت نفسه يطلعنا على قيمة الإهتمام بالتاريخ، فلم يكن ابن الدخوار شيخ ابن أبي أصيبعة عَلم من أعلام الطب فحسب، إنما كان فضلا عن هذا كله مؤرخا لأحقاب طبية متتالية، حين يروي لتلاميذه من علم الأطباء السابقين عليه ونظرهم ويتحرى صدق الرواية، وينسب الكلام لقائله، وكل هذا يتم في مجلس العلم في المدرسة الدخوارية** »[1].

- الطبيب الماهر **شرف الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن حيدرة الرحبي**، شيخ الأطباء بدمشق، ومدرس بالدخوارية عن وصية واقفها بذلك، وله التقدمة في هذه الصناعة على أقرانه من أهل زمانه.[2].

- وأيضا كان من أعلام الطب في الشام، أمين الدولة أبو الفرج بن موفق الدين بن يعقوب بن إسحاق **ابن القف** الذي عاش وتوفي في دمشق عام (685هـ/1286م)، وقد لازم ابن أبي أصيبعة، وتتلمذ على يده وساعده كون والده الخطاط صديقا لابن أبي أصيبعة[3].

وقد نبغ ابن القف في الجراحة فألف مجموعة من الكتب منها:" العمدة في صناعة الطب"، كتاب" جامع الغرض"، كتاب" الشافي في الطب" وغيرهم من الكتب [4].

هذا وقد كانت المعمورة مليئة بأعلام الأطباء، من المشرق إلى المغرب حتى الأندلس التي إشتهر فيها أعلام **كعائلة ابن زهر**، أبو العلاء، وأبو مروان، والحفيد أبو بكر، وغيرهم **كأبو الوليد بن رشد** وابنه عبد الله، وقد شرح أبو الوليد ابن رشد كتب أرسطو، وجالينوس واهتم بالفلسفة ، كما برز الجراح المشهور **خلف بن عباس الزهراوي** الأندلسي الذي تمكن من اختراع أولى أدوات الجراحة، كالمشرط والمقص الجراحي، كما وضع الأسس والقوانين للجراحة، والتي من أهمها: ربط الأوعية لمنع نزيفها، واختراع خيوط الجراحة، وكان أيضا خبيرا بالأدوية المفردة والمركبة، جيد العلاج وله تصانيف مشهورة في صناعة الطب، أفضلها:كتابه:"التصريف لمن عجز عن التأليف"[5].

- أما الطبيب **أبو دواود سليمان بن حسان** الطبيب المؤرخ المعروف **بابن جلجل** صاحب كتاب "طبقات الأطباء والحكماء" وخدم الخليفة الأندلسي هشام الثاني، فإنه كان طبيباً ومؤرخاً وفاضلاً ، خبيراً بالمعالجات جيد التصرف في صناعة الطب، وقد ذكره ابن أبي أصيبعة في كتابه " عيون الأنباء"[6].

---

[1] **ماهر عبد القادر محمد وآخرون**: **البيمارستانات ومجالس التعليم الطبي في العالم الإسلامي**، بحث مقدم في أعمال مؤتمر الطب والصيدلة عند العرب، 1-2 أفريل 1418هـ/1998م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص 147.

[2] **ابن كثير**: **مصدر سابق**، ج7، ص 474.

[3] **محمد نزار خوّام وآخرون**: **مرجع سابق**، ص 71.

[4] **ابن أبي أصيبعة**: **مصدر سابق**، ص 768.

[5] **راغب السرجاني**: **مرجع سابق**، ص 202-203؛ **ابن أبي أصيبعة**: **المصدر السابق** ، ص 501.

[6] **المصدر نفسه**، ص 493.

ثانيا : أعلام الصيادلة الكيميائيين:

– علم الصيدلة فرع من فروع الطب ، وهو علم يُبحث فيه عن تمييز المتشابهات من أشكال النباتات من حيث أنها صينية أو هندية أو رومية أو غير ذلك، وعن معرفة زمانها صيفية أم خريفية، وعن تميز جيدها عن الرديء وعن معرفة خواصها، والغرض والفائدة منه، وبذلك كان علم الصيدلية في بادئ الأمر تابع لعلم الطب، غير مستقل عنه، حيث كان الطبيب في فجر الإسلام صيدليا في نفس الوقت، يصف الدواء ويعطيه للمريض، وكان له أعوان يساعدونه في علمه فيجمعون له الأعشاب الطبيعية، واقتضى التوسع في دراسة الصيدلة، دراسة النباتات والمعادن والحيوان والكيمياء، لأن الأدوية نباتية أو معدنية أو حيوانية، وتحتاج إلى نسب في التركيب، كما أن الإهتمام الكبير في إحياء العلوم وتقدمها من الخلفاء العباسيين، وما كان من تشجيعهم للقائمين بها وبخاصة في علوم الصيدلة والطب ساهم في تطور علم الصيدلة.

وقد أصلح إسحاق بن حنين المتوفي (260هـ /874م) كتاب ديسقوريدس في الأدوية المفردة، أي النباتات التي تستعمل كدواء. وبرع المسلمون والعرب في تركيب الأدوية بنسب معينة، وكان الطبيب يأخذ ثمن الدواء من المريض، وتطوع بعض الصيادلة بتقديم الدواء مجانا لمرضاهم .

والصيدلاني هو المسموح له بصنع الأدوية، مفردة أو مركبة، ووضعت كتب في تصنيف الأدوية، تسمى "الدستور البيمارستاني " ويتضمن هذا الدستور عدم السماح للصيدلاني بوصف دواء إلا بتذكرة من الطبيب، وأوّل من ألف في الأدوية المفردة في دولة الإسلام يوحنا بن ماسويه ثم سابور بن سهل.

وسنقدم عددا من الصيادلة الأعلام الذين برزوا في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية.

1– في المشرق:

من أقدم الصيادلة في الدولة الإسلامية، **سرجون اليهودي**، الذي صنف كتاب "قِوى العقاقير ومنافعها ومضارها "[1].

–وكان أيضا طبيب **الخليفة المهدي** (158-169هـ/775-786م) **أبو قريش** ويعرف بعيسى الصيدلاني، ولم يذكره هذا في جملة الأطباء لأنه كان ماهرا بالصناعة.[2]

– وأيضا من بين أبرز الصيادلة **إسحاق بن حنين** وكان أبوه حنين بن إسحاق. ويلقب بأبي زيد، ولد سنة (194هـ /810م) وكان أبوه إسحاق نصرانيا نسطوريا ، فنشأ ابنه إسحاق صيدلانيا[3] .

–أيضا من أعلام الصيادلة، **سابور بن سهل**، صاحب بيمارستان جنديسابور وكان فاضلا. عالما متقدما، وله تصانيف مفيدة مشهورة، منها "كتاب الأقراباذين" المعمول به في البيمارستانات ودكاكين الصيادلة، إثنان

[1] **عصام عبد الرؤوف الفقي: مرجع سابق** ، ص 373.

[2] **ابن القفطي: مصدر سابق**، ص 430.

[3] **أحمد أمين: مرجع سابق**، ج1 ، ص 304.

وعشرون بابا[1].ويقول غريغوريوس: « أنه كان بمصر في حدود سبعين وثلاثمائة مشاهير الحكماء منهم: التميمي المقدسي الطبيب، كان له غرام وعناية تامة في تركيب الأدوية »[2] .

– ومن الصيادلة، **علي بن العباس المجوسي** ولد.بالأهواز وقد اعتنق الإسلام وعاش زمن الدولة البويهية وألف كتاب " كامل الصناعة " أو الكتاب الملكي لعضد الدولة فنا خسرو بن ركن الدولة البويهي الديلمي، جزء منه يبحث في الأدوية وأنواعها وطرق المداواة وتركيب الأدوية "[3] .

– أيضا من جملة أعلام الصيادلة، **أبو الريحان البيروني محمد بن أحمد الفلكي**، ولد عام (351هـ/962م) بنواحي خوارزم، عاش أكبر حياته في باكستان والهند وأفغانستان، وشد الرحال إلى الكثير من البلاد الإسلامية، توفي في حدود (440هـ/1049م) كان من عباقرة الإسلام المبرزين في العلوم وفي التأليف، فقد أُحصي له، ما يقرب من مائة وثمانين مؤلفا في الصيدلة والطب والعلوم الأخرى، ويعتبر البيروني من أشهر الصيادلة التي ألفت في هذا المجال[4]. – أما **ابن جزلة البغدادي**، هو أبو علي يحي بن عيسى بن علي بن جزلة البغدادي، عاش في بغداد ويقال أنه كان مسيحيا ثم أسلم، صاحب سعيد العشاب ودرس معه، كما ألف عددا من الكتب منها: " منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان، ذكر جميع الأغذية والأدوية مرتبة بشكل جيد مع وصف خصائصها. توفي عام (492هـ/1100م)[5].- وأما الطبيب **سعيد العشاب** (435-495هـ/ 1044– 1102م) أبو الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن، طبيب عاش في بغداد وعمل في المارستان العضدي، ألف عدد من الكتب أشهرها: " المغني في تدبير الأمراض ومعرفة العلل والأعراض" ذكر فيه الأمراض وأسبابها وأعراضها والأدوية الناجعة فيها، وقد صاحب ابن جزلة البغدادي[6]. -أما الطبيب **داوود الأنطاكي** الملقب بالحكيم الماهر الفريد والطبيب الحاذق، جالينوس أوانه وأبوقراط زمانه.ولد بأنطاكية شمالي سورية. قرأ كتب الأقدمين والمحدثين وعني بدراسة الطب العلاجي خاصة تحضير الأدوية والوصفات وما نسميه اليوم " الصيدلة" ومن أشهر مؤلفاته: كتابه الضخم " تذكره أولي الألباب والجامع للعجب العجاب"، واشتهر باسم " تذكرة داوود "[7] . توفي بمكة سنة (1008هـ/1600م).

ويذكر ابن العبري قوله: «وفي سنة ثمانية وستمائة، توفي المسيح **ابن أبي البقاء النيلي** نزيل بغداد، وكنيته أبو الخير ويعرف **بابن العطّار** كان خبيرا بالعلاج قيما به »[8]

---

(1) **ابن القفطي: مصدر سابق**، ص 207.

(2) **ابن العبري: مصدر سابق**، ص 174.

(3) **المصدر نفسه**، ص 175؛ **محمد نزار خوام وآخرون: مرجع سابق** ، ص 63 .

(4) **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص 459 ؛ **ابن العبري:المصدر السابق** ، ص 186؛ **محمد نزار خوّام وآخرون: المرجع السابق**، ص ص63- 64.

(5) **ابن خلكان: مصدر سابق**، ج 6 ، ص 267.

(6) **نفسه**.

(7) **رحاب عكاوي: مرجع سابق**، ص 102.

(8) **العبري: مصدر سابق**، ص240؛ **سوادي عبد محمد: مرجع سابق**، ص137.

2- في المغرب:

- الطبيب **ابن وافد** (387-459هـ/997-1067م) أحد أمراء العرب في الأندلس، وقد عاش في طليطة وتولى الوزارة فيها، وألف كتابا في الأدوية المفردة، رجع فيه إلى كتب جالينوس وديسقوردس[(1)].

كذلك عُرف في العصر الذهبي العشاب أبو محمد عبد الله بن أحمد ضياء الدين الأندلسي المالقي. المعروف **بابن البيطار**.إمام النباتيين وعلماء العشابين، كان مولده في الربع الاخير من القرن السادس الهجري.

وكان أستاذه في علم النبات، أبو العباس النباتي .الذي كان يجمع النبات من منطقة إشبيلية ثم أقام ابن البيطار في دمشق يدرس النبات الذي يزرع وينبت في الشام وآسيا الصغرى ثم ألف كتاباه بعد ذلك : "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية " و" المغني في الأدوية المفردة في العقاقير" توفي سنة (646هـ/1249م)[(2)] .

- أيضا اشتهر **رشيد الدين الصوري** ،ولد (573هـ/1178م) هو أبو منصور بن أبي الفضل.ولد بمدينة صور ثم انتقل إلى القدس فأقام سنين يطبب في مارستانها خدم بالطب الملك العادل وأخذه معه عندما توجه لمصر، وكان له مجلس للطب والجماعة يترددون إليه ويشتغلون بالصناعة الطبية عليه. وحرر " أدوية الترياق* الكبير ".توفي سنة (638هـ/1241م) بدمشق وله من الكتب " كتاب الأدوية المفردة " ذكر فيه أدوية إطلع على معرفتها ومنافعها. لم يذكرها المتقدمون وكان يستصحب معه مصورا ليصور النبات في كل موقع و في كل مرحلة "[(3)].

- اسحاق بن عمران: المشهور بسم ساعة، قال عنه ابن جلجل بأنه، مسلم النحلة وكان بغدادي الأصل ودخل افريقية في دولة زيادة الله بن الأغلب التميمي (290 -296هـ /903-909م) وكان طبيبا حاذقا متميزا بتأليف الأدوية المركبة[(4)].

هذا وقد كان الصيادلة يحضرون الأدوية ويركبونها على عدة أشكال فمنها:

- الأدهان والأشربة ومعاجين وطلاء وعطور وأقراص وأكحال وبخور وجلاب وجوارشات وحبوب وحقن وحمولات وغيرها كثير[(5)].

---

(1) **محمد نزار خوام وآخرون: مرجع سابق،** ص 67.

(2) **رحاب عكاوي: مرجع سابق،** ص 92؛ **محمد نزار خوام وآخرون: المرجع السابق،** ص 69 ؛ **ابن شاكر الكتبي: مصدر سابق،** ج2، ص ص 159 -160؛ **جاك ريسلر: مرجع سابق،** ص 209 ؛ **ابن الوردي: مصدر سابق،** ص 189؛ **محمد مؤنس عوض: مرجع سابق،** ص 29؛ **شوكت الشطي: مرجع سابق،** ص 310.

* **الترياق:** مشتق من تيريون باليونانية، وهو إسم لما ينهس من الحيوان. كالأفاعي ويقال له بالعربية الدرياق، **الخوارزمي: مصدر سابق،** ص200.

(3) **شوكت الشطي: المرجع نفسه،** ص 308-309.

4 **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق،** ص 487؛ **رحاب عكاوي: المرجع السابق،** ص 20.

5 **محمد كامل حسين: الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب،**(د ط)، نشر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،(د ت)،ص 374 فما بعدها بعدة صفحات.

خلاصة الفصل الأول: بدأ الطب العربي الإسلامي بسيطا فبعدما كان طب يعتمد على تمائم وتعاويذ وشيء من الفصد والكي مشوبا بالسحر والكهنة في الجاهلية.أشرق فجر النبوة بصفائه وواقعية مبادئه، فقد رأينا كيف كانت الأحاديث النبوية الشريفة تحض على التداوي والإهتمام بصحة المرء فعرفتنا على العديد من أنواع الأمراض التي كانت منتشرة آنذاك. وتصف العلاج في كثير من الأحيان فقد كانت نورا ودليلا للجيل الأول من الصحابة وتابعيهم.

وما إن نشطت الفتوحات الإسلامية في الشرق والغرب واتسعت بقعة الدولة الإسلامية ودخل الناس أفواجا في هذا الدين وامتزج العرب بغيرهم من الأجناس والملل رأينا نضرة أخرى بدأت تسري في المجتمع، فبدأت إكتشافات العلوم السابقة للحضارات القديمة وكان طبيعيا أن يفطن الخلفاء المسلمون لأهمية العلوم الوافدة وأهمية الطب بصفة خاصة، وبدأت حركة الترجمة كمرحلة أساسية لإكتشاف العلوم، وقام الخلفاء بتشجيع هذه الترجمة. وقد مرت بمراحل ابتدأت بأول نقل حدث في الإسلام وكان بفضل خالد بن يزيد بن معاوية حيث نقل له إصطفن القديم ما يفيده وأهم ما كان يعنى به الصنعة أو الكيمياء وما إن جاء عهد الرشيد حتى فطن لأهمية الطب الذي يمارسه بختيشوع ويدرسه على نحو ما يدرسه ابن ماسويه، فأمر بجمع كل ما يستطاع جمعه من الكتب اليونانية والسريانية في الطب وغيره محاولا بذلك أن يؤصل العلم في بغداد.

وبلغت حركة الترجمة أوجها عصر المأمون حيث استعمل واستنفذ كل الطرق والحيل لاكتساب العلوم الطبية ونشطت عهده بيت الحكمة، وبرز أعلام من المترجمين حولوا علوم السابقين على أطباق من ذهب للأمة العربية والإسلامية، لعل أهم علَم هو حنين بن إسحاق، وابنه وأتباعه، وبعض العائلات التي كانت فعالة في هذا الميدان كعائلة بختيشوع وفئات من أهل جنديسابور، ورهط من أهل الحيرة ومن الإسكندرية ثم تلت هذه المرحلة، مرحلة الخبرة المنظمة عقليا حيث هضم العرب والمسلمون هاته العلوم، ثم تلتها مرحلة غاية في الأهمية، وهي مرحلة أو عصر التحليل والتجربة ونبغ فيه أعلام من الأطباء العرب والمسلمون كالرازي الذي إنتهى إليه الطب الإكلينيكي وظهر دور العبقرية العربية على الإبداع، كما ظهرت البيمارستانات التي كانت تعالج فيها المرضى ويتدرب فيها الأطباء فكانت بذلك عبارة عن مستشفيات ومدارس تعليمية.

والواقع أن كبار الأطباء العرب والمسلمين مع إيمانهم بالكليات الطبية كما تصورها الإغريق، ومع إعجابهم الشديد بعلماء اليونان كأبي قراط وجالينوس. لم يترددوا في التنبيه على أخطائهم وكان لأطباء العرب والمسلمين معارف طبية خاصة بهم وذلك لأنهم لم يقنعوا بما حصلوا عليه والتوقف عنده .

بل بدلوا جهودا عظيمة في الاستنباط والتحليل والنقد أخيرا .

ونبغ أعلاما في الطب والصيدلة، ملؤا أرجاء المعمورة بفنهم وإبداعهم والتخفيف من معاناة المرضى وظهرت مارستانات بقيت أعواما وقرونا شاهدة على أصالتها وعراقتها .

وسنقوم في الفصل القادم بدراستها والتعرف على خباياها .

الفصل الثاني:

نشأة البيمارستانات الإسلامية ونُظُم عملها وعوامل إزدهارها

المبحث الأول: النظام الإداري والتقسيم الفني للبيمارستانات

أولا: نظام البيمارستانات

ثانيا: أنواع البيمارستانات

ثالثا: تصنيف البيمارستانات باختلاف أغراضها

المبحث الثاني: تدريس الطب وإرساء نظام الإجازة

أولا: التعليم وتدريس الطب

ثانيا: إمتحان الأطباء وإرساء نظام الإجازة

المبحث الثالث: دور الرقابة على الأطباء والصيادلة من خلال استدعاء وظيفة المحتسب

أولا: تعريف الحسبة

ثانيا: الحسبة على الأطباء

ثالثا: دور المحتسب على الصيادلة والغشاشون

رابعا: الحسبة على الفصادين والحجامين

خامسا: الحسبة على البياطرة

نتائج الفصل الثاني

مدخل

لم تكن البيمارستانات معروفة في العصور القديمة، فعند استعراضنا للحضارات القديمة المختلفة لم نلحظ مكان مخصص لمعالجة المرض، فالمعالجة كانت غالبا ما تتم من قبل كهنة قبطيين أو سحرة مشعوذين، وخصص قسم من المعابد لإجراء هذه المعالجات، ومثال ذلك في حضارة مصر القديمة ما دُعي بيت الحياة (بيرعنخ).

وفي الحضارة الإغريقية التي يتصدرها تمثال (إسْكولاب)، إلا ما نجد عند أبقراط الذي عمل بالقرب من داره موضعا يعالج فيه المرضى، وفي الحضارة الرومانية التي ورثت الحضارة الإغريقية لم نعثر على أي دليل على وجود أماكن تشابه المستشفيات بعملها وتنظيمها وحجمها، وتنوع إختصاصها.

وقد نقل بعض الباحثين أنه عُرفت البيمارستانات لأول مرة في جنديسابور بفارس قبل الإسلام بثلاثة قرون، حيث كانت طائفة الأطباء النسطوريين تدير بيمارستانا[1].

أما في صدر الإسلام أيام غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم رأينا الخيمة التي نُصّبت لإسعاف الجرحى والمصابين، كما أن عبد الله بن الزبير- رضي الله عنه- عندما حوصر في مكة ضرب فسطاطا في ناحية من المسجد، فإذا جُرح أحد من الصحابة أدخل إلى الفسطاط ليُعالج[2].

ويذكر المؤرخون :« أن أول من أسس بيمارستانا في الإسلام. الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك. وذلك في سنة ثمان وثمانين، وجعل في المارستان الأطباء وأجرى لهم الأرزاق»[3].

ولا مَشاحَّة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من أمر بالبيمارستان الحربي المتنقّل، أما الوليد بن عبد الملك فيعتبر أول من أسّس البيمارستان الثابت وخُصص للمجذومين والعميان، وأجرى عليهم أرزاقهم.

---

(1) **مرسي عرب وآخرون**: **البيمارستانات العربية الإسلامية، بحث مقدم في أعمال مؤتمر الطب والصيدلة عند العرب، مرجع سابق**، ص 118.

(2) **ابن قتيبة الدينوري**: **الإمامة والسياسة**، ج4، ص12، أنظر/**ماهر عبد القادر وآخرون**: **مقدمة في تاريخ الطب**، ص 42.

(3) **المقريزي**: **المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار**، 07 أجزاء ، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت)، ج4، ص 202؛ **ماهر عبد القادر وآخرون**: **بحث مقدم في أعمال مؤتمر**، ص 128؛ **أحمد عيسى بك**: **تاريخ البيمارستانات**، ص 11.

المبحث الأول: النظام الإداري والتقسيم الفني للبيمارستانات

إن من يتعلم الطب يدرسه ويمارسه كمهنة لابد له من العمل في البيمارستانات " المستشفيات" حتى يتدرب ويتمرس على مهنة الطب، ويستطيع أن يكتسب الخبرة من الحالات التي يقابلها تحت إشراف أساتذة وخبراء.

أولا: نظام البيمارستانات:

كل من يهتم بإنشاء مؤسسة مهما كانت لابد أن يضع لها نظاما إداريا وفنيا تسير وفقا له، وبطبيعة الحال لم يغب عن بال الأطباء في العالم الإسلامي، أن يتبعوا نظاما دقيقا داخل هذه البيمارستانات، ليتحقق الغرض الذي أنشئت من أجله.

ويمكن أن نقسم المراحل التي تعرضت لها البيمارستانات إلى فترة أولى وكانت مرحلة إنشائية حيث شُرع في بنائها منذ العصر الأول للدولة الإسلامية، وبلغت أوجها من حيث العدد والتجهيز والكفاءة في فترة إزدهار الحضارة الإسلامية العربية.

ثم إنحدرت بتقهقر هذه الحضارة، وضعف الدولة الإسلامية، حيث تحولت هذه البيمارستانات مع قلة الرعاية والدعم المالي والمعنوي، إلى بيوت للمجانين كانت تدعى مارستانات المجانين، حيث هجرها المرضى ولم يبق بها إلا المجانين[1] .

1– أقسام البيمارستانات:

كانت تقسم إلى قسمين متناظرين أحدهما للمرضى والآخر للمريضات، وكل قسم يحتوي على عدد من القاعات حسب نوع المرض، فقاعات الأمراض الباطنية منها قسم للمحمومين المصابون بالحمى، وقسم للممرورين وهم المصابون بالجنون السبعي وقسم للمبرودين وهم المصابون بالتخمة، والأمراض المَعِديّة والمَعَوية، وهناك قاعة أو أكثر للجراحة، وقاعة للتجبير، وأخرى للكحالة (أمراض العيون)[2] .

كما أن هناك قسم لصرف الأدوية[3]، يعمل به صيادلة، وغالبا ما يعرف باسم شربخانة[4]، وقاعة للولادة، وكان الأطباء يتناوبون العمل في البيمارستانات، ويبيتون عند المرضى ليلا يرعون شؤونهم.

وكان الخلفاء والملوك والسلاطين وذو الحيثية يتبارون في إقامة البيمارستانات في دور فسيحة ذات عمارة ممتازة، وقد بلغ بعضها مبلغا كبيرا من اتساع المساحة. وقاعاتها فسيحة. حسنتها الزخرفة، وألحقت مباني البيمارستانات في كثير من الأحيان بمؤسسات، كالمساجد، والقباب، والمدارس، وكان للبيمارستان عادة ناظر، ينظر أو يشرف على إدارة الأموال. والأوقاف المخصصة له وكانت النظارة من الوظائف الديوانية العظيمة.

---

(1) **محمود نزار خوام وآخرون: مرجع سابق** ، ص ص 75- 76.

(2) **أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات** ، ص 16.

(3) **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص 732.

(4) **أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات**، ص 16.

وقال أبو العباس أحمد القلقشندي: « من الوظائف الديوانية نظر البيمارستانات، وقد صار النظر عليه معدوقا بالنائب (نائب السلطان)، يُفوض التحدث فيه إلى من يختاره من أرباب الأقلام »[1] .

أما إدارة أقسام البيمارستانات يتولاها قائم يسمى أحيانا (ساعور).

ولكل قسم من أقسامه رئيس، فكان فيه رئيس للأمراض الباطنة، ورئيس للجراحة والمجبرين، ورئيس للكحالين، وللبيمارستان فراشون من الرجال والنساء، والمشرفون والقُوام للخدمة أيضا[2] ، ولهم المعاليم الوافية. والجامكية الوافرة.

2- الإشراف الطبي:

يكون من صلاحية رئيس الأطباء فقط، وكان يُختار من بين العديد من زملائه بعد اجتياز امتحان دقيق لكفاءته العلمية، ومثال على ذلك. أن الرازي قبل إختياره لمنصبه. اضطر أن يبرهن على طول باعة وتضلعه في فن الطب أمام مُنافسيه وأصبح له فريق يتكون من أربعة وعشرين طبيبا يعملون في جميع الإختصاصات[3] .

ويذكر لنا اليونيني: أن علي بن عثمان الإربلي (مدينة إربل) كتب إلى شرف الدين أبي البركات ابن المستوفي، وزير إربل سنة (626هـ/1229م)، وتحدث معه يرجوه أن يعهد إليه رئاسة البيمارستان[4]، وقد إتبع الأطباء المسلمون والعرب نظام المرور على المرضى لتفقد أحوالهم.

وكتب لنا ابن أبي أصيبعة تقريرا وافيا عما يقوم به رئيس الأطباء (الساعور)، يوميا، فيقول:

« ...وإن أبا المجد بن أبي الحَكَم رئيس الأطباء، كان يدور على المرضى، ويتفقد أحوالهم ويعتبر أمورهم، وبين يديه المشارفون والقُوام لخدمة المرضى، فكان جميع ما يكتبه لكل مريض من المداواة والتدبير لا يؤخر عنه ولا يتوانى في ذلك وبعد فراغه...يأتي ويجلس في الإيوان الكبير الذي للبيمارستان، وكان نور الدين–رحمه الله– وقف على هذا البيمارستان جملة كبيرة من الكتب الطبية...فكان جماعة من الأطباء والمشتغلين يأتون إليه ويقعدون بين يديه. ثم تجري مباحثة طبية ويقرئ التلاميذ ولا يزالون في مباحثه ونظر في الكتب إلى مقدار ثلاث ساعات »[5] .

ومن ضمن الذين تولوا هذا المنصب : الدخوار، الطبيب، حيث يذكر ابن شاكر الكتبي فيقول: «عبد الرحيم بن علي بن حامد الشيخ مهذب الدين الطبيب الدخوار، شيخ الأطباء ورئيسهم بدمشق»[6] .

---

(1) **القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج4، ص 184، أنظر/ **أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات**، ص 18.

(2) **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص:573 وهنا وهناك.

(3) **زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب**، تر، فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة، مازون عيسى الخوري، ط8، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1413هـ/1993م، ص 233.

(4) **قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني: ذيل مرآة الزمان**، ط1، انشر، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1374هـ/1955م، ج2، ص481 ؛**سوادي عَبَد محمد، مرجع سابق**، ص 135.

(5) **ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق**، ص 628.

(6) **ابن شاكر الكتبي: مصدر سابق**، ج2، ص 315.

ويذكر ابن القفطي عن: «أبو الحسن بن سنان الصابئ وهذا غير من تقدم ذكره من الجماعة بهذا الاسم...وكان موجودا في حدود سنه تسع وثلاثين وأربعمائة ببغداد وكان ساعورا في البيمارستان، وله إصابات في الطب »[1] .

كذلك:« ابن هارون الصابئ الطبيب أبو نصر كان هذا من صابة بغداد المقيمين بها وله يد في التطبب واشتهر بالصلاح والمعاناة، وكان مقدم الأطباء، وساعورهم في البيمارستان العضدي في وقته وتوفي في ليلة يوم الخميس الثالث من شهر رمضان سنة أربع وأربعين وأربعمائة»[2] .

3- التوقيع بنظر البيمارستان:

هي المراسيم بتعيينهم في وظائفهم وهذه صور من تلك التواقيع،وهم أي النظار من الدرجة الأولى: درجة المجلس.

- نسخة توقيع لمن كان في المرتبة الأولى مرتبة المجلس العالي: « المجلس العالي القضائي العالي الفاضلي الكاملي الأوحدي فلان...جمال الإسلام والمسلمين سيد الرؤساء في العالمين أوحد الفضلاء والمقربين خاصة الملوك والسلاطين».

وهذه صورة أخرى لما يكتب به من المراسيم لناظر البيمارستان لصاحب سيف كتب: توقيع شريف أن يفوض إلى المقر الكريم أو الجناب الكريم أو العالي (على قدر مرتبته) الأميري الكبيري الفلاني فلان الناصري (مثلا) أعز الله أنصاره أو نصرته، أو ضاعف الله نعمته (بحسَب ما يليق به) نظر البيمارستان المعمور المنصوري على أجمل العوائد وأكمل القواعد لما لذلك من المعلوم الشاهد به الديوان المعمور على ما شرح فيه[3].

وهناك نسخة ثالثة* . كما كانت مهنة الطب تخضع بصفة مستمرة لرقابة الدولة ممثلة في شخص المحتسب** .

ثانيا: أنواع البيمارستانات

كان للبيمارستانات نوعان: ثابت ومحمول.

أ- **الثابت**: ما كان ثابتا في جهة من الجهات لا ينتقل منها، وهذا النوع كان منه الكثير في البلدان الإسلامية خاصة في العواصم الكبرى، كبغداد ودمشق، والقاهرة...إلخ. ولا يزال أثر بعضها باق إلى الآن، كالبيمارستان المنصوري (قلاوُون) *** بالقاهرة. والبيمارستان النوري الكبير " دمشق" وغيرها[4] .

---

(1) **ابن القفطي: مصدر سابق**، ص397.

(2)**المصدر نفسه**، ص 338.

(3) **القلقشندي: مصدر سابق**، ج6، ص 168، انظر/ **أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات**، ص 20.

* أنظر الملحق رقم (02)،ص138.

** بخصوص المحتسب: أنظر الفصل الثاني، المبحث الثالث.

*** **قلاوون**: هو الملك المنصور قلاوون الصالحي الشهير بالألفي، ملك مصر سنة (678هـ/1280م)، سمي بالألف لأن آق سنقر الكاملي كان قد اشتراه بألف دينار، توفي بظاهر القاهرة سمة (689هـ/1290م) وهو قاصد الغزو، دفن بتربته بالقبة المنصورية داخل بيمارستان.

(4) **أحمد عيسى بك**:**المرجع نفسه**، ص 11.

ب– أما المحمول: فهو البيمارستان الذي يُنقل من مكان لآخر بحسب الظروف والبيئة وانتشارها، وكان هذا النوع معروفا لدى خلفاء الإسلام، وسلاطينهم، وأطبائهم، وهو عبارة عن مستشفى مجهز بجميع ما يلزم للمرضى والمداواة من أدوات، وأدوية، وأطعمة، وألبسة، وأطباء وصيادلة، وكل ما يساعد في إسعاف المرضى وعلاجهم، وما ذكره أيضا: ابن خلكان، وابن القفطي، بخصوص البيمارستانات المتنقلة: قالا:« إن أبا الحكم المغربي عبد الله بن المظفر بن عبد الله المرسي نزيل دمشق توفي (544هـ/1150م)، ، كان طبيب البيمارستان الذي كان يحمله أربعون جملا، المستصحب في معسكر محمود السلجوقي، وكان القاضي السديد أبو الوفا المعروف (بابن المرخم) طبيبا في هذا المارستان المحمول»[1] .

أما صيدلية البيمارستان أو خزانة الشراب فيذكر القلقشندي: « أنه كان يعبّر عنها في زمانه (القرن التاسع الهجري، الخامس عشر ميلادي). بالشرابخاناه »[*] .

وكان فيها أنواع الأشربة والمعاجين النفيسة، والمربيات الفاخرة، وأصناف الأدوية والعطريات الفائقة، والآلات النفيسة وما يحتاج إليه العلاج ولكل شرابخاناه " مهتار" بالفارسية وتعني الرئيس، وله مكان عالية، وتحت يده غلمان يعملون تحت إمرَته[2] .

ثالثا: تصنيف البيمارستانات باختلاف أغراضها:

فطِن المسلمون والعرب إلى الصور المختلفة، والأغراض المتعددة التي ينبغي أن تكون عليها البيمارستانات، فالمارستان المخصص ليخدم المقاتلين في ميدان الحرب، لاشك أنه يختلف عن المخصص لمرضى عقليين أو الذي يخصص لبعثه حج إلى بيت الله الحرام، وهكذا فقد خصّص المسلمون بيمارستانات للمجذومين والمجانين، كما لاحظنا زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك.

1– بيمارستان الأمراض العقلية:

أدرك المسلمون أهمية رعاية المرضى العقليين، فكثيرا ما ألحقوا بالبيمارستانات الكبيرة مواضع مخصصة ومعزولة بقضبان حديدية، خصصوها لمرضى الأمراض العقلية حتى لا يتسنى لهم الاعتداء على الأسوياء من المرضى، وقد أعطى الأطباء المسلمون أهمية لأصحاب الأمراض النفسية والعقلية، لأنها تتطلب رعاية خاصة[3].فمثلا في: **بيمارستان أرغون الكاملي** بحلب توضع أنواع الرياحين ليناظرها المجانين، ويأتون بآلات الطرب وبالمغنيين فيداوون المجانين بها أيضا»[4] .

---

[1] **أحمد عيسى بك: نفس المرجع،** ص 405؛ **ابن خلكان: مصدر سابق،** ج3، ص ص 123- 124.

[*] **خاناه:** لفظ فارسي معناه البيت. فتأويلها: بيت الشراب.

[2] **أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات،** ص 17.

[3] **ماهر عبد القادر: مقدمة في تاريخ الطب،** ص 49.

[4] **راغب الطباخ:مرجع سابق،** ج2، ص354.

ويصف لنا ابن جُبير بيمارستان المجانين فيقول: « ومما شاهدناه أيضا من مفاخِرِ هذا السلطان* .

المارستان الذي بمدينة القاهرة، (وبعد أن يحكى على تجهيزاته)، يقول: وبإزاء هذا الموضع موضع للنساء المريضات، ويتصل بالموضيعين موضع آخر متسع الفناء فيه مقاصير عليها شبابيك الحديد إتخذت محابس للمجانين»[1] .

2- بيمارستان المجذومين:

خصص هذا النوع من البيمارستان للمصابين بالجُذام، وكان الوليد أول من اهتم بذلك، وكان يوحنا بن ماسويه أول من كتب كتابا عن الجُذام، ومبعث هذا الإهتمام يأتي من فكرة المسلمين عن أعزل أصحاب الأمراض المعدية عن بقية المجتمع[2] .

3- بيمارستان السبيل:

وكان هذا النوع يستعمل في ركب التجارة أو بعثات الحج إلى الأراضي المقدسة، لأن الأمر يتطلب علاج المصاب، أو إنقاذ إمرئ بطلب النجدة، ويقول ابن القفطي في ذلك:« الطبيب أبو الحكم الدمشقي، سيّره معاوية بن أبي سفيان مع ولده يزيد طبيبا إلى مكة، عندما سيّر يزيد أميراً على الحج في أيامه، وقال الحكم ابن أبو الحكم: خرج أبي مع يزيد بن معاوية إلى مكة طبيبا، وخرجت أنا مع عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس طبيبا إلى مكة»[3] .

4- بيمارستان السجن:

لقد كانت عناية المسلمين بالمجنونين من الناحية الطبية مثل عناية من هم خارج أسوار الحبس، والدليل على ذلك، رسالة الوزير علي بن عيسى بن الجراح وزير المقتدر، التي بعث بها إلى سنان بن ثابت بن قرة الطبيب◆ وأوصاه خيرا بالمساجين[4]** . وكذلك بأرض السواد*** .

وأخيرا نذكر نموذجا لأحد بيمارستانات البلاد الإسلامية تتجلى فيه المزايا التي ذكرناها في روعة النظام الإداري، والتقسيم الفني، والمتمثلة في مارستان ابن طولون بمصر.

فهذا المارستان موضعه الآن في أرض العسكر، وهي الكيمان والصحراء التي فيها بين جامع ابن طولون وكوم الجارح، وبين السور الذي يفصل بين القرافة وبين مصر وقد دثر هذا البيمارستان في جملة ما دَثَر.

---

* **السلطان:** صلاح الدين الأيوبي.

(1) **ابن جبير: مصدر سابق**، ص 26.

(2) **ماهر عبد القادر**: **بحث مقدم في مؤتمر**، ص135.

(3) **ابن القفطي: مصدر سابق،** ص ص178-179.

◆ كان يلحق بأبيه في معرفته بالعلوم والطب وكان في خدمة الخيلفة المقتدر بالله والقاهر بالله والراضي بالله، أنظر/ بن أبي أصيبعة، **مصدر سابق،** ص 300.

** أنظر الملحق رقم (03)، 139.

(4)**المصدر نفسه**، ص 301؛ **ابن القفطي**: **المصدر السابق،** ص ص193- 194.

*** أنظر الملحق رقم (04)، 140.

قال جامع السيرة الطولونية: « وفي سنة إحدى وستين ومائتين بنى أحمد بن طولون المارستان، ولم يكن قبل ذلك بمصر مارستان، ولما فرغ منه. حبس عليه دار الديوان ودُورُه في الأساكفة والقيسارية وسوق الرقيق، وشرط في المارستان أن لا يُعالج فيه جُندي ولا مملوك، وعَمل حمّامين للمارستان، إحداهما للرجال والأخرى للنساء، حبسهما على المارستان وغيره، وشرط أنه إذا جيء بالعليل تُنزع ثيأبه ونفقته وتحفظ عند أمين المارستان، ثم يُلبسُ ثياباً ويُفرش له، يُغدَى عليه ويُراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ، فإذا أكل فروجا ورغيفا أُمِر بالانصراف، وأعطي مَالهُ وثيابَهُ، وفي سنة إثنتين وستين ومائتين كان ما حبسَه على المارستان والعين والمسجد في الجبل الذي يسمى بتنور فرعون، وكان الذي أنفق على المارستان ومستغله ستين ألف دينار، وكان يركب بنفسه في كل يوم جمعة ويتفقد خزائن المارستان وما فيها، والأطباء، وينظر إلى المرضى وسائر الأعلاّء والمحبوسين من المجانين، حتى أن أحد المجانين ضربه برمانة في إحدى الزيارات» [1].

[1] المقريزي: المواعظ والإعتبار، مصدر سابق، ج2، ص 1021.

المبحث الثاني: تدريس الطب، وإرساء نظام الإجازة في البيمارستان

إنّ من يتعلم الطب ويدرسه، ويمارسه كمهنة لابد له من العمل في بيمارستانات أو مستشفيات حتى يتدرب ويتمرن على مهنة الطب، ويستطيع أن يكتسب الخبرة من الحالات التي يُقابلها تحت إشراف أساتذة علماء، فأغلب الأطباء الكبار أو جميعهم كانوا يمارسون مهنة الطب في مارستانات أو أماكن خصصت للعلاج ولو كانت صغيرة المبنى، كما فعل أبقراط حيث عمل بالقرب من داره موضعا مفردا للمرضى، وجعل فيه خدما يقومون بمداواتهم، ويقول في هذا الصدد، جرُوينباوم عن ضرورة زيارة طلاب الطب للمارستانات: « أنه ينبغي له (أي طالب الطب) على الدوام أن يزور البيمارستانات ودور العلاج، وأنه يوجه انتباهاً لا يفتُر إلى أحوال من فيها وظروفهم، وهو في صحبة أعظم أساتذة الطب ذكاء، وأن يُكثر من الإستفسار عن حالة المرضى والأعراض الظاهرة عليهم ذاكراً ما قرأه عن تلك التغيرات، وعما تدل عليه من خير أو شر، فإن هو عقل ذلك بلغ رتبة عالية في هذه الصناعة »[1] .

ويقول محمد نزار خوّام في هذا السياق: « لم تقتصر البيمارستانات على دورها في المعالجة والتطبيب، فقط، بل كانت مستشفيات جامعية، كانت بمثابة نظام مكتمل للتدريب، والتدريس في العلوم الطبية المختلفة، وذلك عن طريق التحاق الطلبة بالأطباء، وبصورة خاصة رئيس الأطباء، حيث يرافقونه في فحص المرضى وتشخيص دائهم وفي الزيارات للمرضى، كما كانت تُعقد اجتماعات علمية موسعة لدراسة الحالات المرضية، حيث كان يجلس الطبيب المختص مع معاونيه في صدر قاعة الإجتماع، ويحضّر كتب الإشتغال (المراجع الطبية) من خزائن موجودة في القاعة ويجرى المباحث الطبية، ويقرئ التلاميذ ولا يزالون في مباحثات ونظر في الكتب ساعات قبل أن يركب إلى داره »[2] .

وقد كان الإهتمام بالبيمارستانات من واجبات الدولة أولا، ولم يغِب عن بال كبار الأطباء أن يُرسوا قواعدَ للعمل، ولتعليم الطلاب الذين قدموا لتعلّم الطب من كل مكان، وكان هذا سببا في نشأة مدارس للطب، وكان التدريس فيها على منهجين: منهج نظري في المدارس الطبية، ومنهج عملي للتدريب، والتمرين يجتمع فيه الطلاب حول رئيس الأطباء، يرون كيف يفحص المرضى، وما يصفه من العلاج. وإذا جاز الطلاب مدة الدراسة تقدموا للإمتحان ونالوا الشهادة.

وتُعد المناقشات وإبداء الرأي والمناظرات بين المشتغلين بالعلم إحدى طرق التدريس، ونمو المعرفة، كما تُعدُّ بُعداً جديدا ميز الفكر العِلمي في تلك الآونة وكشف في الوقت نفسه عن تمرّس الأطباء بعلم الطب، وفن المناظرة.

وكثيرا ما كان العالم أو الطبيب، يؤلف لتلاميذته المتخرجين على يده وأصبحوا أساتذة يباشرون تدريس العلم.

---

[1] **جروينباوم فون، حضارة الإسلام**، تر: عبد العزيز جاويد، القاهرة، (د ت)، ص424، أنظر/ **ماهر عبد القادر**: بحث مقدم في مؤتمر، ص 127.

[2] **محمد نزار خوّام: مرجع سابق**، ص77؛ **مصطفى السباعي: مرجع سابق**، ص ص223- 224.

وكان المقصود منها التفقه والتبحر في العلم، وليس التعليم والتلقين، ويقول في هذا ابن أبي أصيبعة أن أحمد بن أبي الأشعث ألف كتب ومنها كتاب الأدوية المفردة، وكان السبب الباعث على تصنيفه قوم من تلاميذته سألوه ذلك، وهذا نص كلامه في صدر الكتاب، قال: «سألني أحمد بن محمد البَلَدي أن أكتب هذا الكتاب؛ وقديما سألني محمد بن ثواب، فتكلمت في هذا الكتاب بحسب طبقتهما، وكتبته إليهما...وهما في طبقة من تجاوز تعلم الطب، ودخلا في جملة من يتفقه فيما علم من هذه الصناعة ويفرّع ويقيس ويستخرج...»[1] .

أولا: التعليم وتدريس الطب:

إذا ضربنا مثلا **بالرازي** فهو طبيب سريري لا يُبارى في هذا الميدان، كما هو أستاذ قدير في تعليم الطب، ويشهد له كتابه "المرشد أو الفصول"..وكان يزدحم الطلاب في حلقة دروسه، ويعرض أمامهم المرضى ليستجوبوهم عن سبب شكواهم، وبالتالي لتشخيص أمراضهم فإذا عجزوا تدخل بينهم ليقول في ذلك كلمته الفصل»[2] .

ونستخلص من هذا النص أن مجالس التعليم الطبي عند هؤلاء الأساتذة سواء كانت داخل البيمارستانات أو خارجه تشير إلى أشياء، فحلقة التدريس عند الرازي كانت على نوعين:حلقة للتدريس النظري، وأخرى للتدريس التطبيقي أو العملي.

فنلاحظ أن التدريس النظري، يتم بأسلوب نقاش علمي يجمع الطلبة على شكل حلقات، أما التدريس أو الدروس العملية، فكانت مثل جلساته النظرية تتم في شكل حلقات مع طلابه حول سَرير المريض في المارستانات شارحا لهم الحالات المرضية النادرة واحدة بعد الأخرى.

ويذكر المؤرخون في هذا الشأن: « كان نظام العملُ في البيمارستانات مستقرا، تُعرض الحالات على الناشئين من الأطباء، فإن لم يعرفوها عُرضت على من هم أكبر منهم، فإن عجزوا عن تناولها عرضوها على الرازي، وكان يبدي رأيه في هذه الحالات الصعبة مُسبِّبا، وكان يدون رأيه في التشخيص والعلاج، ويدون تلاميذه ذلك أيضا»[3].

وكان **علي عباس الأهوازي** يفرض على تلاميذه التردد المنتظم على المشافي، ويقول: « على الطالب أن يكون دائم الحضور في المشافي، وأن يكون شديد التنبه للشروط والظروف، وأن يُصاحب أمهر الأساتذة، ويتحرى باستمرار عن حالة المرضى، وما يظهر عليهم من أعراض، وأن يحفظ في فكره ما قرأ حول تقلب الأحوال ودلالاتها..»[4] .

---

[1] **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص 332.

[2] **كمال السامرائي**: **التعريف بأبي بكر الرازي**، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، 1988م، ص15؛ أنظر/ **ماهر عبد القادر، بحث مقدم في مؤتمر**، ص143.

[3] **أحمد أبو زيد: مرجع سابق**، ص279.

[4] **جاك ريسلر: مرجع سابق**، ص204.

وهناك الطبيب المصري هو **علي بن رضوان**، الذي له رأي مخالف في التعليم حيث يرى أن التعليم من الكتب أوفق من المعلمين، وله مصنف في ذلك[1].

ممن كانوا يدرّسون في البيمارستانات، الطبيب **أبو الفرج بن الطيّب**، كان يُقرئ صناعة الطب في البيمارستان العَضُدي، ويعالج المرضى فيه، وكان من نصارى بغداد، من المشهورين في صناعة الطب واسع العلم[2] .

أما **ابن الدخوار** شيخ الأطباء ورئيسهم، ومن بين تلاميذه ابن أبي أصيبعة، صاحب كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء)، كان يأتي بعد الفراغ من البيمارستان إلى داره ثم يشرع في القراءة والدرس والمطالعة، فإذا فرغ من ذلك إذن للجماعة فيدخلون عليه، ويأتي قوم من الأطباء والمشتغلين، وكان يُقرئ كل واحد منهم درسه، ويبحث معه فيه، ويفهمه إياه قدر طاقته، وكان إلى جانبه ما يحتاج إليه من الكتب الطبية، ومن كتب اللغة: "كتاب الصحاح للجوهري"، و"المجمل لابن فارس"، وكتاب "النبات لأبي حنيفة الدينوري"[3].

وتقول المستشرقة زيغريد هونكة :«كانت المستشفيات الكبيرة بمثابة مدارس عالية للطب، وكان يتلقى الطلاب فيها علومهم، ويتعلمون كل ما قاله أبوقراط وجالينوس، وما جاء به أساتذتهم العرب الكبار لأنفُسهم »[4].

وتقول أيضا:« بينما طلاب العلم في بلاد الغرب يسهرون الليالي درساً وحفظاً على ضوء الشموع في قاعات الأديرة، كانت التجربة العملية هنا تسير مع العلم جنبا إلى جنب، تجابه النظريات على أسرّة المرضى، حقائق المعاينة والكشف وحقائق التجارب، فتفنّد الظواهر تفنيدا علميا وتشبع الحالات المستعصية بحثاً ونقاشاً»[5].

ولقد كتب ابن أبي أصيبعة عن تجاربه في سني دراسته في دمشق، فوصف لنا كيف كان يدأب على مرافقة رئيسه في زياراته للمرضى، وكيف كان مع زملائه يعملون على متابعة ما يقوم به حين يكشف على بعض المرضى في عيادته وكيفية المعالجة ووصف الدواء..وكيف كانوا يتدافعون بالمناكب لتلقط كل ما كان الرئيس يقوله لزميل له شهير، حيث كانا يتباحثا ويتناقشا[6].

وهكذا فقد اتبع العرب والمسلمون في تدريس الطب طرق عملية تقتضي على طلاب الطب أن يدخلوا مع المرضى في إحتكاك دائم مستمر فيقابلوا ما قد تلقنوه نظريا بما يشاهدونه بأم أعينهم.

---

(1) **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص 563.

(2) **المصدر نفسه** ، ص 323؛ **أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات**، ص 28

(3) **المرجع نفسه**، ص 29؛ **ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق**، ص 732.

(4) **زيغريد هونكة: مرجع سابق**، ص 234.

(5) **نفسه**.

(6) **ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق**، ص 731.

1- المدارس الطبية:

ذكرنا أن طلبة الطب كانوا يتلقون علومهم على أساتذتهم في البيمارستانات إذْ كانت تُهيأ لهم الإيوانات الخاصة المعدة والمجهزة بالآلات، والكتب، أحسن تجهيز، فيقعدون بين يدي معلمهم بعد أن يتفقدوا المرضى وينتهوا من علاجهم، كما كان يفعل أبو المجد بن أبي الحكم في المارستان النوري الكبير، والرازي في المارستان العَضُدي، وغيرهم، كما كان بعضاً من مشائخ الطب وكبار رؤسائهم يُجعل لهم مجلسا عاما لتدريس صناعة الطب للمشتغلين عليه في منزله أو في المدارس الخاصة، وقد تبارى الخلفاء ووزراؤهم وملوك العرب وسلاطينهم وذوو الجاه والثروة وأهل العلم في ترقية الطب، ففتح الخليفة المنصور العباسي مدرسة طبية في بغداد، كما شاد هارون الرشيد مدرسة في دمشق وأنشأ الخليفة الناصر لدين الله الأموي الأندلسي مدرسة قُرطبة، ثم كثرت المدارس في الشرق والغرب لتعليم الطب والجراحة[(1)] .

وقد ضمت **دمشق** بين أسوارها الفخمة مدارس عديدة للطب. ومن تلك المدارس:

أ- مدرسة نور الدين زنكي الشهيد والبيمارستان الملحق بها، وقد أسسه عام (550هـ/1156م)، وبقي حتى سنة (1301هـ/1884م)، وكانت المدرسة ملحقة به[(2)].

ب- المدرسة الدخوارية: نُسبت إلى منشئها مهذب الدين عبد الرحيم بن علي المعروف، بالدخوار وقد أنشأها سنة (621هـ/1224م) بالصاغة العتيقة قبلي الجامع الأموي، وأول من درّس بها واقفها[(3)]، ووقف لها ضياعا كثيرة، ووصى أن يكون مدرسها، شرف الدين الرحبي، لما قد تحقق عنده من العلم والعمل[(4)]، ثم صار بعده التدريس لبدر الدين المظفر بن قاضي بعلبك، ثم بعده عماد الدين الدنيسري ومحمد بن عبد الرحيم بن مسلمة كمال الدين الطيب المتوفي سنة (697هـ/1298م)[(5)]، ومن جاء بعدهم كثير، وكان لمؤسسها مؤلفات جمّة في الطب والأدب، وممن درّس فيها أيضا علاء الدين بن النفيس.

ج- المدرسة اللبودية النجمية: أنشأها خارج دمشق سنة (664هـ/1266م)، الطبيب نجم الدين يحي اللبودي الدمشقي وتوفي سنة (670هـ/1272م)، ثم جعلت مسجدا بعد أن صارت تل تراب[(6)].

---

(1) **شوكت الشطي: مرجع سابق،** ص 318.

(2) **نفسه.**

(3) **النعيمي عبد القادر الدمشقي: الدارس في تاريخ المدارس،** ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،ج2، 1410هـ/1990م، ص100.

(4) **المصدر نفسه:** ص 102.

(5) **أحمد عيسى بك: تاريخ بيمارستانات،** ص 29.

(6) **النعيمي الدمشقي: المصدر السابق،** ص106.

د- المدرسة الدنيسرية: غربي باب البيمارستان النوري والصلاحية بآخر الطريق من قبله، قال الذهبي، في كتاب العبر: « في سنة ست وثمانين عماد الدين أبو عبد الله محمد بن عباس بن أحمد الربعي الرئيس، الطبيب الحاذق، ولد بدنيسر سنة ست، وسمع بمصر على يد بن مختار العامري وجماعة، وتفقه للشافعي، وبرع في الطب وتوفي في ثاني صفر»[1] . ويوجد أيضا في دمشق غير هذه المدارس، كمدرسة الخانقاه الأسدية، ومدرسة المزلقية، ومدارس أخرى أمثالها. ولهذه المدارس أوقاف وأنظمة وتدابير كثيرة الربح ، والفوائد ولقد ظلت هذه المدارس نجعة الطالبين للطب والعلوم في أقطار العالم جميعه[2] .

وجرت العادة أيضا أن تُلحق بعض هذه المدارس الطبية ببعض المنشآت الدينية، كما جاء في وثيقة وقف السلطان حسام الدين لاجين، أنه رتب في الجامع الطولوني بعد ترميمه سنة (696هـ/1297م) عدة دروس من بينها درس للطب[3].

2- اختصاصات طبية:

بعد الإشارة إلى البيمارستانات والمدارس الطبية التي كانت منتشرة في ربوع العالم الإسلامي، وما كان يُقام فيها من دروس نظرية، وأخرى عملية وتطبيقية، نعود بشيء من التفصيل إلى بعض الإختصاصات الطبية التي سُجلت أثناء أداء الأطباء ومساعدوهم لمهامهم، ونتطرق أولا إلى الخطوات التي اتبعوها خلال بحثهم وعملهم، ودراستهم، فمن خلال استقرائنا للكتابات نستخلص القواعد التي سارت الأبحاث الطبية وفقا لها.

فقد فطن العلماء الأجلاء إلى خطوة الملاحظة والوصف والمقارنة بين الأشياء المتشابهة والتمييز بين مرض وآخر، كما اقترنت المشاهدات الحسية عند هؤلاء العلماء بأعمال جيدة للعقل. فيما يعرض للحس، فقد يخطئ الحس، لكن العقل لابد له أن يصحح الخطأ.

كما اهتم الأطباء المسلمون بالإحتكام إلى التجربة، فهي دليل على الرأي وصوابه. فمثال على ما ذكرنا نجد أن الطبيب البغدادي* . بمتابعاته ومشاهداته الدقيقة، توصل إلى أن الفك الأسفل عند الحيوانات الثدية مكونا من قطعة واحدة لا من قطعتين كما زعم جالينوس.

حيث يقول:« أنه إذا كان الفك الأسفل مكونا من جزئين متصلين بمفصل فعلى الأقل يمكن رؤية هذا المفصل في العظام البالية الهشة. ذلك لأن تفتيت العظام يبدأ أولا في المفاصل، وتوصل لهذا الرأي بملاحظته لأكثر من ألفي جمجمة عثر عليها في مقبرة قرب القاهرة»[4] .

---

(1) **النعيمي الدمشقي: نفس المصدر**، ص 105.

(2) **شوكت الشطي: مرجع سابق**، ص 320.

(3) **محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية**، ص 171، أنظر/ **أحمد عبد الرزاق أحمد، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**، ط2، نشر، دار الفكر العربي، مدينة نصر، القاهرة، 1417هـ/1997م، ص 177.

*هو موفق الدين عبد اللطيف البغدادي المولد، قد إعتنى كثيرا بصناعة الطب لما كان بدمشق واشتهر بعلمها، كان قد شغله أبوه سماع الحديث في صباه. له مؤلفات وتلاميذ، توفي سنة تسع وعشرون وستمائة، أنظر/**عيون الأنباء**، ص 683.

(4) **ماهر عبد القادر: مقدمة في تاريخ الطب**، ص 63.

كما أن الطبيب الرازي:« أول من وصف بدقة ووضوح مرض الجدري والحصبة رغم التشابه الشديد بينهما»[1].

وسنذكر أمثلة أخرى في أوانها.

- **من بين الاختصاصات الطبية**. ما يتعلق **بالأمراض الباطنية،** فقد كان علماء الدولة الإسلامية إبان ازدهارها على دراية تامة بفسيولوجيا المعدة، وبالأمراض التي تصيبها، وبقروح المرئ، الأمعاء، الكبد، وفرقوا بين الورم الحاد أو الدبيلة، أي خراج الكبد، وبين الورم الصلب أي السرطاني، والقولنج الذي منه البلغمي والريحي، وهما يشبهان إلى حد كبير ما يعرف حاليا بتقلص القولون أو القولون العصبي[2] .

كما أن ابن سينا في كتابه القانون يذكر : أن العدوى تسري بالماء والتراب، كما وصف دودة "الأنكلستوما" ووضح أثرها على الجسم، ووصف الجمرة الخبيثة. أسماها العرب "النار الفارسية[3] .

ومن كلام الطبيب علي بن رضوان. قال:« تعرف العيوب. هو أن تنظر إلى هيئة الأعضاء والسحنة والمزاج وملمس البشرة، وتتفقد أفعال الأعضاء الباطنية والظاهرة، مثل أن تنادي به من بعيد فتعتبر بذلك حال سمعه، وأن تعتبر بصره بنظر الأشياء البعيدة والقريبة، ولسانه بجودة الكلام وقوته بشَيل الثقل والمَسك والضبط والمشي وأنحاء ذلك. مثل أن تنظر مشيهُ مقبلا ومدبرا...وتعتبر بذلك حال أحشائه، وتتعرف حال مزاج قلبه بالنبض وبالأخلاق، ومزاج كبده بالبول وحال الأخلاط، وتعتبر عقله بأن يُسأل عن أشياء، وفهمه وطاعته بأن يؤمر بأشياء»[4] .

من بين الاختصاصات الجراحة: كانت الجراحة في البداية أمر بسيطا، وتعرف عند المسلمين بصناعة اليد، لأنها كانت من جملة أعمال الفصادين والحجامين الذين كانوا يخضعون لإشراف المحتسب حيث يشترط على الفاصد معرفة تشريح الأعضاء والعروق والعضل والشرايين...إلخ، ويشترط على الحجام الرشاقة وخفة اليد.

وبعد تقدم المسلمين سرعان ما صاحبه تقدم تدريجي في الجراحة التي صارت فيما بعد تخصصا مستقلا فبعد أن استقوا معلوماتهم الجراحية عن مؤلفات جالينوس وغيره من علماء الإغريق، كما هو مبسوط في مؤلفاتهم ككتاب " فردوس الحكمة " لعلي بن ربن الطبري، وكتاب" الحاوي" للرازي، وكتاب " القانون " للرئيس ابن سينا، وتضمنت معلومات عن الجراحات، كأعضاء التناسل والمقعدة والعضل والوتر والأربطة وجراحة البطن والأمعاء، كما تضمن الكتاب الملكي " كامل الصناعة الطبية" لعلي بن عباس الأهوازي وصفا لبعض العمليات الجراحية كالشق العجاني على الحصاة، وعلاج الشريان العضدي.

---

(1) **ماهر عبد القادر :نفس االمرجع** ، ص 65.

(2) **أحمد عبد الرزاق أحمد: مرجع سابق،** ص 142.

(3) **عبد الرحمن مرحبا: مرجع سابق،** ص ص 297-298.

(4) **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق،** ص 565.

وقد برع في هذا الميدان أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي طبيب الأندلس المتوفى سنة (403هـ/1013م)، وقد فرق بين علم الجراحة وغيره من الموضوعات الطبية وجعله فرعا أساسيا من فروع الطب[1].

ويستند على تشريح الأجسام الحية والميتة[2]، حيث تضمن كتابه " التصريف لمن عجز عن التأليف" شرحا للعديد من العمليات الجراحية التي قام بها.

هذا وقد استعملوا المرقد (المخدر) في العمليات الجراحية، والخيوط المستمدة من أمعاء القطط "Catgut " في خياطة الأمعاء، كما تصدوا لأمراض العين بسبب كثرتها وانتشارها في البلاد الحارة، كمصر، والشام والعراق، فعمدوا لتشريح عيون الحيوانات، ثم أجريت عمليات على الإنسان بعد ذلك.

وكان طب العيون يعرف" بالكحالة" وممن إشتهر بذلك على بن عيسى. وكتابه" تذكرة الكحّالين".

أيضا ضمت البيمارستانات إبان ازدهارها أطباء يتولون علاج العظام، وتجبيرها ويُشترط فيمن يتصدى للجبر أن يُلمّ بالمقالة السادسة من كتاب "بُولص الأجانيطي" (Paul D'Egine)[3] ، وبعدد عظام الآدمي، وهو مائتا عظم وثمانية وأربعون، وبصورة كل واحد منها، وشكله وقدره[4].

كذلك حظي طب الأسنان باهتمام الأطباء، وقد ألف فيه كبار الأطباء كالرازي، والأهوازي وابن سينا وغيرهم، فمثلا: تحدث الرازي عن الوجع الذي يبقى في أثر قلع الأسنان، وأرجعه إلى الورم الحادث في العصب[5].

ومن بين الإختصاصات الهامة طب النساء، فقد وجد بين الأطباء من كرس جهده لهذا الميدان أمثال الزهراوي والأطباء الآنف ذكرهم، وبما أن هناك ضوابط شرعية للخلوة بالنساء، ورغم خجلهن من فحص الرجال لهن في أمراضهن الخاصة، لذلك فقد حرص هؤلاء الأطباء على تعليم القابلات طرق فحص النساء ومعالجتهن، كما يُستشف من عبارة الرازي « إذا رأيت الطمث فقل للقابلة أن تجُسَّ عُنق الرحم»[6]، كما وُجدت النسوة من الطبيبات ممن اشتهرن في مجال الطب النسائي، كأخت الحفيد ابن زهر الأندلسي، وابنتها، وغيرهن، هذا ويُنسب إلى الزهراوي أيضا الفضل في ابتكار آلة خاصة لتوسيع باب الرحم أثناء الولادة[7].

كما أن علي بن عباس الأهوازي، صحّح نظرية أبقراط الخاصة بتحرك الجنين وخروجه من الرحم بفضل هذه الحركة، إذ برهن إلى أن ذلك يرجع إلى انقباض عضلات الرحم فتدفع الجنين إلى الخارج[8].

---

(1) **محمد عبد الرحمن مرحبا: مرجع سابق**، ص 290.

(2) **أحمد عيسى بك: آلات الطب والجراحة**، ص 524، أنظر/ **أحمد عبد الرزاق، مرجع سابق**، ص 145.

(3) **ابن القفطي: مصدر سابق**، ص ص261-262.

(4) **عبد الرحمان بن نصر الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، تح، الباز العريني، (دط) نشر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1365هـ/1946م، ص 101.

(5) **الرازي: الحاوي في الطب**، ج3، ص 93، أنظر/ **أحمد عبد الرزاق أحمد، مرجع سابق**، ص 156.

(6) **محمد كامل حسين: مرجع سابق**، ص 151.

(7) **زيغريد هونكة: مرجع سابق**، ص268.

(8) **المرجع نفسه**، ص271.

وكذلك عرف الطب في العصر الذهبي الإسلامي، طب الأطفال والعلل التي كانت تعرُض لهم وطرق علاجها واهتموا بتربية الأطفال ورضاعتهم، كما اهتموا بالأمراض التي تصيب الطفل، ووسائل علاجها كالسعال، والمغص، والإسهال، والقيء،...إلخ. ويُعدُّ أبو بكر الرازي أول من تعرض لطب الأطفال بالبحث والدراسة ووضع فيه رسالة لم تصلنا نسختها العربية. مع أنها تُرجمت إلى العبرية واللاتينية[1].

من بين الإختصاصات علم التشريح، الذي يعتبر من الجوانب المهمة في ميدان الطب، حيث أن كل الإختصاصات الطبية لها علاقة بهذا العلم، وقد وضع لنا ابن القف كتابه الجامع المسمى ب"كتاب العمدة في الجراحة"، ورتبه في عشرين مقالة، تضمنت المقالة الثانية منه أمزجة الأعضاء وتشريح الأعضاء البسيطة.

المقالة الثالثة فكانت في تشريح الأعضاء المركبة، وقد قسمها إلى ثلاثة وعشرون فصلا منها على سبيل المثال: فصل في تشريح النخاع، فصل في تشريح العينين، وفي تشريح الأنف أو آلة الشم، فصل في تشريح القلب، فصل في تشريح المعدة والأمعاء، فصل في تشريح الكبد والطحال إلى غيرذلك من أعضاء الجسم.إلخ[2] .

وتُعرضُ هنا لنا إشكالية طالما طرحها الكثير من الغربيين والمستشرقين وحتى بعض المسلمين؛ وهي هل طبق المسلمون أو العلماء والأطباء في الدولة الإسلامية التشريح؟ وهل قاموا بتشريح الحيوانات أو الإنسان؟ وهل كان وصفهم لأعضاء الجسم وصفا دقيقاً أو مجرد إعمال الحَدَسْ والفِكر وتقليداً لما كان عليه علماء الإغريق والحضارات الماضية؟

يقول المستشرق ماكس مايرهوف:«...علينا أن نذكر بأن المسلمين لم يكن يُسمح لهم بتشريح جسم الإنسان، وجسم الحيوان مطلقا، ولذلك كانت التجربة في الطب ممنوعة فعلا، لذلك لم تكن بالمستطاع تصحيح أي غلط تشريحي أو فلسفي وقع فيه جالينوس»[3].

لكن الظاهر أنّ النصوص التاريخية تُفنِّد هذا الرأي وتبطله، فقد ذكر لنا ياقوت الحموي في معجمه نصًّا مفادُه ما يلي:" قال عبد الله بن مالك جُمع الأطباء لعلي بن أبي طالب –رضي الله عنه– لما ضربه ابن مُلجَم لعنه الله تعالى، وكان أبصرهم بالطب أثير*، فأخذ أثير رئة شاة حارة فتتبَّع عرقاً فيها، فاستخرجه وأدخله في جراحه علي، ثم نفخ العِرق واستخرجه فإذا عليه بياض الدماغ، وإذا الضربة قد وصلت إلى أمّ رأسه، فقال يا أمير المؤمنين أعهِد عهدك فإنك ميت"[4]. فهذا النص يوضح أن المسلمين مارسوا الجراحة في أوائل عهد الإسلام.

كما يذكر ابن أبي أصيبعة عن الطبيب يوحنا بن ماسويه الطبيب الصيدلاني العربي النصراني: أن رسول الخليفة المعتصم جاء إلى يوحنا بن ماسويه في داره وقال له: « يقول لك أمير المؤمنين، زوّج هذا القرد من قردتك "حماحم"،

---

(1) **أحمد عبد الرزاق: مرجع سابق،** ص161.

(2) **أبي الفرج ابن موفق الدين يعقوب بن اسحاق المعروف بابن القف ت (685هـ/1286م): العمدة في الجراحة:** ط1، نشر، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، ج1، ص ص3-91 .

(3) **ماكس مايرهوف: العلم والطب،** ص493، أنظر/ **ماهر عبد القادر، مقدمة في تاريخ الطب،** ص111.

* هو أثير بن عمرو السكوني، طبيب كوفي معروف بابن عمريًّا.

(4) **ياقوت الحموي: مصدر سابق،** ج1، ص111.

وكان ليوحنا قردة يسمّيها حماحم، وكان لا يصبر عنها ساعة، فوجم لذلك ثم قال للرسول: قل لأمير المؤمنين إتخاذي لهذه القردة غير ماتوهمة أمير المؤمنين، وإنما دبرت تشريحها ووضع كتاب على ما وضع جالينوس في التشريح يكون جمال وضعي إياه لأمير المؤمنين، وكان في جسمها قلة تكون العروق فيها والأوراد والعصب دقاقا، فلم أطمع في اتضاح الأمر فيها مثل اتضاحه فيما عظُم جسمه، فتركها لتكبر ويغلظ جسمها، فأما إذ قد وافى هذا القرد فسيعلم أمير المؤمنين أني سأضع له كتابا لم يوضع في الإسلام مثله ثم فعل ذلك بالقرد فظهر له منه كتاب حسن إستحسنه أعداؤه فضلا عن أصدقائه»[1] .

ويروي ابن القفطي كذلك:« بأنّ يوحنا بن ماسويه، كان له إبنا متخلفاً وأبله، وأراد أن يتخلص منه، ففصده، وخرج إلى الشام، ولما بلغ يوحنا موت ابنه، قال:" لولا كثرة فضول السلطان ودخوله فيما لا يعنيه، لشرحت إبني هذا حيا مثلما كان جالينوس يشرح الناس والقرود، فكنت أعرف بتشريحه الأسباب التي كانت لها بلادته، وأريح الدنيا من خِلقته وأكسب أهلها بما أضع في كتابي من صنعة تركيب بدنه ومجاري عروقه وأوراده وأعصابه علما ولكن السلطان يمنع ذلك" »[2].

فهذه النصوص تدل على أن العرب والمسلمين زاولوا التشريح، فتعليق ابن أبي أصيبعة بالقول: « ثم فعل ذلك بالقرد» يعني أنه شرح القرد، وفعل به ما أراد، ووضع الكتاب[3] .

ويقول ماهر عبد القادر في تحليل النص الثاني بأن قول يوحنا: « لولا كثرة فضول السلطان ودخوله فيما لا يعنيه لشرحت إبني هذا حيا ».

يعني ثلاثة أمور: أولها؛ أنه كان يريد تشريح إبنه حياً، لكنه خشي مغبة ذلك، والثاني، أنه شرح إبنه جسدا ميتا، وهكذا عكس ما قاله ماكس مايرهوف. والثالث أن التشريح البشري كان يمارس سرّا في ذلك الوقت، ولا يمكن

بحال من الأحوال أن نزعم مع مايرهوف أن التشريح لم يُزاول في تلك الفترة أو بعدها، وإنما غاية ما يمكن أن نقول أن لفظة "السلطان" التي وردت على لسان يوحنا تعني خوفه من رجال الدين، ونحن نعلم أن نفوذ الحنابلة ورجال الدين في هذا العصر كان قويا، ولو فعل لكانوا أقاموا عليه الحد»[4].

إذا نقول أن هذه الأمور، وهذه الملاحظات قد حدثت في أوائل القرن الثالث الهجري وأواخر القرن الثاني، فالذي يُتوقع ويمكن أن نتصوره مع التقدم الزمني في ميدان التشريح والميدان الطبي بصفة عامة يكون بصورة أكبر في القرن السادس والسابع الهجريين.

---

(1) **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص 250؛ **رحاب عكاوي: مرجع سابق**، ص 13.

(2) **ابن القفطي: مصدر سابق**، ص ص 390-391؛ **ماهر عبد القادر: مقدمة في تاريخ الطب**، ص 121؛ **ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق**، ص 252.

(3) **المصدر نفسه**، ص 250.

(4) **ماهر عبد القادر: مقدمة في تاريخ الطب**، ص 122.

ثانيا: امتحان الأطباء وإرساء نظام الإجازة:

1-إمتحان الأطباء:

لقد كان للأطباء في أول عهد الدولة الإسلامية الحرية التامة في العمل والتجريب ومعالجة المرضى، وكان الطبيب يكتفي لمعاناة التطبيب بقراءة الطب على أي طبيب من النابهين في عصره حتى إذا آنس من نفسه القدرة على مزاولة الصنعة باشرها بدون قيد أو شرط.

وإن أول من نظم صناعة التطبيب وقيدها بنظام خاص حرصا على مصلحة الجمهور هو الخليفة العباسي المقتدر بالله جعفر بن المعتضد الذي يتولى الخلافة سنة (295هـ/908م)، ففرض على من يريد معاناة التطبيب تأدية امتحان للحصول على إجازة تخوله هذا الحق بين الناس والسبب في ذلك ما يرويه لنا ثابت بن سنان:« ولما كان في سنة تسع عشرة وثلاثمائة اتصل بالمقتدر أن غلط جرى على رجل من العامة من بعض المتطببين فمات الرجل، فأمر إبراهيم بن محمد بن بطحا بمنع سائر المتطببين من التصرف إلا من امتحنه والذي سنان بن ثابت، وكتب له رقعة بخطه بما يطلق له من الصناعة فصاروا إلى والدي، وامتحنهم وأطلق لكل واحد منهم ما يصلح أن يتصرف فيه، وبلغ عددهم في جانبي بغداد ثمانمائة رجل ونيفًا وستين رجلا، سوى من إستغنى عن مهنته باشتهاره في صناعته وسوى من كان في خدمة السلطان»[1] .

ويقول عباس محمود العقاد: « وقد دعي إلى الإمتحان في بغداد نحو تسعمائة طبيب على عهد المقتدر بالله وهم غير الأساتذة الثقات الذين تجاوزوا مرتبة الإمتحان، وهي عناية بالطب والصحة لم تشهدها قط حاضرة من حواضر التاريخ القديم[2] ، ويقول السباعي: « وكان لا يُسمح للطبيب بالإنفراد بالمعالجة حتى يؤدي إمتحانا أمام كبير أطباء الدولة يتقدم إليه برسالة في الفن الذي يريد الحصول على الإجازة في معاناته، وهي من تأليفه أو تأليف أحد كبار علماء الطب له عليها دراسات وشروح، فيمتحنه فيها ويسأله عن كل ما يتعلق بما فيها من الفن، فإذا أحسن الإجابة أجازه كبير الأطباء بما يسمح له بمزاولة مهنة الطب »[3] .

وجاء في كتب دائرة المعارف الإسلامية: « وأمر المقتدر سنان بن ثابت باختيار الأطباء، وألا يمنح الإجازة بمزاولة المهنة إلا لمن يصلح لها وكانت النتيجة منح الإجازة لثمانمائة وستين طبيباً »[4] .

---

[1] **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص 302.

[2] **عباس محمود العقاد: أثر العرب في الحضارة الأوروبية**، نشر، دار النهضة مصر، 1422هـ/2002م، ص35.

[3] **مصطفى السباعي: مرجع سابق**، ص 224.

[4] **السيد عبد الرزاق الحسني وآخرون: بغداد**، تر، إبراهيم خورشيد وآخرون، ط1، كتب دائرة المعارف الإسلامية، دار الكتاب اللبناني، مكتبه المدرسة، 1984م، ص 91.

وقد كان مشاهير الأطباء يمتحنون طلابهم، فهذا الطبيب الرازي يمتحن طلابه المتخرجين عليه فيسألهم أولا في تشريح الجسم، فإذا فشلوا في الإجابة فيه، فلا يسألهم في الطب السريري، لأن فشلهم في هذا الموضوع لا يشفع لهم في النجاح حتى لو نجحوا في العلوم السريرية[1] .

ويذكر أحمد عزب عن الإجازات في إقليم خوارزم بقوله: « لقد كانت الحكومات في العصر الإسلامي تمنح شهادات رسمية للأطباء الذين يرون فيهم الكفاءة للتطبيب، قبل بدئهم بمزاولة العمل، وكان على من يريد مزاولة الطب أن يكون على علم بعدد من المؤلفات الطبية ذكرها النظامي العروضي*»[2] .

2- نظام الإجازة:

يقول الشطي عن أمين الدولة ابن التلميذ المتوفى سنة (684هـ/1164م) :«كان رئيس البيمارستان العضُدي ببغداد وكان لا يقبل عطية، لا من خليفة ولا من سلطان، وعُهد إليه بامتحان الأطباء، وإجازة من يستحق الإجازة منهم»[3] .

ويقول عصام عبد الرؤوف:« والصيادلة كالأطباء لا يمارسون المهنة إلا بعد إجتياز إختبار والحصول على إجازة الممارسة للمهنة، ولهم رئيس يتفقد أعمالهم»[4] .

كذلك يقول رحاب عكاوي: « كان من أوائل الذين ألفوا في الصيدلة جابر بن حيان، وكان يفرض على المطببين زمن المأمون، والمعتصم أن يجتازوا إمتحانا خاصا، وفرض على الصيادلة مثل ذلك»[5] .

ونورد شهادة تحصل عليها طبيب عربي مختص بالجراحة الصغيرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

« بإذن الباري العظيم نسمح له بممارسته فن الجراحة لما يعلمه حق العلم ويتقنه حق الإتقان حتى يبقى ناجحا وموفقا في عمله، وبناء على ذلك، فإن بإمكانه معالجة الجروحات حتى تشفى،وبفتح الشرايين،واستئصال البواسير، وقلع الأسنان، وتخييط الجروح وتطهير الأطفال ...وعليه أيضا أن يتشاور دوما مع رؤسائه ويأخذ النصح من معلميه الموثوق بهم وبخبرتهم»[6] ** .

---

(1) **ماهر عبد القادر: بحث مقدم في مؤتمر**، ص 144.

* **النظامي العروضي**: صاحب جهار مقالة، ويقول في المقالة الرابعة منه: « وعلى الطبيب أن يطلع في علم الطب على عدد من المؤلفات الطبية مثل: الذخيرة الخوارزم مشاهية في الطب، وهي بالفارسية، إثني عشر مجلدا تأليف زين الدين (شرف الدين)، أبو إبراهيم إسماعيل بن حسن بن محمد الحسيني الجرجاني المتوفى سنة 531هـ/1136م».

(2) **محمد سعد السيد أحمد عزب: مرجع سابق**، ص 176.

(3) **أحمد شوكت الشطي: مرجع سابق**، ص 300.

(4) **عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: مرجع سابق**، ص 375.

(5) **رحاب عكاوي: مرجع سابق**، ج2، ص 13.

** أنظر الملحق رقم (05)، ص 141.

(6) **زيغريد هونكة: مرجع سابق**، ص 238.

-ويقص لنا ابن العبري من ظريف ما جرى لسنان بن ثابت في امتحان الأطباء«أنه أحضر إليه رجل مليح البشرة والهيئة ذو هيبة ووقار فأكرمه سنان على موجب منظره ورفعته ثم التفت إليه سنان فقال:قد إشتهيت أن أسمع من الشيخ شيئا أحفظه عنه وأن يذكر شيخه في الصناعة، فأخرج الشيخ من كمه قرطاسا فيه دنانير صالحة ووضعها بين يدي سنان وقال: والله ما أحسن أكتب ولا أقرأ شيئا جملة، ولي عيال ومعاشي دار دائره، وأسألك أن لا تقطعه عني،فضحك سنان وقال:على شريطة أنك لا تهجم على مريض بما لا تعلم ولا تشير بفصد ولا بدواء مسهل إلا بما قرب من الأمراض، قال الشيخ: ذلك مذهبي مذ كنت ما تعديت السكنجبين* والجلاَّب** وانصرف»[1].

*السكنجبين:هو المركب من الخل والعسل، أنظر/ الخوارزمي، مصدر سابق ، ص 200.

الجلاب:كلمة فارسية مركبة من"جل"و"آب"، الجُلّ: هو الورد، وآب:هو الماء، ومعناه:شراب ماء الورد، أنظر/ **أبو نصر المعروف بالعطار الهاروني: **منهاج الدكان ودستور الأعيان**، إعتنى به، فارس بن فتحي بن إبراهيم، ط1، دار بن الهيثم للنشر، القاهرة، 1427هـ/2006م، ص17.

(1) **ابن العبري**: **مصدر سابق**، ص 162؛ **زيغريد**: **مرجع سابق**، ص ص 236 -237 .

المبحث الثالث:دور الرقابة على الأطباء والصيادلة من خلال إستدعاء وظيفة المحتسب

مع إزدهار الحضارة وتقدم الحياة فيها كثرت الأنشطة الحضارية والأعمال والمهن والناس منهم الأخيار وكثير منهم دون ذلك مما أتاح مجال للكثيرين من ضعاف النفوس أن يعيشوا فسادا بالغش والتدليس والدّخل واللعب بعقول الناس بمعسول القول، ومع إرتقاء الأسباب الحضارية أصبحت الحاجة ماسة إلى نوع من الرقابة على الأسواق والباعة والتفتيش على ذوي المهن لتمييز الغث من الثمين ومن المسلم به أن الدين الحنيف يحض على التناصح ويوصي به .

لهذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبا على كل مسلم وهو ليس وظيفة بل عمل تطوعي يقوم به المسلم الملتزم، وقد تطور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تطور المجتمع إلى عمل تكليفي يخصص لفئة من الناس كانت مهمتهم تقتصر على إسداء النصح والحث على الإخلاص في المعاملة والعمل والتعامل مع الناس بالحسن وترك الغش والتدليس.وكانت مهمة ولي الأمر أن يعين محتسبا واحدا أو أكثر ممن يراه أهلا للقيام بهذه الوظيفة وللمحتسب أن يتخذ أعوان لمساعدته في المراقبة والنهي عن المنكر وعن الغش. ولا يحق للمحتسب أن يقاضي الناس ولكن عليه الموعظة وحمل الناس على الأمانة وتبصيرهم بالعقوبة في الدنيا والآخرة فإذا لم يرعوي المخطئ فإنه يوصل الأمر إلى القاضي الذي يملك حق الحكم بالعقوبة، ومع تطور المجتمع وتعدد المهن المختلفة ومن بينها المهن الطبية .أصبح من الصعب على المحتسبة غير المؤهلين القيام بهذه المهنة الدقيقة، وتحول نظام الحسبة أخيرا من إسداء النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي أمور دينية إلى نظام دقيق للمراقبة والمحاسبة والتفتيش يتطلب الخبرة والمعرفة والفهم،كما يحتاج المحتسب إلى لوائح وقوانين ومراجع ونظم توضح له نطاق عمله.

أولا– تعريف الحسبة:

1– لغة: من الإحتساب أي من حسن التدبير في الأمر، وهي تعني عند بعض اللغويين طلب الأجر والثواب من الله بالقيام بأنواع الخير والبر إبتغاء مرضاة الله تعالى .

وتعني أيضا في بعض إستعمالاتها الإنكار والإحتجاج كأن يقال :إحتسب فلان على فلان أي إحتج عليه.

2– شرعا:الحسبة في المفهوم الشرعي أن يتطوع أحد المسلمين بالتدخل في حياة الآخرين إذا فعلوا جرما في حق الله تعالى أو حق البشر[1] .

ويقول الماوردي: الحسبة، هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركَهُ ونَهي عن المنكر إذا أُظهِرَ فَعَلَهُ، وقال الله تعالى:﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[2].

[1] **أحمد صبحي منصور**: **الحسبة دراسة أصولية تاريخية**، ط1، نشر، مركز المحروصة، المركز العربي المصري، 1415هـ/1995م، ص 7.

[2] **سورة آل عمران**، الآية 104، ص 63.

وهذا إن صحّ من كل مسلم فالفرق فيه بين المتطوع والمحتسب*، وقد ذكر له تسعة أوجه، وفي حديث عمر: «**أيها الناس إحتسبوا أعمالكم،فإن من احتسب عَمله،كُتب له أجرُ عمله وأجر حسبته**». [اللسان:315/1] (1).

ويضيف من شروط والي الحسبة أن يكون حرا عدلا، ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين، وعلم بالمنكرات الظاهرة(2) .

يقول أحمد عيسى:« ذكرنا الحسبة لأنها في ذلك الزمن بمثابة التفتيش والرقابة في هذه الأيام على الأطباء والصيادلة،... والمحتسب هو من أرباب الوظائف الدينية الست المشهورة وكان عندهم من وجوه العدول وأعيانهم وكان من شأنه أنه إذا خُلِعَ عليه قُرِئ سجله بمصر، والقاهرة على المنبر، ويده مطلقه في الأمر بالمعروف. والنهي عن المنكر على قاعدة الحسبة، ولا يحال بينه وبين مصلحة أرادها...»(3) .

ثانيا: الحسبة على الأطباء:

وقد شرح الشيزري في باب الحسبة على الأطباء والكحالين** والمجبرين*** والجرائحيين♦. الدور المنوط بهم وعرَّف الطبيب. بقوله: « والطبيب هو العارف بتركيب البدن ومزاج الأعضاء ، والأمراض الحادثة فيها وأسبابها وأعراضها وعلاماتها، والأدوية النافعة فيها وطريق مداواتها ليساوي بين الأمراض والأدوية في كمياتها، فمن لم يكن كذلك فلا يحل له مداواة المرضى ولا يجوز له الإقدام على علاج يخاطر فيه»(4) .

وقال أيضا: « وينبغي إذا دخل الطبيب على المريض أن يسأله عن سبب مرضه، وعما يجد من الألم، ويعرف السبب والعلامة والنبض والقارورة Δ، ثم يرتب له قانون من الأشربة وغيرها تم يكتب نسخة بما ذكره له المريض،

---

*يقول **إبن تيمية**: « وأما المحتسب، فله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما ليس من إختصاصات الولاّة والقضاة وأهل الديوان ونحوَهم»، أنظر/ **أحمد بن عبد الحليم بن تيمية**: **الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية**، (د ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دت)، ص 16؛ **أبي الحسن علي ابن محمد ابن حبيب البصري الماوردي** (**374-450هـ/985-1058م**): **الأحكام السلطانية**، تح، أحمد جاد، نشر، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ/2006م، ص 349.

(1) **اللسان**، ج1، ص 315، أنظر/ **الماوردي، نفسه**.

(2) **المصدر نفسه**، ص 350.

(3) **أحمد عيسى بك**: **تاريخ بيمارستانات**، ص ص 35-36.

الكحال: طبيب أمراض العيون،(Ophthalmolog).

***المجبرون**: هم أطباء العظام، (Orthopédistes).

♦ **الجرائحيون**: هم أطباء الجراحة (Chirurgiens) .

(4) **الشيزري**: **مصدر سابق**، ص97.

Δ **القارورة**: إناء من الزجاج (القاموس المحيط للفيروز أبادي)، ويقصد أن يكون بها " بول" لتحليله والنظر فيه ويقال التفسرة: كناية عن البول.

وبما رتبه له في مقابل مرض ويسلم نسخة لأولياء المريض بشهادة من حضر ويفعل من الغد مثل ذلك، وفي اليوم الثالث والرابع إلى أن يبرأ المريض أو يموت، فإن برئ من مرضه، أخذ الطبيب أجرته وإن مات حضر أولياؤه عند الحكيم المشهور فإن رأى في النُّسخ تقصيرا من الطبيب قال لهم :" خذوا ديّة صاحبكم من الطبيب فإنه هو الذي قتله بسوء صنعه وتفريطه " وهذا الإحتياط كي لا يتعاطى الطب من ليس من أهله»[3].

وينبغي للمحتسب أن يأخذ عليهم عهد أبقراط (Hippocrates)، الذي أخذه على سائر الأطباء، ويحلفهم ألا يعطوا أحدا دواءً مضراً ولا يرِّكبوا له سمًّا، ولا يصفوا التمائم عند أحد من العامة، ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الأجنة، ولا للرجال الدواء الذي يقطع النسل وليغضوا أبصارهم عن المحارم عند دخولهم على المرضى ولا يفشوا الأسرار ولا يهتكوا الأستار [4].

وللمحتسب أن يمتحن الأطباء بما ذكره حنين إبن إسحاق في كتابه المعروف " محنة الطبيب" [5].

الكحّالون: فيمتحنهم المحتسب بكتاب حنين " العشر مقالات في العين" فمن وجده فيما امتحنه به عارفا بتشريح عدد طبقات العين السبعة، وعدد رطوباتها الثلاثة، وعدد أمراضها... وكان خبيراً بتركيب الأكحال، وأمزجه العقاقير. أذن له المحتسب بالتصدي لمداواة أعين الناس ولا ينبغي أن يفرط الكحال في شيء من آلات الصّنعة[4].

- **المجبّرون**: فلا يحل لأحد أن يتصدى للجبر إلا بعد أن يحكم معرفة المقالة السادسة من كناش بولص، في الجبر، وأن يعلم عظام الآدمي، وهو مائتا عظم وثمانية وأربعون عظما وصورة كل عظم منها، وشكله وقدره، حتى إذا انكسر منها شيء أو انخلع رده إلى موضعه على هيئته التي كان عليها ، فيمتحنهم المحتسب بجميع ذلك[5] .
- **الجرائحيون**: فيجب عليهم معرفة كتاب جالينوس المعروف "بقاطاجانس"* في الجراحات والمراهم، وكتاب الزهراوي في الجراح، وأن يعرفوا التشريح وأعضاء الإنسان، وما فيه من العضل والعروق، والشرايين والأعصاب، لتجنب الجراح ، ذلك وقت فتح الجسم وإجراء العمليات وعند قطع البواسير[6].

---

(1) **الشيزري: مصدر سابق**، ص98؛ **محمد القرشي ابن الأخوة: معالم القربى في أحكام الحسبة**، تح، محمد محمود شعبان وصديق المطيعي، طبعة القاهرة، 1396هـ/1976م، ص 167.

(2) **الشيزري: المصدر السابق**، ص 98.

(3) **المصدر نفسه**: ص 100.

(4) **نفسه**.

(5) **المصدر نفسه**، ص101.

* **قطاجانس**: اسم يطلق على السبع مقالات الأولى من كتاب جالينوس الخاص بتركيب الأدوية، وقد نقله إلى العربية، حبيش الأعسم ابن أخت حنين ابن إسحاق وتلميذه في القرن التاسع ميلادي.

(6) **نفسه**.

ثالثا: دور المحتسب على الصيادلة والغشاشون:

ذكر ابن العبري أن زكريا الطيفوري الطبيب خدم الإفشين* فقال زكريا :« إني كنت مع الإفشين في معسكره وهو في محاربة بابك الخُرَّمي** ، فجرى ذكر الصيادلة فقلت: أعز الله الأمير إن الصيدلاني لا يُطلب منه شيء كان عنده أو لم يكن. إلا أخبر بأنه عنده فدعا الإفشين بدفتر فأخرج منه نحوا من عشرين إسما ووجه إلى الصيادلة من يطلب منهم أدوية مسماة بتلك الأسماء فبعض أنكرها وبعض ادعى معرفتها وأخذ الدراهم من الرسل، ودفع إليهم شيء من حانوته، فأمر الإفشين بإحضار جميع الصيادلة فمن أنكر معرفة تلك الأسماء أذن له بالمقام في معسكره ونفى الباقين»[1] .

وفي الحسبة على الصيادلة يقول الشيزري: « فينبغي على المحتسب أن يخوفهم ويعظهم وينذرهم بالعقوبة والتعزير، فمن غشوشهم المشهورة أنهم يغشون الأفيون*** المصري، بشياف$^{\Delta}$ ماميتا ، ويغشونه أيضا بعصارة ورق الخس البري، ويغشونه بالصمغ، وعلامة غشه أنه إذا أذيب بالماء ظهرت له رائحة كرائحة الزعفران إن كان مغشوشا بالماميتا، وإن كانت رائحته ضعيفة وهو خشن كان مغشوشا بعصارة الخس، وقد يغشون الطباشير♦ بالعظام المحروقة بالأتاتين، ومعرفة غشها أنها إذا طرحت في الماء رصد العظم وطفا الطباشير وقد يغشون اللبان الذكر بالقلفونية والصمغ...وقد يغشون الشمع بشحم المعز والقلفونية»♦♦ .

وأما جميع الأدهان الطبية وغيرها فإنهم يغشونها بدهن الخل بعد أن يغلى على النار ويطرح فيه جوز ولوز مرضوض، ليزيل رائحته وطعمه، ثم يمزجونه بالأدهان، ثم يقول الشيزري:« وقد أعرضت عن أشياء كثيرة في هذا الباب لم أذكرها لخفي غشها ولامتزاجها بالعقاقير، مخافة أن يتعلمها ممن لا دين له فيدلس بها على المسلمين»[2].

رابعا: الحسبة على الفصادين والحجامين: ذكر أنه « ينبغي للمحتسب أن يأخذ عليهم ميثاق ألا يفصدوا في عشرة أمزجة، وليحذروا فيها حذرا، إلا بعد مشاورة الأطباء وهي في سن الشيخوخة، وفي الأبدان الشديدة

---

* **الإفشين**:حيدر بن كاوس أحد قواد جند المعتصم وهو في محاربة بابك (221هـ/836م).

** **بابك الخُرّمي**: ظهر أيام المأمون واستفحل أمره في أرمينيا وأذربيجان، كان يدعوا الناس إلى دين جديد أساسه الحلول أي تقمص الأرواح، قبض عليه أيام المعتصم بقيادة رئيس جنده الإفشين، أنظر/ **جرجي زيدان، مرجع سابق**، ص 397.

(1) **ابن العبري**: **مصدر سابق**، ص ص 140-141.

*** **الأفيون**: لبن الخشخاش الأسود.

$^{\Delta}$ **الشياف**:نوع من الأدوية يستعمل لمعالجة أمراض المستقيم.

ماميتا:نبات قليل الارتفاع مُر الطعم، وورقه شبيه بورق الخشخاش، وزهره يميل إلى الزرقة.

♦**الطباشير**:رماد أصول القنا الهندي (الخيزران)، يجلب من ساحل الهند وأجوده أشدة بياضا وكان يستعمل لمعالجة أمراض القلب والحميات، **ابن البيطار**: **المفردات**،ج3، ص96، أنظر/ **الشيزري، مصدر سابق**، ص 43.

♦♦**القلفونية**: صمغ الصنوبر السائل من تلقاء نفسه، إذ طبح، ويكثر في بلاد اليونان، **ابن البيطار**:**المفردات**،ج4، ص31، أنظر/ **الشيزري، نفسه**.

(2) **المصدرنفسه**، ص46 فما بعدها.

القضافة* ، والأبدان الشديدة السمن، وذكر أن الفصد له وقتان، إختيار، ووقت إضطرار...وينبغي أن يكون مع الفاصد مباضع كثيرة من ذوات الشعيرة وغيرها».

كما ينبغي للمحتسب أن يمتحن الفصادين بمعرفة العروق المفصودة منها في الرأس وعروق اليدين وعروق البدن، وعروق في الرجلين، وعروق الشرايين،...وينبغي للمحتسب أيضا أن يمتحن الحجام. بحيث يكون خفيف رشيقا، خبيرا بالصناعة..وذكر الحكماء أن الحجامة تكره أول الشهر وفي أخره، لأن الأخلاط أول الشهر لم تتحرك وتهيج بعد. وفي آخره تكون قد نقصت فلا تفيد الحجامة شيئا، وإنما تستحب الحجامة وسط الشهر إذا تكامل النور في جرم القمر(1).

خامسا: الحسبة على البياطرة:

يقول صاحب نهاية الرتبة: البيطرة علم جليل سطرته الفلاسفة في كتبهم، ووضعوا فيه تصانيف كثيرة، وهي أصعب علاجا من أمراض الآدميين، لأن الدواب ليس لها نطق تعبر به عما تجد من المرض والألم، وإنما يستدل على عللها بالجس والنظر. فيفتقر البيطار إلى حذق وبصيرة بعلل الدواب وعلاجها .

وينبغي للبيطار أن ينظر إلى رسغ الدابة،ويعتبر حافرها قبل تقليمه،فإن كان أحنف** أو مائلا نسف من الجانب الأخر قدرا يحصل به الإعتدال، ولا يضرب البيطار العرق حتى يجسّه بأصبعه سيما عروق الأوداج.

وينبغي أن يكون البيطار خبيرا بعلل الدواب ومعرفة ما تحتاج إليه وما يحدث فيها من العيوب وقد ذكر بعض الحكماء في كتاب البيطرة أن علل الدواب ثلاثمائة وعشرون علة، منها الخناق*** والخنان♦، والجنون وفساد الدماغ∆ والصداع ، والورم، والدّيبة• ووجع الكبد، وعسر البول ووجع المفاصل، والماء الحادث في العين، والمياخونة♦♦...فلا يهمل المحتسب إمتحان البيطار بما ذكرناه، ومراعاة فعله بدواب الناس(2).

---

*القضافة:لحم في جسم مع دقة العظم.

(1) **الشيزري: نفس المصدر**، ص89 فما بعدها.

** **الحنف**: أن يكون حافر الدابة مائلا إلى الداخل.

*** **الخناق**: أن يحدث في المبلع ضيق يقال له خوانيق وهو مخنوق، أنظر/ **الخوارزمي، مصدر سابق**، ص187 .

♦**الخنان**: داء يصيب الدابة يتسبب عنه السيلان من المنخرين، والدموع من العينين.

∆ **فساد الدماغ**، مرض يصيب الدابة في رأسها، وأعراضه تنكيس الرأس، وارتعاد الفرائص، واسترخاء الأذنين، والسهو فلا تستطيع الدابة أن تهتدي لما بين يديها.

الصداع: داء يجعل الدابة منكسة الرأس،وعلى عينيها شبه غشوة.

• **الديبة**: هو ورم في صدر الدّابّة، وإعراضها امتناع الدّابة عن العلف، أنظر/ **الشيزري، مصدر سابق**، ص 82.

♦♦**المياخونة**، والمالنخوليا أيضا، ضرب من الجنون بين الدواب، أنظر/ **الخوارزمي، مصدر سابق**، ص187.

(2) **الشيزري: مصدر سابق**، ص80 فما بعدها بثلاث صفحات.

نتائج الفصل :

لم يكد عصر الترجمة ينصرم حتى كانت مؤلفات أبقراط وجالنيوس وديسقوريدس وغيرها قد أصبحت في متناول أطباء المسلمين الذين لم يلبثوا كالعادة أن فاقوا أساتذتهم. فأقبلوا أولا على فحص ما جاء في هذه الكتب من معلومات وصححوا ما ورد فيها من أخطاء ثم أضافوا إليها الكثير من خلال ما وضعوه من مؤلفات طبية جديدة، ويعود الفضل في ذلك لعدة أمور تمثلت في :

- تشجيع الخلفاء لحركة الترجمة .
- المساهمة في بناء البيمارسانات التي كانت بحق تُحَف معمارية في بنائها وبشكلها وتقسيمها الفني.
- النظام الإداري المتبع في تسييرها والذي يتشكل من كوكبة من الإداريين والأطباء تشكل هرماً أعلاه المدراء ورؤساء المصالح ورؤساء الأطباء في كل إختصاص دور في رقي هاته البيمارستانات.

فلاحظنا في الجانب التنظيمي أقسام خاصة بالرجال وأخرى خاصة بالنساء، ويوجد أقسام في كل إختصاص فهذا قسم للأمراض الباطنية، وقسم للجراحة، وقسم للأمراض المُعْدية، وللولادة، وللأطفال..كما يرأس الأطباء رئيس وهو الساعور الذي كان يُختار من بين أجَلّ الأطباء ولا ينال هذه المرتبة حتى يبرهن على إستحقاقه لها.

- بروز أطباء أكفاء قاموا بتدريس الطب لطلابهم في مدارس خاصة أو داخل هاته المارستانات. وقاموا بتسجيل الملاحظات باهتمام بالغ، فكانوا يدوّنون ما يشاهدونه في الحالات المرضية المختلفة كما اعتنوا بتبرير هذه الملاحظات بما يستطيعون وحاولوا إبتكار العلاج المناسب لكل حالة وبذلك حدث المزج الرائع بين العلوم النظرية والعلوم العملية، وأمّا نظام الإجازة في هاته المارستانات فهو أحد النظم التي ميزت الغث من الثمين فأصبح لا يمارس هاته المهنة النبيلة إلا كفؤا لها، ولا يقدم على بيع دواء إلا ماهر بخصائص الأدوية والعقاقير، وظلّ للدَور الرقابة الصارمة والمتمثلة أولا في المحاسبة الذاتية والوازع الديني، ثم الرقابة الخارجية والمنوطة بدور المحتسب وما تمتع به من صلاحيات يفعّل هذا النظام.
- دور الاوقاف التي على البيمارستانات في ازدهار وتطور الطب.

-ظهور كوكبه من الأطباء خلدوا اسمهم في التاريخ وأبدعوا إبداعات أعطت أُكلها بعدهم. وساهمت في تطور الطب، ولا بد للوقوف على أسباب الإنجازات والإسهامات التي قدمها المسلمون والعرب في مجالات الطب أن نتفحص المنهج الذي اتبعوه ونتعرف على أهم الخصائص التي تميزوا بها، والتي جعلت الطب يتطور إبان هاته الفترة المزدهرة.

لعل من أهم الخصائص:

- التسامح الديني والإنفتاح على الغير، فقد لاحظنا خلفاء المسلمون يستقدمون المترجمين من أهل الذمّة والملل الأخرى على قدر كفاءتهم وبغضّ النظر عن مذاهبهم.
- كما أن علماء المسلمين لم يجدوا حرجا في الأخذ عن غيرهم،فقد كانوا ينظرون إلى العلوم الحياتية كميرات إنساني عام تستفيد فيه كل أمة من تجارب الأمم الأخرى، فكانت أولى المحاولات للترجمة على يد خالد بن يزيد الأموي (ت85هـ/704م)، الذي اهتم بالطب والكيمياء وبدأ بترجمة الكتب اليونانية، وفي عهد

الخلافة العباسية تزايدت حركة الترجمة بشكل ملحوظ وخاصة عهد الرشيد، والمأمون، واطّلع العرب على كم هائل من التجارب اليونانية والهندية وغيرها وكان الأطباء المسلمين في غاية الأمانة والنزاهة وكانوا ينسبون الفضل لأهله.

- فهذا الرازي يقول في كتابه الحاوي:« ولقد جمعت في كتابي هذا جُملاً وعيوناً من صناعة الطب مما استخرجته من كتب (أبقراط، وجالينوس، وأرماسوس، ومن دونهم من قدماء الفلاسفة الأطباء، ومن بعدهم من المحدثين في أحكام الطب مثل: بولس، وأهرون،وحنين بن إسحاق، ويحي بن ماسويه...وغيرهم».

ومما تميز به أطباء المسلمين والعرب، أنهم لم يقفوا عند حد النقل، والترجمة، وإنما أخذوا تدريجيا في تطوير ما نقلوه،حتى وصلوا إلى مرحلة الإبتكار، والتأليف. وتناولوا ما نقلوه بالنقد والتحليل.

- وأيضا من الخصائص أن أطباء المسلمين لم يجعلوا الطب حكراً عليهم، بل فتحوا الباب لكل العلماء والأطباء المعاصرين لهم من الديانات الأخرى. ليساهموا بإنجازاتهم في سبيل تقدم الطب.

-كما أنهم إعتمدوا على التجربة والمشاهدة والفروض، فإن منهجهم لم يكن فلسفيا نظريا بحثا، وإنما إعتمد على التجارب العلمية والتطبيقات الواقعية، وانطلاقا من هذا المنهج التجريبي والملاحظة وافتراض الفروض، بدءوا يبتكروا أنواعا جديدة من الأجهزة والأدوات وجربوها، وثبتت كفاءتها، واستعملوها في جراحتهم وقاموا بتشريح الحيوانات وأحيانا أخرى على الإنسان مما زاد في اكتشافاتهم وتصحيح مفاهيم كانت مغلوطة.

وقد ذكر الرازي في كتابه "خواص الأشياء" نصوصا متعددة عن التجربة فمنها قوله:« بل نضيف ما أدركناه بالتجارب وشهد لنا الناس به ولا نُحِلُّ شيئا عن ذلك عندنا محل الثقة إلا بعد الإمتحان والتجربة له».
كذلك قوله:« وما دامت التجربة هي المعيار، فإن الطبيب يلجأ إليها دائما في الفصل بين الحق والباطل في أمر هذه الخواص التي قد تكون موضع تكذيب الأردياء من القوم».

ويقول ابن سينا:«...وتعهدت المرضى، فانفتح عليَّ من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة مالا يوصف».

هذا وقد برع المسلمون في فن الطب وتوصلوا لإنجازات هامة أسهمت في التمييز بين مرض وآخر وتحديد الكثير من الأمراض المُعْدِية، ووصفوا كل مرض على حدى.

فهذه خصائص عظيمة وفريدة قادت إلى تطور علم الطب في ظل الحضارة الإسلامية وميزت المنهج العربي الإسلامي في دراسة الطب عن غيره من المناهج، ومكّنته من وضع أصول راسخة لهذا العلم العظيم، وسيرت لعلمائنا الأفذاذ أن يقودوا البشرية كلها لعدة قرون.

الفصل الثالث:

بيمارستانات البلاد الإسلامية ودورها في تطور الطب

المبحث الأول: أشهر البيمارستانات الإسلامية

أولا: بيمارستانات الشام

ثانيا: بيمارستانات العراق والجزيرة

ثالثا: بيمارستانات مصر

رابعا: بيمارستانات إيران وبلاد الروم

المبحث الثاني: الأوقاف التي صرفت على البيمارستانات

أولا: دور الاوقاف في تطور البيمارستانات

ثانيا: البيمارستانات التي تمتعت بالأوقاف

أما المبحث الثالث: دور البيمارستانات في المجتمع الاسلامي خلال العصر الذهبي

أولا: الأحوال الإجتماعية والإقتصادية

ثانيا: الأثر الإنساني والعلاجي للبيمارستانات

ثالثا: الأثر التعليمي للبيمارستانات

المبحث الرابع: دور الطب العربي في النهضة الأوربية.

أولا: الإتصال الثقافي

ثانيا: مؤلفات الطب العربي في العالم اللاتيني

نتائج الفصل الثالث

مدخـل

لقد عرف أطباء العصر الإسلامي العلاج السريري من خلال البيمارستانات التي عُنِي الخلفاء والحكام والأطباء بتشييدها في شتى أنحاء العالم الإسلامي لتوفير العلاج المجاني للمرضى، وقد كان أول من اتخذ مكانا للعلاج كما أسلفنا أبوقراط الذي أفرد له موضعا في بستان له كما عُرفت أيضا في بلاد فارس، ومن أشهرها بيمارستان جُنديسابور الذي استعان المسلمون الأوائل بالعديد من أطبائه وقد ترك بصماته على البيمارستانات الإسلامية وينسب للخليفة العباسي هارون الرشيد بناء أول بيمارستان على نمط جُنديسابور وقد أَوكل إلى طبيبه الخاص جبرائيل بن بختيشوع الإشراف على تشييده في مدينة بغداد.

نتساءل فما هي أهم البيمارستانات ودورها في تطور الطب الاسلامي ؟

المبحث الأول:أشهر البيمارستانات الإسلامية

إذا أردنا أن نستعرض بعضا من المستشفيات الرائدة في العصور الإسلامية الذهبية.فقد كان من أعظمها:

أولا:بيمارستانات الشام:

1- بيمارستانات دمشق:

أنشئ أول بيمارستان ثابت في الإسلام عام (88هـ/707م)، عهد الوليد بن عبد الملك جعل في البيمارستان الأطباء وأجرى لهم الأرزاق وجرد المجذومين وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق[1]، وكان موقعه بمرج عذراء شمال شرقي دمشق[2].

ويذكر ابن جبير:« أنه كان في القرن السادس الهجري بدمشق نحو عشرين مدرسة، وكان بها مارستانان، قديم وحديث والبيمارستان الكبير أحفلهما وأكبرهما»[3].وأما البيمارستان الكبير النوري وهو من أشهر البيمارستانات بناه الملك العادل نور الدين بن محمود بن زنكي وكان ذلك سنة (549هـ/1154م)من مال الفدية التي حصل عليها من أحد ملوك الفرنجة الصليبيين بعد أسره[4]. وكان حين بنائه من أحسن ما بني من البيمارستانات في البلاد كلها،شرط فيه وقفه على الفقراء والمساكين، وإذا أضطر الأغنياء إلى الأدوية التي فيه يسمح لهم بها ومن جاء إليه مستوصفا فلا يمنع من شرابه[5]. وقد دخله الرحالة إبن جبير عام (580هـ/1185م). فوصف عناية الأطباء بالمرضى وتفقدهم لشؤونهم وإعداد ما يصلحهم من الأدوية والأغذية[6]. وكان فيه قسم خاص بالأمراض العقلية، وقد استمر هذا البيمارستان يقوم بعمله حتى سنة (1317هـ/1899م)، أي قرابة ثمانمائة سنة[7]. وقد أطنب المؤرخون في وصف بنائه وزخرفته إذْ شُيِّد على تخطيط ذي نظام متعامد، وجُعِلت له باحة مركزيه حولها أواوين[8].

---

(1) **شوكت الشطي:مرجع سابق**، ص333 .

(2) **أحمد عبد الرزاق،مرجع سابق**، ص164.

(3) **ابن جبير: مصدر سابق**، ص 255

(4) **محمد نزار خوّام وآخرون: مرجع سابق**، ص 255.

(5) **مصطفى السباعي: مرجع سابق**، ص228.

(6) **أحمد عيسى بك:تاريخ البيمارستانات**، ص145.

(7) **شوكت الشطي: مرجع سابق**، ص333.

(8) **المرجع نفسه**، ص335.

وذكر ابن أبي أصيبعه:« أنه لما أنشأ الملك العادل نور الدين زنكي، البيمارستان الكبير جعل أمر الطب فيه إلى أبي المجد بن أبي الحكَم بن عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي وأطلق له جامكية وجراية وكان يتردد إليه ويعالج المرضى فيه»[1].

ومن الأطباء الذين عملوا فيه:

- **مهذب الدين ابن النقاش:** هو الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن أبي عبد الله عيسى بن هبة الله النقاش. مولده ومنشؤه ببغداد. عالم بعلم اللغة العربية. واشتغل بالطب. وكان له مجلس علم توجه إلى القاهرة وأقام مدة، ثم رجع إلى دمشق وخدم بصناعة الطب محمود زنكي وخدم في البيمارستان النوري. توفي سنة (574هـ/1179م)[2] .
- **موفق الدين ابن المطران:** هو الحكيم موفق الدين أبو نصر أسعد بن أبي الفتح إلياس بن جرجس المطران،كان مولده ومنشؤه بدمشق. وكان أبوه أيضا،طبيبا، خدم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب. وأسلم ابن المطران في أيامه. مات وفي خزانته ما يناهز عشرة ألاف من الكتب الطبية، عالج بالبيمارستان النوري وتوفي سنة (587هـ/1191م)[3] .
- **كمال الدين الحمصي:** هو أبو منصور المفظر علي بن ناصر القرشي، اشتغل بصناعة الطب والأدب بقي سنين يتردد إلى البيمارستان النوري الكبير. ويعالج المرضى فيه إحتسابا إلى أن توفي سنة (612هـ/1215م)[4].
- **مهذب الدين عبد الرحيم بن علي:** هو الشيخ الإمام مهذب الدين أبو محمد عبد الرحيم بن علي بن حامد. ويعرف **بالدخوار**. مولده ومنشؤه بدمشق.كان أبوه كحالا. وخدم مهذب الدين أيضا كحالا بالبيمارستان الكبير النوري، ثم اشتغل بصناعة الطب تولى رياسة الطب بمصر والشام، ثم أقام بدمشق، ودرّس بصناعة الطب ووقف داره وجعلها مدرسة للطب.توفي سنة (628هـ/1231م)[5] .
- **بيمارستان الصالحية أو القيمري:** هو مارستان القيمري في صالحية دمشق أوقفه الأمير سيف الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن أبي الفوارس بن موسك القيمري الكندي.كانت وفاته سنة (653هـ/1255م)[6].

---

(1) **ابن أبي أصيبعه:مصدر سابق**، ص628.

(2) **أحمد عيسى بك:تاريخ البيمارستانات**، ص ص 151-152.

(3) **نفسه**.

(4) **المرجع نفسه**، ص 153.

(5) **نفسه** .

(6) **شوكت الشطي:مرجع سابق**، ص335.

2- بيمارستانات حلب:

ذكر ابن القفطي:« أن المختار بن الحسن* المتطبب دخل حلب سنة أربعين وأربعمائة فوجد فيها جامعا وست بِيَع وبيمارستانا صغيرا[1]".ويقول راغب الطباخ :"قال أبو ذر في كنوز الذهب ... ثم رأيت في تاريخ الصاحب من خطه أيضا ما لفظه: المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان الطبيب أبو الحسن البغدادي، طبيب حاذق نصراني له مصنفات حسنة في الطب وعدَّدها، وله شعر، وهو الذي بنى البيمارستان بأنطاكية، وقيل هو الذي وضع البيمارستان بحلب، وجدد نور الدين عمارته..وإنه اختار له هذه البقعة التي هو فيها بحلب وذلك باختبارها بلحم علّقه في عدة أماكن فلم يجد أصلح من هذا المكان لبناء البيمارستان[2] ."

أما الشطي فقد نقل من كتاب "أعلام النبلاء" قوله:« أن البيمارستان النوري بناه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي في أواسط القرن الثاني عشر الميلادي،وأجرى فيه إصلاح في القرن الخامس عشر وقد خدم في هذا البيمارستان من الأطباء، ابن بطلان المتوفى سنة (458هـ/1066م)»[3] .

ويقول ابن جبير في وصفه لمدينة حلب:« وللبلدة سوى هذه المدرسة نحو أربع مدارس أو خمس، ولها مارستان»[4].

3- بيمارستان حران: يذكر ابن جبير أيضا في وصفه لهذه البلدة قوله:« ولهذه البلدة مدرسة، ومارستان...»[5].

4- بيمارستان حمص: قال ابن جبير:"وسألنا أحد الأشياخ بهذه البلدة:هل فيها مارستان على رسم مدن هذه الجهات؛فقال،وقد أنكر ذلك:حمص كلها مارستان! وكفاك تبيينا شهادة أهلها فيها!»[6] .

5- بيمارستان حماه :دخل لها ابن جبير في رحلته سنة (580هـ/1185م). وبعد أن أسهب في وصفها قال:«ولها جامع أكبر من الجامع الأسفل. ولها ثلاث مدارس، ومارستان على شط النهر بإزاء الجامع الصغير»[7].

6- بيمارستان القدس: لما ملك الإفرنج القدس سنة (492هـ/1099م) أعادوا الكنيسة كما كانت قبل الإسلام، ولما فتح صلاح الدين الأيوبي القدس أعادها مدرسة، وفوض تدريسها إلى القاضي بهاء الدين بن شداد، وأمر أن تجعل الكنيسة مارستانا للمرضى، ومن ضمن الذين خدموا بصناعة الطب في مارستان القدس.

---

* هو الطبيب المعروف بإبن بطلان.

(1) **أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات،** ص156؛ **ابن القفطي، مصدر سابق،** ص296.

(2) **راغب الطباخ: مرجع سابق،** ج4، ص186.

(3) **شوكت الشطي:مرجع سابق،** ص337.

(4) **ابن جبير، مصدر سابق،** ص228.

(5) **المصدرنفسه،** ص221.

(6) **المصدرنفسه،** ص232 .

(7) **المصدر نفسه،** ص231؛ **الشطي: المرجع السابق،** ص336؛ **أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات،** ص160.

يعقوب ابن صقلاب النصراني المقدسي، توفي سنة (626هـ/1229م)، وأيضا من الذين خدموا في مارستان القدس، رشيد الدين الصوري، كان أوحد زمانه في معرفة الأدوية المفردة وماهياتها، واختلاف أسمائها وصفاتها. ولد بصور سنة (573هـ/1178م)، واشتغل بصناعة الطب على الشيخ عبد اللطيف البغدادي، توفي سنة (639هـ/1242م)[1] .

ثانيا: بيمارستانات العراق والجزيرة:

1- بيمارستانات بغداد:

بدأت في العراق إقامة البيمارستانات عندما أنشأ هارون الرشيد بيمارستاناته عام (171هـ/788م).ويذكر المؤرخون أن البرامكة أيضا أنشأوا بيمارستاناً[2].

كما أقام خلفاء الدولة العباسية بمارستانات نُسبت إليهم،ففي عهد الخليفة المعتضد بالله* الذي حكم بين (279-289هـ/893-902م) كان هناك البيمارستان الصاعدي ببغداد.

ثم زادت المارستانات في بغداد زيادة كبيرة؛ وفي سنة (304هـ/917م). كان هناك مارستانان كبيران، أحدهما اتخذه الخليفة نفسه،وسمي:

أ- المارستان المقتدري: وكان يقع في باب الشام.

ب- مارستان السيدة** : أم الخليفة المقتدر.اتخذه لها سنان بسوق يحي على نهر دجلة ورتب له المتطببين [3]، وذكر ابن أبي أصيبعة فيه قول ثابت بن سنان :« فتح والدي سنان بن ثابت بيمارستان السيدة الذي اتخذه لها بسوق يحي، وجلس فيه، ورتب المتطببين وقبل المرضى، وهو كان بناه على دجلة».

وقال:« وفي هذه السنة أيضا أشار والدي على المقتدر بالله بأن يتخذ بيمارستاناً ينسب إليه»[4].

ج- مارستان الوزير ابن الفرات: أسسه ببغداد سنه (311هـ/924م)[5] .

---

(1) **أحمد عيسى بك : نفس المرجع**، ص 160 فما بعدها بعدة صفحات.

(2) **المرجع نفسه**، ص125.

* المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل، تولى الخلافة بعد وفاة عمه "المعتمد على الله"و يقول السيوطي:«كان المعتضد شهما جلدا.موصوفا بالرجلة(أي الشجاعة) وقد خاض الحروب وعُرف فضله»، أنظر/**محمد قباني**، **مرجع سابق**، ص67.

** **السيدة**: أم الخليفة المقتدر وهي شعب جارية المعتضد،كان دخْل أملاكها في كل سنة ألف ألف دينار وكانت تتصدق بها وتُخرج من عندها مثلها على الحجيج في أشربة وأدوية،كانت مريضة بالاستسقاء فزاد مرضها لقتل ولدها، توفيت سنة (321هـ/933م)، أنظر/ **أحمد عيسى بك**، **تاريخ البيمارستانات**، ص128.

(3) **آدم ميتز**: **مرجع سابق**، ج2، ص 207.

(4) **ابن أبي أصيبعة**: **مصدر سابق**، ص302.

(5) **آدم ميتز** : **المرجع السابق**، ص207.

د- المارستان العضدي: يعد المارستان العضدي الذي شيّده عضد الدولة بن بويه سنة (368هـ/979م) على طرف الجسر في الجانب الغربي من بغداد من أشهر بيمارستانات القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي على الإطلاق ، وقد رتب فيه أربعة وعشرون طبيباً ما بين طبائعيين وكحّالين، وجرائحيين، ومجبرين لمعالجة المرضى ولتدريس الطب، وجعل على رأسهم ، طبيبا رئيساً أي ساعورا[1] .

ومن أشهر الذين عملوا فيه الطبيب: **أمين الدولة ابن التلميذ**[2] وأيضا عمل في هذا المارستان **جبريل بن عبيد الله بن بختيشوع، وأبو الحسن علي بن ابراهيم بن بكس وأبو الفرج بن الطيب، وابن المارستانية** ...إلخ[3] .

هـ- مارستان معز الدولة: وذلك أنه أسس مارستانا عند الجسر الذي على دجلة سنة (355هـ/966م) ، ووقف عليه أوقافا وضياعا[4].

و- مارستانات أنشاها الوزراء: لقد ساهم وزراء دولة بني العباس أيضا في إقامة البيمارستانات. ومنهم أبو الحسن علي بن عيسى بن جراح ، والوزير الخاقاني، والوزير فخر الدولة أبو غالب[5]. كما أقام الوزير محمد بن علي بن خلف وزير الخليفة القادر بالله بيمارستانا ببغداد سنة (354هـ/965م)[6].

2- ذكر المؤرخون أن هناك بيمارستانات : بواسط[7]**، بميافارقين**[8]**، وبباب محول**[9].

3- بيمارستان الموصل:إن أهم بيمارستانات الجزيرة الفراتية في فترة القرن السادس الهجري، كانت في مدينة الموصل.حيث زارها **ابن جبير** سنه (581هـ/1186م). وذكر أن فيها بيمارستانين أحدهما في ربض المدينة، وآخر داخل البلد[10].

---

[1] **أحمد عبد الرزاق: مرجع سابق**، ص 166؛ **راغب السرجاني: مرجع سابق**، ص 80 .

[2] **نزار خوّام وآخرون: مرجع سابق**، ص 78.

[3] **شوكت الشطي:مرجع سابق**، ص ص 340-341.

[4] **آدم ميتز: مرجع سابق**، ج2، ص207.

[5] **ماهر عبد القادر: بحث مقدم في مؤتمر**، ص 124.

[6] **شوكت الشطي: المرجع السابق**، ص 341.

[7] **ابن كثير: مصدر سابق**، ج6، ص 743.

[8] **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص 341.

[9] **أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات**، ص139.

[10] **ابن جبير: مصدر سابق**، ص ص 210-211؛ **شوكت الشطي: المرجع السابق**، ص 342.

ويذكر ابن كثير ذلك بقوله:« بنى مجاهد الدين قايماز نائب قلعة الموصل جامعا حسنا، ورباطا، ومدرسة، ومارستانا متجاورات بظاهر مدينة الموصل» * [1].

كما أنشأ الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي سنة (514– 569هـ/1121-1174م) بيمارستان كبير في الموصل[2].

4- **بيمارستان مكة**:كان بالجانب الشمالي من المسجد الحرام وتاريخ وقفه سنة(628هـ/1231م). بناه الخليفة المستنصر بالله (623-640هـ/1226-1243م) جعفر بن الظاهر العباسي. ووقفه على الفقراء والمساكين والمرضى والمنقطعين يأوون إليه علوا وسفلا وينتفعون بالإقامة والسكن فيه. لا يزعجهم أحد ولا يخرجهم، بل يستمرون إلى أن يحصل لهم الشفاء والعافية. فيخرجون باختيارهم.وقد أقرأ فيه الشيخ قطب الدين درسًا في الطب ودرسًا في الحديث[3].

5- بيمارستان المدينة المنورة: نقل إليه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي، السلطان المملوكي، سائر المعاجين. والأكحال، والأشربة، وبعث إليه طبيبا من الديار المصرية[4].

ثالثا: بيمارستانات مصر:

أ- كان إبان الدولة الأموية مارستان في **زقاق القناديل** في أزقة **الفسطاط**.

ب- **مارستان المعافر**: بناه الفتح بن خاقان أيام الخليفة المتوكل وقد باد أثره [5].

ج- **مارستان العتيق**: يعرف بالبيمارستان الأعلى.أنشأه أحمد بن طولون سنة (259هـ/873م).بالفسطاط وقد أقامه بأرض مدينة العسكر*. وكان يشرف عليه بنفسه وأوقف عليه أوقافا كثيرة.وشرط ألا يعالج فيه جندي ولا مملوك وألحق به جناحين أحدهما للرجال وآخر للنساء[6]. وقد خربت الأيام هذا البيمارستان فلم يعد له أثر[7].

---

* زار الرحالة ابن بطوطة حوالي سنة (728هـ/1328م) ، مدينة الموصل، وقال عن البيمارستان المذكور:« بأنه أصبح خرابا. لم تتبق منه إلا الآثار»؛ أنظر/ شوكت الشطي، **نفس المرجع**، نفس الصفحة.

(1) **ابن كثير: مصدر سابق**،ج7، ص148 .

(2) **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص628

(3) **شوكت الشطي**: **المرجع السابق**، ص 342.

(4) **نفسه**.

(5) **أحمد عيسى بك**: **تاريخ البيمارستانات**، ص47 .

*في سنة 123هـ قدِم صالح بن علي العباسي،وأبو عون عبد الملك بن يزيد والي مصر من قبل خلفاء بني العباس في طلب مروان الحمار.(الخليفة المرواني). نزلت عساكرهما الصحراء.جنب جبل يشكر.الذي هو الآن جامع ابن طولون.وبنو دار الإمارة. ومسجدا عرف بجامع العسكر. وعملت الشرطة أيضا في العسكر. وسمي من يومئذ ذلك الفضاء."العسكر"، أنظر/**أحمد عيسى بك**، **المرجع نفسه**، ص48 .

(6) **آدم ميتز**:**مرجع سابق**، ج2، ص205؛ **محمد نزار خوّام وآخرون**: **مرجع سابق**، ص78.

(7) **شوكت الشطي**: **المرجع السابق**، ص344.

وممن درّس في هذا البيمارستان: محمد بن عبدون الجيلي العذري، رحل إلى المشرق، ودخل البصرة وإلى مدينة فسطاط مصر،ودبّر مارستانها ومهر في الطب، ورجع إلى الأندلس سنة (360هـ/971م).

سعيد بن نوفل: طبيب نصراني كان في خدمة أحمد بن طولون[1].

د- **المارستان الأسفل**:بيمارستان كافور الإخشيد عام (346 هـ/958م).

هـ-**مارستان القشاشين**:وكان ذلك عصر الدولة الفاطمية،بالمكان الذي عرف بعد بالخراطين بالقرب من جامع الأزهر .

و- **مارستان السقطيين** في سوق السقطيين، خارج باب زويلة بجوار دار التفاح[2].

ز- **البيمارستان الصلاحي أو الناصري:** أنشأه صلاح الدين الأيوبي في قاعة بقصر الفاطميين الشرقي (الكبير) سنة (567هـ/1172م) وقد وصف هذا المارستان الرحالة: إبن جبير وصفا رائعا فذكر ما فيه من "مفاخر" ونظام، وخزانة للعقاقير وأسِرّة للمرضى، ومواضع للنساء، وأماكن مخصصة للمجانين. والسلطان يتطلع هذه الأحوال كلها بالبحث والسؤال، ويؤكد في الإعتناء بها والمثابرة عليها[3].

ومن الأطباء الذين عملوا في هذا البيمارستان:

- **رضي الدين الرحبي:** أبو الحجاج يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي ولد بجزيرة ابن عمر سنة (534هـ/1140م). سافر إلى بغداد واشتغل بصناعة الطب ووصل إلى دمشق سنة (555هـ /1160م). وكان ذلك إبّان السلطان نور الدين محمود كما إجتمع بالناصر صلاح الدين، فحسن موقعه عنده، وأطلق له في كل شهر ثلاثين ديناراً ويكون ملازما للقلعة والبيمارستان بالقاهرة[4].
- **إبراهيم بن الرئيس ميمون:** منشؤه فسطاط مصر وكان طبيبا مشهورا عالما بصناعة الطب قال ابن أبي أصيبعة:« إجتمعت به في سنة 631هـ أو 632هـ بالقاهرة وكنت حينئذ أطبُّ في المارستان فوجدته شيخا نحيف الجسم لطيف الكلام ، توفي سنة نيف وثلاثين وستمائة»[5].
- **موفق الدين أبو العباس:** هو ابن أبي أصيبعة " المولود بدمشق كان متقنا لصناعة الكحل، خدم أيضا في البيمارستان الذي أنشأه صلاح الدين، وتوفي سنة (688هـ/1289م)[6] ،كما أنشأ أيضا صلاح الدين بيمارستانا في الإسكندرية سنة (577هـ/1182م)[7] .

---

[1] **أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات،** ص51 .

[2] **المرجع نفسه،** ص 53.

[3] **ابن جبير: مصدر سابق،** ص 26؛ **شوكت الشطي: مرجع سابق،** ص 345.

[4] **أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات،** ص 56.

[5] **نفسه.**

[6] **نفسه.**

[7] **نفسه.**

ح- البيمارستان المنصوري أو قلاوون: أقامه الملك المنصور قلاوون الصالحي من أمراء المماليك في القاهرة وذلك سنة (683هـ/1284م)، يقول فيه المقريزي: « هذا المارستان بخط بين القصرين من القاهرة،كان قاعة ست الملك ابنة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معد ...ثم صار يقال لها الدار القطبية، ولم تزل إلى أن أخذها الملك المنصور قلاوون الألفي من مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل.وعوضت عن ذلك قصر الزمرد برحبة باب العيد..[1]، وقد حولها السلطان قلاوون إلى بيمارستان عام (683هـ/1284م). وضم إلى عمارته تلك القبة والضريح ومسجدا ومدرسة، وأوقف له الكثير من الأملاك*[2].

وكان آية من آيات الدنيا في الدقة والتنظيم والنظافة، ومن الضخامة حيث أنه يعالج في اليوم الواحد أكثر من أربعة آلاف مريض **!!**[3].

وأما ابن بطوطة فيقول:«..وأما المارستان الذي بين القصرين عند تربة الملك المنصور قلاوون فيعجز الواصف عن محاسنه، وقد أُعِدَّ فيه من المرافق والأدوية ما لا يحصر..»[4] .

وهذا المارستان يعدّ بارقة أمل. فبعد دخول هولاكو إلى بغداد سنة (656هـ/1258م) وتحطيمها عن بكرة أبيها ما هي إلا سنوات قليلة ويشيد السلطان قلاوون بمارستانه في مصر وتلته صروح وبيمارستانات أخرى مما يبين أن هذه الأمة تمرض ولا تموت.

رابعا: بيمارستانات إيران وبلاد الروم:

أنشأ المسلمون بيمارستانات في جل البلدان التي فتحوها:

1-بيمارستان الري: ذكر ابن جلجل في معرض حديثه عن الرازي قوله:« مسلم النِّحلة. أديب طبيب مارستاني، دبّر مارستان الري، ثم مارستان بغداد زماناً»[5].

2-وهناك أيضا مارستانات في **أصبهان.وشيراز، ونيسابور، وخوارزم**[6].ويذكر المقدسي أن في آمل قصبة **طبرستان** بيمارستانا[7] . وأيضا يوجد بيمارستانات في **بلاد الروم (الأناضول)**[8] ، أما بيمارستانات المغرب[9].

(1) **المقريزي: مصدر سابق،** ج7، ص 406.

(2) **محمد نزار خوّام وآخرون: مرجع سابق،** ص78؛ **ماهر عبد القادر: بحث مقدم في مؤتمر** ، ص ص 121، 123 ؛ **زيغريد هونكة: مرجع سابق،** ص230؛ **أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات،** ص59 .

* أنظر الملحق رقم (07)، ص144.

(3) **راغب السرجاني: مرجع سابق،** ص80 .

(4) **محمد حسين مؤنس: ابن بطوطة ورحالاته، تحقيق ودراسة وتحليل** ، نشر، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1400هـ/1980م، ص41.

(5) **ابن جلجل: مصدر سابق،** ص77؛ **أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات،** ص185.

(6) **المرجع نفسه،** ص186 .

(7) **المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،** ط2، مطبعة بريل، مدينة ليدن،دار صادر،بيروت،لبنان،1323هـ/1906م، ص35.

(8) **أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات،** ص189 فما بعدها.

(9) أنظر الملحق رقم (08)،ص150.

المبحث الثاني: الأوقاف التي صرفت على البيمارستانات

-حث الإسلام على البرّ وفعل الخير، فيقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « إذا مات الإنسان إنقطع عمله إلا من ثلاثة. صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[1].

وقد تبارى المسلمون على فعل الخير وعمل البر تقربا إلى الله تعالى وكسب للثواب في الدنيا والآخرة.

والأوقاف أحد وجوه هذه الأعمال التي تقرب بها أصحابها إلى خالقهم سبحانه وتعالى طمعا في كسب الصدقات الجارية بعد مماتهم سواء أكانوا أفرادا أم خلفاء أو ملوكا أو وزراء أو علماء أو غيرهم.

ولقد شهدت الدولة الإسلامية الكثير من الأوقاف على المؤسسات الخيرية والمصالح العامة، وتأمين حياة الفقراء والمساكين، والذي نعتني به هنا الوقف على المؤسسات الصحية والبيمارستانات وحاجياتها والعاملين بها والمدارس الطبية.

أولا:دور الاوقاف في تطور البيمارستانات

1- معنى الوقف: يُعرّف الوقف في اللغة بمعنى الحَبس وهو المنع والإمساك[2].

2-في الاصطلاح: يمكن تعريفه بوجه عام: الحبس، كل شيء وقفه صاحبه وقفا محرما لا يباع ولا يورث من نخل أو كرم أو غيرها، كأرض أو مستغل يُحبس أصله، وتسبّل غلّته.

إذن فهو حبس العين عن تمليكها لأحد من العباد، والتصرف بالمنفعة على الفقراء في وجوه الخير.

من أهم المؤسسات الخيرية، المدارس والبيمارستانات:

لقد رأى ابن جبير في رحلته إلى المشرق، بيمارستانات ومدارس كثيرة بأنواعها، ورأى الغلاّت الوافرة التي تغِله أوقافها فدعا المغاربة أن يرحلوا إلى المشرق وكان مما قاله: « وتكثر الأوقاف على طلاب العلم في البلاد المشرقية كلها وبخاصة دمشق فمن شاء الفلاح من أبناء مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد، فيجد الأمور المعينة على طلب العلم كثيرة، وأولها فراغ البال من أمر المعيشة»[3].

وقد تمتع قسم كبير من البيمارستانات بأوقاف غزيرة، أسهمت إلى حد كبير في تلبية حاجات المرضى الراقدين فيها من الغذاء والدواء وغيرها، فضلا عن تغطية نفقات العاملين بها، فنجحت بذلك في تحقيق أهدافها العامة لخدمة الناس.

---

(1) **المنذري: مختصر صحيح مسلم، مصدر سابق**، ص 259.

(2) **محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي: تاج العروس،**40 جزء، تح، مجموعة من المحققين، نشر، داية الهداية، القاهرة، 658هـ/1261م، ج4، ص ص 6، 124؛ **محمد عبد العظيم أبو النصر: الأوقاف في بغداد، العصر العباسي الثاني**، ط1، نشر، مؤسسة عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، شارع المربوطية الهرم، مصر، 1422هـ/2002م، ص7.

(3) **ابن جبير: مصدر سابق**، ص 258؛ **مصطفى السباعي: مرجع سابق**، ص 214.

وبالمقابل فإنه وُجدت بيمارستانات تعرضت للزوال والإهمال لعدم توفر الأوقاف ، وعدم مسؤولية الدولة لها، مما جعل بعض البيمارستانات يرتبط وجودها واستمرارها على الأغلب بوجود مؤسسها أو دوام أوقافها، وتصبح عرضة للزوال لاختلال أوقافها أو لموت مؤسسها.

ثانيا: البيمارستانات التي تمتعت بالأوقاف:

أ– مارستان باب محمول أو الصاعدي: أسسه الخليفة المعتضد (279-289هـ/893-902م) في الجانب الغربي من بغداد وتمتع بالأوقاف نظرا لإشراف النظار عليه[1].

يذكر آدم ميتز أنه: « كانت نفقات البيمارستان الصاعدي، وأرزاق المتطببين، والكحالين، ومن يخدم المغلوبين على عقولهم، والبوابين والخبازين، وأثمان الأدوية والأشربة أربعمائة وخمسين دينارا في الشهر»[2].

ثم زادت المارستانات زيادة كبيرة، ففي بغداد كانت سنة (304هـ/917م) خمسة مارستانات تقلُدها بسنان بن ثابت* ، وبفضله وإشارته فتح أيضا سنة (306هـ/918م) مارستانان أحدهما:

ب–المارستان المقتدري، وكانت النفقة عليه من ماله الخاص، وبلغت مائتي دينار كل شهر[3] .

ج– مارستان السيدة، وكانت نفقته، ستمائة دينار في كل شهر[4] .

د–المارستان الذي أسسه **الوزير ابن الفرات،** فأنفق عليه مائتي دينار في كل شهر[5].

هـ– المارستان الذي أسسه **معز الدولة البويهي** عام (355هـ/966م) على جسر دجلة وقف عليه أوقاف وضياعا يرتفع منها خمسة آلاف دينار[6].

و– بيمارستان بدر المعتضِدي: ينسب إلى بدرغلام الخليفة المعتضد (ت289هـ/902م) وقد تميز بأوقافه الغزيرة، فقد نقل ابن أبي أصيبعة، نقلا عن ثابت بن سنان (ت365هـ/976م) قوله: « كانت النفقة على البيمارستان الذي لبدر المعتضدي بالمخرم** من ارتفاع وقف سجاح أم المتوكل على الله، وكان الوقف في يد أبي الصقر

---

(1) **محمد عبد العظيم أبو النصر: مرجع سابق،** ص32.

(2) **آدم ميتز: مرجع سابق،** ج2، ص206.

* **سنان بن ثابت،** أبو سعد سنان بن ثابت بن قرة الحراني، كان يلحق بأبيه في معرفته بالعلوم واشتغاله بها، وتمهره في صناعة الطب، وكان في خدمة الخليفة العباسي، المقتدر بالله، والقاهر بالله، أراده على الإسلام فهرب ثم عاد وتوفي ببغداد مسلما. أنظر/ **ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق،** ص 300.

(3) **ابن القفطي: مصدر سابق،** ص194.

(4) **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق،** ص302.

(5) **آدم ميتز: مرجع سابق،** ص207.

(6) **نفسه.**

** **المخرم:** محلة كانت ببغداد بين الرصافة، ونهر المعلى، وفيها كانت الدار التي يسكنها السلاطين البويهية والسلجوقية، أنظر/**ياقوت الحموي، مصدر سابق،** ج7، ص408.

وهب بن محمد الكلوازي وكان قسط من ارتفاع هذا الوقف يصرف إلى بني هاشم، وقسط منه إلى منفعة البيمارستان»[1].

ز- المارستان العَضُدي: شيّده عضُد الدولة البويهي سنة (368هـ/979م) وتمت عمارته سنة (371هـ/982م) يقع في الجانب الغربي من بغداد.

وقد تمتع هذا البيمارستان بأوقاف كثيرة ومتنوعة أسهمت إلى حد كبير في تطويره فنيا من حيث عدد الأطباء والأدوية، كما ساعدت في استمراره لفترة طويلة بتقديم الخدمات الصحية للناس.

وقد ذكر ابن كثير عن الحاجب شباشي* وما وقفه على البيمارستان العضدي قوله: « وقف دُباها على المارستان، وكانت تشمل شيئا من الزروع والثمار والخراج»[2].

ودُباها: قرية من نواحي نهر الملك من أعمال بغداد، وكانت من وقف المارستان العَضُدي.

غير أنه أصابه إهمال في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، وتسبب في إندثار سوق من أوقافه يحتوي على مائة دكان، وتسلط الطامعين على هذه الأوقاف.

وبدخول السلاجقة بغداد سنة (447هـ/1056م) تجدد الأمل في إحياء المارستان العضدي مرة أخرى[3].

ومن ضمن المدارس التي تمتعت بالأوقاف، إيوان الطب في المدرسة المستنصرية، حيث أُلحِق بالمدرسة سنة (633هـ/1236م) ويقول في ذلك الكازروني: « ...وبُنِيَ مقابلها إيوانا عاليا فسيحا في صدره ساعات تعمل بالليل والنهار..وشرط أن يكون به جماعة من المشتغلين بالطب، ولهم شيخ يرجعون إليه ويداوي الفقراء والمرضى وجعل للجميع من الوظائف ما يعمهم..وحوائج المرضى لمن عساه يمرض منهم ولم يترك شيئا مما يحتاجون إليه إلا وشرط لهم في كتاب الوقف جميع ذلك»[4]. ويذكر المؤرخون أن السلطان نور الدين زنكي« تقدم إلى الأطباء أن يختاروا من حلب أصح بقعة، صحيحة الهواء لبناء البيمارستان بها فذبحوا خروفا وقطعوه أربعة قطع ووزعوه بأرباع المدينة ليلا، فلما أصبحوا وجدوا أحسنها رائحة الربع الذي كان في هذا القُطر، فبنوا المارستان فيه، ووقف عليه، قرية معراتا، ونصف مزرعة وادي العسل من جبل سمعان، وخمسة أفدنة من مزرعة كفرنايا، وثلث مزرعة الخالدي..وعشرة دكاكين بسوق الهواء.. »[5].

---

(1) **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص301.

* هو الحاجب الكبير شباشي أبو طاهر مولى شرف الدولة، ولقبّه بهاء الدولة بالسّعيد، وكان كثير الصدقة والأوقاف على وجوه القربات، توفي سنة (408هـ/1018م)، أنظر/ **ابن كثير، مصدر سابق**، ج6، ص 735.

(2) **نفسه**.

(3) **محمد عبد العظيم أبو النصر: مرجع سابق**، ص35.

(4) **الشيخ ظهير الدين على البغدادي: مختصر التاريخ**، تح، مصطفى جواد، بغداد، 1389هـ/1970م، ص 260 ، أنظر/**محمد عبد العظيم أبو النصر، المرجع السابق**، ص37.

(5) **راغب الطباخ: مرجع سابق**، ج2، ص 68؛ **مصطفى السباعي: مرجع سابق**، ص 216.

ويقول ابن خلكان في تاريخه في ترجمة نور الدين زنكي:« كان ملكا عادلا زاهدا عابدا ورعا...بنى المدارس بجميع بلاد الشام الكبار، مثل. دمشق وحلب وحماة، وحمص، وبعلبك، ومنبج، والرحبة، وبنى بمدينة الموصل الجامع النوري، ورتب له ما يكفيه، وبحماه الجامع الذي على نهر العاص، وجامع الرها، وجامع منبج، وبيمارستان دمشق ودار الحديث بها أيضا..»[1].

ثالثا: أرزاق الأطباء:

كما شملت الأوقاف المارستانات، وحاجياتها، فقد كان للأطباء على وجه العموم من لدن الخلفاء والملوك والسلاطين الإحسان الكبير والأفضال الغزيرة والجامكية الوافرة، والصلات المتواترة، وبلغت حتى علف الدواب التي يركبونها.

وقد بلغت المرتبات الشهرية للأطباء شأنا كبيرا، فقد ذكر لنا أحمد عيسى في تاريخ البيمارستانات، رواتب الأطباء المنقطعون للخليفة أو السلطان*، حيث بلغت في الشهر خمسون دينارا لكل طبيب وقد كانا اثنين، ولمن دونهما من الأطباء، وهم نحو ثلاثة أو أربعة المقيمين بالقصر. لكل واحد منهم عشرة دنانير[2] ، ولكل طبيب بالمارستان ما يقوم بكفايته.

ويذكر صاحب عيون الأنباء :« أن رزق جبرائيل بن بختيشوع لما كان في خدمه هارون الرشيد بلغ في كل شهر عشرة آلاف درهم من الوَرِقْ وفي السنة بلغ مائة وعشرون ألف درهم، وهذا من رسم العامة، أما من رسم الخاصة فبلغ خمسون ألف درهم في السنة وخمسون ألف درهم من الثياب »[3].

ويضيف أحمد عيسى بك، أن الأطباء في البيمارستان كان لهم جامكية خمسة عشرة دينارا. وكان لبعضهم رزقان، أي ثلاثون دينارا في كل شهر لعملين مختلفين، كرضي الدين الرحبي فقد أطلق له صلاح الدين الأيوبي في كل شهر ثلاثين دينارا[4]، ويكون ملازما للقلعة والبيمارستان، وبعد وفاة صلاح الدين أطلق له الملك المعظم عيسى* ابن الملك العادل خمسة عشر دينارا، ويكون مترددا إلى البيمارستان[5].

كما كان لبعضهم كجبرائيل الكحال. كان في خدمة المأمون، له ألف درهم** في كل شهر[6].

---

(1) **ابن خلكان: مصدر سابق**، ج5، ص 185.

* **السلطان:** هو صلاح الدين الأيّوبي.

(2) **أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات**، ص 21.

(3) **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص ص 198-199.

(4) **نفسه**، ص 673.

* **عيسى ابن الملك العادل**، وهو ابن أبو بكر بن أيوب، عمه صلاح الدين الأيوبي، أنظر/ **ابن أبي أصيبعة، نفسه.**

(5) **نفسه.**

** **الدرهم:** يساوي نصف فرنك فرنسي ذهبا تقريبا، أنظر/ **أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات**، ص 22.

(6) **ابن القفطي: مصدر سابق**، ص152.

وكان الطبيب ماسويه أبو يوحنا كحالا، وكان تلميذا في بيمارستان جُنديسابور، فاتفق وأن عالج خادم الفضل بن الربيع، وزير الخليفة هارون الرشيد، بعد أن عجز عن معالجته الأطباء، فأجرى له خبز وسميد، وجدي، ودجاجة وحلوى، ودنانير، ودراهم وقال له: هذا لك في كل يوم، والدراهم والدنانير رزقك مني في كل شهر. ثم عالج الوزير نفسه فأجرى له كل شهر ستمائة درهم، وعلوف دابتين[1]، ثم لم يلبث وأن عالج الخليفة الرشيد نفسه، فأجرى له ألف درهم كل شهر[2].

وقد جاء أيضا في وقفية بيمارستان السلطان قلاوون:« ...وأمره بإجراء النفقات على من يقوم بمصالح المرضى به من الأطباء، والكحالين، والجراحين وطباخي الشراب...وعلى من يقوم بمداواة المرضى من الأطعمة والأشربة والأكحال والشيافات* والمعاجين والمراهيم...والأدوية المركبة والمفردة، والفُرش، والآلات المعدة للإنتفاع بها في مثله»[3].

ويقول أيضا:« ويصرف الناظر في هذا الوقف لمن ينصبه شيخا للإشتغال عليه بعلم الطب على اختلافه »[4].

ويضيف:« ويصرف الناظر ما تدعو الحاجة إليه في تكفين من يموت بهذا المارستان من المرضى والمختلين من الرجال والنساء »[5].

وكان أمر الأوقاف والصدقات جاريا أيضا في إقليم خوارزم، فقد كان شرف الدين إسماعيل الطبيب في خدمة السلطان قطب الدين محمد خوارزمشاه (490-521هـ/1097-1127م)، وله من الإنعام الوافر، والمرتبة الرفيعة، وكان له مقرر من كل شهر ألف دينار»[6].

رابعا: وقف الأطباء:

ذكر ابن كثير أن مهذب الدين عبد الرحيم بن علي بن حامد المعروف بالدخوار، شيخ الأطباء بدمشق « قد وقف داره بدرب العميد بالقرب من الصّاغة العتيقه على الأطباء بدمشق المحروسة مدرسة لهم »** [7].

ويذكر ابن العبري:« أن الطبيب يحي بن عيسى بن جزلة الطبيب البغدادي لما مرض مرض موته، وقف كتبه الطبية لمشهد الإمام أبي حنيفة... »[8].

---

(1) **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص 243.

(2) **نفسه**.

* **الشيافة**: الفتيلة.

(3) **مصطفى السباعي**: **مرجع سابق**، ص ص 233- 234.

(4) **نفسه**، ص 236.

(5) **نفسه**، ص 237.

(6) **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص 472؛ **محمد سعد السيد أحمد عزب**: **مرجع سابق**، ص177.

** **المدرسة الدخوارية**: تقع شرقي المناخليين عند الصاغة العتيقة قبلي الجامع الأموي؛ أنظر/ **أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات**، ص 28.

(7) **نفسه؛ ابن كثير**: **مصدر سابق**، ج7، ص 345.

(8) **ابن العبري**: **مصدر سابق**، ص 195.

هذا وقد كان بعض الأطباء، من يعمل بمبلغ زهيد كما ذكر بأن الطبيب أحمد بن وصيف الصابئ* أراد إجراء عملية قدح عين رجل من أهل خراسان بثمانين درهم(1).

وهناك من الأطباء من زكت نفسه فتراه يكره التكسب بصناعة الطب، فقد كان مثلا: كمال الدين الحمصي يتردد على البيمارستان الكبير النوري يعالج المرضى فيه إحتسابا(2).

ومن بين الأطباء الذين ساهموا في مجال الوقف يذكر شوكت الشطي أن: « الطبيب الدمشقي، ابن النفيس، وقف دارته الجميلة، ومكتبته النفيسة على المستشفى المنصوري في مصر»(3).

ويقول أيضا: «أن للبيمارستانات أوقاف تمولها وكانوا يسجلون الوقف في حجج مكتوبة، ينقشون بعض ما فيها على الحجارة، يبينون أن الغاية هي تسيير المستشفى والإعتناء بالمرضى »(4).

وقد كانت أوقاف المستشفيات والمدارس كثيرة في بلاد الإسلام، وحسبنا دليل على ذلك أن الإمام النووي المتوفى سنة (676هـ/1278م) لم يكن يأكل من فواكه دمشق طيلة حياته، لأن أكثر غوطتها وبساتينها، أوقاف قد اعتدى عليها الظالمون(5).

* كان طبيبا عالما يعالج أمراض العين، ولم يكن في زمانه أعلم منه في ذلك ولا أكثر مزاولة، أنظر/ **ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق**، ص 311.

(1) **نفسه**.

(2) **نفسه**، ص 682؛ **أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات**، ص22.

(3) **شوكت الشطي: مرجع سابق**، ص 314.

(4) **نفسه**، ص 322.

(5) **مصطفى السباعي: مرجع سابق**، ص216.

المبحث الثالث: دور البيمارستانات في المجتمع الاسلامي خلال العصر الذهبي

– لقد قامت البيمارستانات بالتخفيف من وطأة الأمراض المتوطنة، والوبائية، وقام الأطباء بمعالجة المرضى المقيمين فيها، وبذل الجهد في مساعدة المنكوبين، والقيام بالتشخيص والعلاج، وصرف الأدوية والسهر على راحة المرضى.

ولا يتأتى لنا معرفة الدور الذي قامت به إلا إذا عرفنا حجم الأمراض والأوبئة والنكبات التي كانت تعيشها المجتمعات الإسلامية، وسنعرض جملة من الأحوال الصحية والأزمات التي كانت آنذاك.

أولا: الأحوال الإجتماعية والاقتصادية:

ذكر المؤرخون أن البلاد الإسلامية برمتها تعرضت لهجمات من الأمراض الوبائية والمستوطنة، وكانت الأمراض المعدية تنتشر في بعض السنين فتتحول إلى أوبئة فتاكة نتيجة للظروف الإقتصادية، وتقلب الأحوال المعيشية، كما أن البلاد تبيح حرية تنقل الإنسان والحيوان على نطاق واسع وهي مفتوحة، وليست لها حواجز صحية تعيقها كما هو الحال الآن، وهذا الأمر ساعد إلى حد كبير على انتقال الأمراض وسريانها، وقلة الموارد المائية في بعض السنين وهجمات الجراد وأمراض الحيوانات والآفات الزراعية أدى إلى قلة المواد الغذائية الضرورية للجسم الإنساني، فانتشرت المجاعات الفتاكة بالإنسان وعلى سبيل المثال فقد أشار:

–**ابن الجوزي:** وقوع بعض الأمراض في العراق وبلاد الجزيرة، ففي سنة (326هـ/938م)، وقع الوباء في البقر، وظهر عند الناس جرب وبثور، وفي سنة (329هـ/941م)، وقع المرض في المواشي والناس، وكثرت فيهم الحمّى ووجع المفاصل، كما انتشرت في سنة (343هـ/955م) أمراض، وحميات ونزلات وأوجاع الحلق[1].

وذكر أيضا انتشار مرض الطاعون في بغداد ونواحيها في سنة (478هـ/1086م)، وكان غالب المرض هو الصفراء*، حيث يعرض للرجل شناج**، وبرسام***، وصداع، وأعقب هذا المرض موت الفجأة، ثم انتشر الجدري في الأطفال، وأعقب ذلك موت الوحوش في البرية، والدواب، والمواشي، ثم انتشرت بين الناس الخوانق، والأورام، والطحال[2].

---

[1] **ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، طبع دائرة المعارف الإسلامية، حيدرا أباد الدكن،(1378هـ/1959م)، ج6، ص ص 239 وهنا وهناك.

* **الحمى الصفراوية**: ثلاث (غب دائرة، وغب لازمة، ومحرقة)، ومن أعراضها شدة العطش، والقلق والأرق، والغثيان، وحرارة الفم، والصداع ولعل هذا ينطبق على مرض "الملاريا"، أما الحمى المحرقة، فربما تنطبق على التايفوئيد، **ابن سينا، القانون في الطب**،ج2، ص44، أنظر/ **سوادي عبد محمد، مرجع سابق**، ص 130.

** **التشنج**: هو أن يتقلص عضو من الأعضاء، أنظر/ **الخوارزمي، مصدر سابق**، ص 186.

*** **البرسام**: كلمة فارسية، أما البر، فهو الصدر، والسام، هو الورم.

[2] **ابن الجوزي: المصدر السابق**، ج9، ص ص 14 هنا وهناك.

وذكر الإصطخري، بأن مدينة رأس العين كثيرة العلل والوباء، ونصّيبين مدينة وبيّة كثيرة العلل والوباء، «وميافارقين، وخمة كثيرة العلل والوباء، والمياه تجري في منازلها وأسواقها» [1].

كما يذكر جان موريس، أنه في سنة (350هـ/962م)، أصاب مدينة المَوصِل مجاعة كان من نتائجها، هجرة السكان، واستمر الغلاء واتصلت الفتن في شطري بغداد[2].

ويقول اليافعي عن أحداث سبع وثلاثين وثلاث مائة «كان الغرق ببغداد فبلغت دجلة إحدى وعشرين ذراعا، وهلك خلق كثير تحت الهدم» [3].

ويذكر أيضا عن أحداث سنة ست وأربعين وثلاث مائة فيقول: « قلَّ المطر ونقص البحر نحوا من ثمانين ذراعا، فظهر فيه جبال، وجزائر، وأشياء لم تُعهد، وكان بالري زلازل عظيمة، وخسف ببلد الطالقان في ذي الحجة، ولم يفلت من أهلها إلا نحوا من ثلاثين رجلاً وخُسِف بخمسين ومائة قرية، من قرى الري فيما نقل بعض المؤرخين»[4].

ويقول أيضا: « أنه كانت بواسط مجاعة، حيث قام سنان بن ثابت ببناء دار ضيافة ومارستانا»[5].

ويضيف أيضا: « .. فمن ذلك أن الوزير علي بن عيسى بن الجراح وقع إليه في سنة كثرت فيها الأمراض والأوباء توقيعا..» [6].

أما ابن الأثير، فقد أشار: « أنه في بلاد الجزيرة الفراتية سنة (574هـ/1179م) انقطعت الأمطار، فاشتد الغلاء وتعذرت الأقوات، وأكل الناس الميتة ودام كذلك إلى آخر سنة (575هـ/1180م)، ثم تبعه بعد ذلك، وباء عام شديد، كثر فيه الموت، وكان مرض الناس شيئا واحدا وهو" السرسام"*، وكان الناس لا يلحقون يدفنون الموتى»[7].

---

(1) **الإصطخري: مسالك الممالك**، ص76، أنظر/ **سوادي عبد محمد، مرجع سابق**، ص 128.

(2) **جان موريس فييه: مرجع سابق**، ص 228.

(3) **اليافعي، مصدر سابق**، ص 325.

(4) **المصدر نفسه**، ص 339.

(5) **ابن القفطي: مصدر سابق**، ص 193.

(6) **نفسه**.

* ذكر ابن سينا أن السرسام لفظ فارسي، فالسر هو الرأس، والسام هو الورم، أي (أورام الرأس)، أنظر/ **سوادي، مرجع سابق**، ص 126؛ ويقول الخوارزمي: السرسام: حُمى دائمة مع صداع وثقل في الرأس والعين وحمرة وكراهية الضوء، **الخوارزمي، مصدر سابق**، ص 186.

(7) **عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد الجزري بن الأثير: الكامل في التاريخ**، تح، الشيخ خليل مأمون شيحا، 9 أجزاء ، ط1، نشر، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1422هـ/2002م، ج9، ص 316.

أما ابن العديم فيذكر أنه كانت هناك زلازل في بلاد الشام ومنها قوله: « ووقعت الزلازل في شهر رجب في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة بالشام، فخربت حماه، وشيزر، وكفر طاب، وأفاميَة، ومعرة النعمان، وحمص، وحصن الشُّمَيمِس*..» [1].

ويقول عن أحداث خمس وستين وخمسمائة: « وتواترت الزلازل بها أياما معددة، وكانت من السنة يوم الإثنين طلوع الشمس، وهلك من الناس ما يزيد على خمسة آلاف نفر ذكر وأنثى..» [2].

هكذا وقد أشار ابن الأثير إلى وفاة قطب الدين مودود بن زنكي، صاحب الموصل سنة (565هـ/1170م) وكان مرضه حمى حادة، وإلى وفاة نور الدين محمود ابن زنكي بعلة الخوانيق.. [3].

وهناك أمراض سماها ابن الأثير " بالباردة" مثل: " الفالج"◆ وغيره، وذكر أن « عين القارة من الموصل شديدة الحرارة فكان الناس يسبحون فيها لأنها تنفع من الأمراض الباردة كالفالج وغيره نفعا عظيما»[4].

أما في مصر فقد ذكر المقريزي: « أنه وفي سنة ست وعشرين وأربعمائة كثر الوباء بمصر.. » [5].

وقد ذكر ياقوت الحموي: «..وكان السبب في خراب الفسطاط، وإجلاء الخطط حتى بقيت كالتلال أنه توالت في أيام المستنصر بن الظاهر بن الحاكم، سبع سنين، أولها 457هـ إلى سنة 464هـ من الغلاء والوباء الذي أفنى أهلها وخرب دورها..»[6].

أما ابن كثير فيذكر في حوادث 628هـ قوله: «كان غلاء شديد بديار مصر، وبلاد الشام، و حلب، والجزيرة، بسبب قلة المياه السماوية والأرضية»[7].

ثانيا: الدور الإنساني والعلاجي للمارستانات:

بعد أن ذكرنا جملة من النكابات والأزمات والزلازل والمِحَن والأمراض الفتاكة التي حلّت بمعظم البلاد الإسلامية يتبين لنا جليا الدور الذي أنيط بالمارستانات وعمالها من أطباء وجراحين وطبائعيين وممرضين وصيادلة وغيرهم، وأيضا الخلفاء والسلاطين والوزراء ومدى الدرجة الإنسانية والشعور بالمسؤولية إتجاه رعاياهم وشعوبهم.

---

[1] **ابن العديم: زبدة الحَلَب من تاريخ حَلَب،** تح، خليل منصور، ط1، نشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/1996م، ص 338.

* وحصن الشمَيمِس: يسمى أيضا قلعة الشمَيمِس، وتقع بين حماه وسلمية إلى شمال الطريق الواصل بينهما اليوم، أنظر/ **ابن العديم، نفسه.**

[2] **نفسه،** ص 352.

[3] **ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق،** ج9، ص ص 232، 271.

◆ **الفالج:** هو استرخاء أحد الجانبين من الإنسان، وذهاب الحس والحركة عن بعض أعضائه، أنظر/ **الخوارزمي، مصدر سابق،** ص 186.

[4] **ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق،** ج9، ص 366.

[5] **المقريزي: المواعظ والإعتبار بذكر الخِطط والآثار** ، ج1، ص 405.

[6] **ياقوت الحموي: مصدر سابق،** ج6، ص 383.

[7] **ابن كثير: مصدر سابق،** ج7، ص 343.

يقول الشطي في تاريخه بعد أن أشار إلى أن الخليفة الوليد قد أقام أول بيمارستان في صدر الإسلام في دمشق للمجذومين: « ولم تكن مجذمة الوليد كالمجاذم المعروفة في ذلك الزمن، شبيهة بالسجن، بل كانت قصرا منيعا محاطا برياض غناء يسلوا بها المريض عن إصابته، ويُحسن إليه إحسانا كبيراً »[1].

وينقل عن الوليد قوله: « لأجعلنَّ الزَّمِنَ أحبَّ إلى أهله من السليم» وهذا القول يبين مبلغ درجة الإنسانية التي ارتقى إليها الطب والإسعاف عند المسلمين والعرب لأن الزَّمِنَ يَمَلُّ منه ذووه لعجزهم عن القيام بخدمته، أما تشريع الوليد هذا فإنه يأخذ على عاتق الدولة وبيت المال العناية به، فيؤدي ذلك إلى إزدياد عطف ذوي المريض عليه بعد أن تخلصوا من عناء العناية به»[2] .

كذلك إقامة دور للبائسين ومأوى للضعفاء وأصحاب العاهات دلائل ارتقاء الإنسان في رقة الشعور والعطف على المبتلين وهذا ما جعل ابن عساكر يمدحه بقوله: كان الوليد عند أهل دمشق من أفضل خلفاءهم كان يعطي أكياس الدراهم لتفرق على الصالحين وخصص لكل مقعد فقير من يساعده وكذلك عامل العميان فعين لكل منهم دليل يرشده وجعل لكل مجذوم من يخدمه وأشاد مستشفى خاصاً بهم فكان بذلك أول من إتخذ المستشفيات الخاصة في صدر الإسلام»[3] .

وكان أهل الذمة يُعاملون في مارستانات بغداد مُعاملة المسلمين وقد يُفضَّل المسلمون أحيانا، كما حدث في وباء بغداد في أوائل القرن الرابع؛ حيث وقّع الوزير علي بن عيسى على سنان بن ثابت بأن يُعالج المسلمون قبل أهل الذمة[4].

وقد ذكر لنا البلادري قبل هذا أن عمر ابن الخطاب- رضي الله عنه- مرّ عند مُقدمه دمشق بمجذومين من نصارى فأمر بأن يعطوا من الصدقات[5].

ويذكر السِّباعي في معرض حديثه عن مارستان قولاوون، قوله: « وأدى هذا المستشفى عملَه الإنساني الجليل حتى أخبر بعض أطباء العيون الذين عملوا فيه كل يوم من المرضى الداخلين إليه والناقهين والخارجين أربعة آلاف نفس، ولا يخرج منه كل من يبرأ من مرض حتى يعطى كسوة للباسه ودراهم لنفقاته حتى لا يضطر للإلتجاء إلى العمل الشاق فور خروجه »[6].

(1) **شوكت الشطي: مرجع سابق**، ص 316.

(2) **المرجع نفسه**، ص 217.

(3) **المرجع نفسه**، ص 316.

(4) **ابن القفطي: مصدر سابق**، ص 194؛ **أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات**، ص 13.

(5) **شوكت الشطي: المرجع السابق**، ص 315.

(6) **مصطفى السّباعي: مرجع سابق**، ص 230.

ومن الأثر الإنساني للمارستان، مجانية العلاج وتقول زيغريد هونكة في ذلك: « هو أن كل المرضى أغنياء وفقراء كانوا يعالجون مجانا، فالعلاج الطبي لم يكن ليكلفهم درهما واحدا، وكانوا يحصلون مجانا أيضا على المأوى والغذاء والعقاقير، والألبسة كذلك بالإضافة إلى تعويض مالي لشهر كامل يتقاضونه عندما يتماثلون للشفاء ثم ينصرفون إلى بيوتهم »[1].

وإننا نجد أن المؤرخين والرحّالة، عندما يريدون التحدث عن الإنسانية فإنهم يربطونها بالمارستانات، ومن ذلك وصف ابن جُبير للسلطان صلاح الدين الأيوبي فيقول: « واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئين، حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك، ونصّب لهم مارستانا لعلاج من مرض منهم، ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم وتحت أيديهم خُدّام يأمرونهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون بها من علاج وغذاء »[2].

وقد مسّت الرحمة الإنسانية جميع طبقات المجتمع بما في ذلك المسجونين، فهؤلاء كذلك يجدون الرعاية، فها هو الوزير علي بن عيسى يوقع إلى سنان بن ثابت الطبيب بأن يفرد للمسجونين أطباء يدخلون إليهم كل يوم، وتحمل إليهم الأدوية والأشربة، ويطوفون في سائر الحبوس..ويعالجون فيها المرضى[3] ولا شك أن تسيير وإنشاء هذه المارستانات كان من كرم الخلفاء والسلاطين حينا ومن تحصيل الأوقاف أحيانا.

وبصفة عامّة فإن أخلاق الطب الإسلامي العربي في عصوره الزاهرة ينُمُّ عن البعد الإنساني. فقد وضع الأطباء المسلمون العديد من القواعد الأساسية لمهنة الطبيب ومن ذلك ما ألفه الطبيب أبو إسحاق بن علي الرّهاوي* (ق3هـ/9م) في صورة مخطوطته أدب الطبيب، والمقصود بها تلك القواعد والضوابط والأسس الأخلاقية والعلمية التي تقوم عليها مهنة الطب.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن الطبيب ابن رضوان توفي (453هـ/1062م) على سبيل المثال تناول الصفات والشروط الواجب توافرها في الطبيب « فحددها على أن يكون تام الخلق صحيح الأعضاء وحسن الذكاء، وأن يكون حسن الملبس، طيب الرائحة لطيف البدن والثوب، وأن يكون حريصا على كتم أسرار المرضى، وأن تتوافر فيه الرغبة الصادقة في علاج المرضى، أكثر من أن يسعى إلى الإفادة المالية، من جراء معالجتهم، واشترط أيضا سلامة القلب، وعفة النظر وأن يكون مضمونا على الأرواح والأموال»[4] .

وهذه الشروط تمثل قمة البعد الإنساني في التداوي والعلاج.

(1) **زيغريد هونكة: مرجع سابق**، ص 231.

(2) **ابن جبير: مصدر سابق**، ص 15.

(3) **ابن القفطي: مصدر سابق**، ص 193؛ **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص301؛ **راغب السرجابي: مرجع سابق**، ص 88؛ **آدم ميتز :مرجع سابق** ، ج2، ص 202.

* أحد الأطباء العراقيين، وكان من الأطباء المتميزين، عالما بكلام جالينوس، أنظر/ **ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق**، ص 191.

(4) **محمد مؤنس أحمد عوض: مرجع سابق**، ص ص 35-36.

ثالثا: الأثر التعليمي للمارستانات:

بعد البعد الإنساني والعلاجي الذي أنيط بالمارستانات وتكفل به الأطباء نعرّج على دور لا يقل أهمية عن ذلك أولا وهو التعليم.

فقد كان يعوَّل في هاته المارستانات على أطباء أكفاء، وكتب قيّمة وتصانيف مشهورة منها كتاب الأقرباذين، ويذكر غريغوريوس أنه « في سنة خمس وخمسين ومائتين، مات سابور بن سهل صاحب بيمارستان جنديسابور، وكان فاضلا في وقته، وله تصانيف مشهورة منها كتاب "الأقراباذين" المعوّل عليه في البيمارستانات ودكاكين الصيادلة، إثنان وعشرون بابا»[(1)].

وذكر ابن أبي أصيبعة:« أن نور الدين زنكي– رحمه الله– وقف على المارستان الذي بناه في الشام، جملة كبيرة من الكتب الطبية، فكان جماعة من الأطباء والمشتغلين يأتون إليه، ويقعدون بين يدي الطبيب أبو المجد بن أبي الحكم، ثم تجرى مباحث طبية، ويُقرئ التلاميذ ولا يزال معهم في اشتغال ومباحثة ونظر في الكتب»[(2)].

وتذكر المؤرخة هونكة: « أن المارستانات الكبيرة بمثابة مدارس عالية للطب، حيث يتلقى الطلاب فيها علومهم، ويتعلمون كل ما قاله أبوقراط، وجالينوس، وما جاء به أساتذتهم العرب الكبار أنفسهم، وكانوا يستمعون إلى كل هذا أيضا في باحات الجوامع وفي مدارس خاصة طبية يُديرها أطباء معروفون»[(3)].

وذكر ابن أبي أصيبعة أيضا: « عن تجاربه في سِني دراسته في دمشق، وكيف كانوا يتدافعون بالمناكب لتلقط كل ما كان الرئيس يقول لزميل له شهير..»[(4)]

وتقول هونكة أيضا: « أن العرب اتبعوا في تدريس الطب طريقة عملية تقتضي على طلاب الطب، أن يدخلوا مع المرضى في احتكاك دائم، مثمر،..وتضيف إنك تسمع الطبيب وهو يسأل مريضه عن عاداته وعن الأمراض التي أصيب بها سابقا " ما هي آلامك؟ وكيف تعيش يا هذا؟ وما هي عاداتك؟ وما هي الأمراض التي أصابتك سابقا؟ وماذا كان لدى أهل بيتك وعائلتك من أمراض متوارثة؟ وكانت الأجوبة تسجل في سجل خاص تحفظ في المارستان »[(5)]

وهذه الطريقة التي اكتشفها العرب فضلا عن أنها تساعد في علاج المريض، فهي في نفس الوقت تساعد المتعلمين على التعلم والفهم الجيد للحالات المرضية.

ويسجل كل شيء ويعطى حقه من البحث، حتى أقل الظواهر قيمة وأكثرها غموضا، ثم يحفظ في محضر خاص إبتداء من الأحاديث المخطوفة إلى سلسلة الملاحظات التي تتوالى فيما بعد كلما أمعن الطبيب في المعاينة،

---

(1) **ابن العبري: مصدر سابق**، ص 147.

(2) **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق**، ص 628.

(3) **زيغريد هونكة: مرجع سابق**، ص 234.

(4) **ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق**، ص 723.

(5) **زيغريد هونكة: المرجع السابق**، ص ص 235،240.

وكان لدى المارستانات محاضر عن الفحوص كاملها، والكشف، ومختلف العقاقير وعن تطور حالة المريض[1]. أو ما يعرف اليوم " تاريخ المرض".

وتضيف هونكة: « ومن هذه المحاضر والتقارير عن المرضى في مارستانات بغداد الكبيرة وغيرها خلال الربع الأول من القرن العاشر ميلادي، خرجت إلى الوجود موسوعة طبية ضخمة، استعملها الأطباء الأوروبيون خلال مئات السنين ككتاب للتعليم، واستعان بها صاحبها في تصريف أموره الخاصة وتعليم تلاميذه..إنه الرازي»[2].

وتضيف:« ..فزحف طلاب العلم من كل أطراف الإمبراطورية رغبة منهم في تلقي المعرفة على يدي الرازي. وتعلم فنون المعالجة، والكشف والمعاينة الطبية، كلما سار بين مرضاه في مستشفاه الكبير، فكان أن ازدحمت قاعات التدريس بالأطباء وتلاميذهم وتلاميذ غيرهم، وكان هذا حدثا جديدا...».[3]

هذا وقد كان لهذه المارستانات دور في تعليم أنواع العلاجات، فمن ذلك العمليات الجراحية ولدينا إشارة أوردها ابن خلكان تتعلق بمعالجة وزير إربل ابن المستوفي سنة (626هـ/1229م)، عندما جُرِح بضربة سكين من أحد مناوئيه في عَضُده: « ..فَجَرحتْه جرحة متسعة فأحضر في الحال (المزين)، وخاطها ومرّخها، وقمّطها باللفائف»[4].

كما أنّ للتشريح دور في التعليم، وفي ذلك يقول البغدادي:« ..ورأينا آلافا من العظام والأرجل ففحصناها فحصا دقيقا وحصلنا على معارف جمّة من هذه الدراسة، معارف لم نكن لنحصل عليها بين دفّات الكتب»[5].

ويقول جاك ريسلر:« وكانت الجراحة العامة وفن جراحة العمليات ومعالجة الإنسان بالغة التطور لدى العرب في العصر الوسيط، وأكثر تطورا من كل طبابة ذلك العصر، كان التخذير والإنعاش في جو العصر، ويضيف أن "الجراح المسواقي" كان أول من مارس الجراحة على قردة متطورة من النوع الشبيه بالبشر»[6] .

ولا شك أن هذه العمليات كانت تجرى في المارستانات، وكان لها دور تعليمي فعّال.

---

(1) **شوكت الشطي: مرجع سابق**، ص 325.

(2) **زيغريد هونكة: مرجع سابق**، ص ص241-242.

(3) **المرجع نفسه**، ص 245.

(4) **ابن خلكان: مصدر سابق**، ج3، ص 396؛ **سوادي، مرجع سابق**، ص 141.

(5) **زيغريد هونكة، المرجع السابق**، ص 270.

(6) **جاك ريسلر: مرجع سابق**، ص 200.

المبحث الرابع: دور الطب العربي في النهضة الأوروبية

أولا: الإتصال الثقافي:

لقد أفاد العالم اللاتيني في أوروبا التي أصابها الركود لقرون طويلة من الإنجازات الإسلامية في مجال الطب والصيدلة، حيث وقف علماء أوروبا وقتئذ على نفائس العلم العربي والإبداع الإسلامي، وقد كان إتصال الأمم اللاتينية بالحضارة العربية في ثلاثة جهات، وكان في عصور مختلفة.

1- في الشرق:

كان ذلك أثناء الحروب الصليبية. حيث وجد الصليبيون أمة الإسلام تفوقهم علما وحضارة واتخذ أمراء الفرنجة أطباء من العرب بعد أن ثبت لديهم تفوقهم في جميع فروع الطب.

2- في صقلية وإيطاليا:

فتح العرب صقلية في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي وحكموها قرنين من الزمن. وكانت الحضارة في سالرنو، وبالرمو مزيجا من الثقافة العربية واللاتينية والإغريقية وكانت الصدارة للعرب حيث أن تفوُّق العرب في العلوم عامة والطب خاصة كان واضحا[1].

وأقيمت بإيطاليا في سالرنو مدرسة طبية شهيرة إختصت بفرعين من علوم الطب هما: الطب الباطني والجراحي، وعندما استولى النورمان على صقلية وجزء من إيطاليا أحاطو مدرسة الطب التي أنشأها العرب بالإعتناء الكبير.

ويلاحظ أن مدرسة سالرنو كانت بمثابة أصل كل المدارس الطبيّة التي سرعان ما انتشرت بعد ذلك في أوروبا كما حدث في مونبليه "Mont -pellier "، وباريس "Paris" بفرنسا، وبولونيا "Polonia"، وبادو " padoue" "بإيطاليا[2].

وقد لعب قسطنطين الإفريقي دورا في المساهمة في حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية وارتباطه بها، وقد ولد في قرطاج عام (408هـ/1018م)، وكرس حياته لدراسة الطب وبعد انتقال وترحال إتجه إلى سالرنو (بإيطاليا)، ومن بعدها إلى الدير البذكتي في مونت كاسينو "montecassino"، وظل هناك حتى توفي عام (480هـ/1087م) وقد ترجم من العربية إلى اللاتينية عددا من المؤلفات يقدر بسبعة وثلاثين كتابا في الطب والفلسفة، وبالرغم من أن ترجماته لم تتسم بالدقة وينقل دون أن يشير إلى مصادره وينسب التأليف إلى نفسه أحيانا، إلا أنه ساعد على تنشيط هذه المدرسة الطبية[3].

كما ساعد " جيراردي الكريموني" و" فيلانوقا" على نشر العلوم العربية في أوروبا أيضا[4].

---

(1) **بثينة مرزوق: مرجع سابق**، ص 64.

(2) **محمد مؤنس أحمد عوض: مرجع سابق**، ص 31.

(3) **نفسه**.

(4) **شوكت الشطي: مرجع سابق**، ص 462.

ويقول الشطي: « أنه إذا أراد الإنسان أن يزن بحق وعدل مقدار تأثير البضائع العلمية، العربية في معاهد الطب في أوروبا فما عليه إلا بمراجعة برنامج مدرسة الطب في " مونبليه"، فإنه يجد في أواخر القرن الثالث عشر من جملة الكتب التدريسية تراجم لكتب عربية وكان في ذلك الجدول كتب لحكماء يونانيين كتأليف أبقراط وجالينوس، وكتب حكماء عرب كتأليف ابن سينا والرازي وقسطا وإسحاق بن حنين » [1].

3- في الأندلس العربي:

لقد أثرت الحضارة العربية في الأندلس في معاصريها وما جاورها من بلدان وكان لمظاهر المدنية فيها رواء لم يخطئه أحد من جيرانهم. وقد كان لعلمائها الفضل في نشر الثقافة والعلوم الطبية في أوروبا كأمثال: أبو القاسم الزهراوي صاحب كتاب " التصريف لمن عجز عن التأليف"، وكتاب ابن رشد " الكليات في الطب" وغيرهما، وقد ساعد كتاب الزهراوي على وضع أسس الجراحة في أوروبا.

ثانيا: مؤلفات الطب العربي في العالم اللاتيني:

يذكر محمد كامل حسين، أن كتاب علي بن العباس الأهوازي المعروف بكتاب " كامل الصناعة الطبية" أول كتاب ترجمه قسطنطين الافريقي إلى اللاتينية.

ويذكر المؤرخون: « أن سلفستر الثاني الذي أراد أن ينشر في أوروبا ما تعلمه عدّه الناس من الخوارق...ولم يظهر في أوروبا قبل القرن الخامس عشر الميلادي عالم لم يقتصر على استنساخ كتب العرب» [2].

وقد كان من بين أهم المترجمين الأوروبيين: " جيرارد الكريموني" حيث عدّ بعض المؤرخين سبعة وثمانين كتابا ترجمها[3].وكان من بين الكتب المترجمة: " كتاب المنصوري" للرازي وهو أصغر من الحاوي ولكن قيمته عظيمة. وطبعت هذه الترجمة في Mediolani سنة 1481م والبندقية سنة 1497م وليون سنة 1520م، وبازل سنة 1544م [4].وترجم أيضا كتاب " أقرباذين" وكتاب " التقسيم والتشجير"، كلاهما للرازي.

ويذكر بروكلمان أيضا أن : كتاب "الفصول في الطب" للرازي ترجم إلى اللاتينية عام 1489م. وله ترجمة عبرية باسم براقيم (أي الفصول) [5].

كما ترجم كتاب " القانون في الطب" لابن سينا وقد أثر تأثيرا بالغا في أوروبا فترة العصور الوسطى، حيث يعتبر جامعا لمعارف الطب في عصره وقد ترجمه إلى اللاتينية "جيرارد الكريموني"، وطبع هذا الكتاب عدة طبعات متتالية وباء بترجمات مختلفة استمرت حتى القرن السادس عشر كما تُرجم إلى العبرية [6].

---

(1) **شوكت الشطي نفس المرجع**، ص 79.

(2) **جوستاف لوبون: حضارة العرب**، أنظر/ **بثينة مرزوق، مرجع سابق**، ص 67.

(3) **نفسه**، ص 68.

(4) **كارل بروكلمان: مرجع سابق**، ص 277.

(5) **المرجع نفسه**، ص 278.

(6) **ماهر عبد القادر: مقدمة في تاريخ الطب**، ص 83.

وأيضا ترجم : " أندريا الباجو". بعض كتابات ابن النفيس إلى اللاتينية.

كما ترجم قسطنطين الإفريقي كتاب "زاد المسافر" لابن الجزّار العربي المسلم إلى اللاتينية وانتحله وعزاه لنفسه ولم يضع عليه اسم مؤلفه الحقيقي(1).

ومن هنا فإن كثيرا من الغربيين المنصفين يعترفون بأن المسلمين كانوا في القرون الوسطى أساتذة أوربا مدة لا تقل عن ستمائة سنة، قال العلامة جوستاف لوبون: « ظلت ترجمات كتب العرب ولاسيما الكتب العلمية المصدر الوحيد تقريبا للتدريس في جامعات أوروباخمسة قرون أو ستة قرون، ويمكننا أن نقول إن تأثير العرب في بعض العلوم كعلم الطب مثلاً دام إلى أيامنا، فقد شُرحت كتب ابن سينا في مونبليه في أواخر القرن الماضي» (2).

(1) **ماكس مايرهوف: مرجع سابق،** أنظر/ **ماهر عبد القادر، نفس المرجع،** ص84.

(2) **مصطفى السباعي: مرجع سابق،** ص 83.

خلاصة الفصل

لقد تمتعت جل البلاد الإسلامية بمارستانات بلغت شأواً عظيما من التطور، ولم يكن تأسيسها وقفاً على الخلفاء والسلاطين أو الرجال الأغنياء وإنما دأب أيضا على تأسيسها الأطباء من أمثال سنان بن ثابت، وثابت ابن سنان ابن ثابت بن قُرّة وحفيده، كذلك فعل الطبيب شهيد العلماء عندما عالج الإبنة المريضة فلما تماثلت للشفاء وأراد الحاكم أن يبرّ بوعده بأن يهبه من الذهب مقدار وزنه، فكان ردّ الطبيب أن يبني بالذهب الموعود به، ففعل نصير الدين وخصص مبلغا ماليا كبيرا كان يصرف على المارستان لتغطية مصروفاته.

تأسس أول مارستان إسلامي عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك وتخصص في الجذام وأنشئت بعده مارستانات عديدة كان من أشهرها المارستان العَضُدي ببغداد الذي أنشئ سنة (371هـ/982م)، والمارستان النوري بدمشق الذي أنشئ سنة (549هـ/1155م)، وبالقاهرة المارستان المنصوري الكبير الذي أنشئ سنة (683هـ/1285م) فضلا عن مارستان جنديسابور بفارس، ومارستانات الغرب الإسلامي بما في ذلك الأندلس.

وقد خصصت لسير هذه المارستانات مبالغ ضخمة صُرفت في إنشائها وتعميرها وتغطية مصاريفها والإنفاق على العاملين بها كالأطباء والخدم والإنفاق على مكتباتها الضخمة التي تحوي عددا من الكتب المتخصصة في الطب والصيدلة وعلم التشريح وغيرها، وكانت هذه الأموال تُحصّل من الأوقاف بشتى أنواعها، ورأينا أنها من الكثرة بمكان، كما لعب الخلفاء والسلاطين أيضا دوراً في المشاركة بأموالهم، والإشراف على هذه المارستانات بالإدارة والتعمير، والمتابعة لمجريات الأمور والقيام بزيارتها من وقت لآخر، والفحص وسؤال المرضى ليطمئن قلوبهم.

هذا وأن مارستانات الأمة الإسلامية قامت على عاطفة إنسانية نبيلة قامت بالتخفيف من وطأة الأمراض والأوبئة والمعاناة والقيام بالسهر على صحة المجتمع وتحقيق التكافل الإجتماعي، كما كان لهذه المارستانات دور في التعليم، وكانت بمثابة مدارس وجامعات لتخريج الأطباء بجميع أوصافهم من طبائعيين وجراحين وكحالين وأطباء أطفال ونساء وغيرهم، وبلغ دورها إلى استقطاب البعثات العلمية من شتى أنحاء العالم، بل وتعدّت إلى غزوهم فكريا وعلميا في عُقر دارهم.

الخاتمـــة

الخاتمة:

لقد أبانت الدراسة الخطوات الأولى لظهور الطب، حيث احتفظت الشعوب البدائية بمعلومات طبية تناقلتها الأجيال وإستعملها الكهان والعرافون ورجال الدين الذين عُرفوا بمزاولتهم لهذه المهنة، ورأينا حضارات أظهرت أن لها طب بدءا بالحضارة السومرية والمصرية في القديم مرورا بالصين وفارس والهند وصولا إلى اليونان وبلاد الروم والإسكندرية. وظهر عباقرة كأبوقراط وجالينوس وغيرهم ولم يستطع الإنسان تحقيق أول خطوة كبيرة نحو الخبرة الطبية المنظمة إلا بعد أن تمكن من فصلها عن السحر والكهانة والطقوس الدينية.

ورأينا أن للعرب في جاهليتهم طب مشوب بالسحر والشعوذة.

وبعد بزوغ فجر الإسلام ظهر الطب النبوي مدعما بالوحي وتمثل في جملة من الأحاديث النبوية الشريفة وبعد انتشار الإسلام وعمت الفتوحات الإسلامية مشارق الأرض ومغاربها نهل المسلمون من أنواع المعرفة واغترفوا ما وجدوه من طب، وضمت الحضارة الإسلامية بين جنباتها كل دين وجنس ولم يكن الأطباء العرب مجرد نقله للتراث اليونان الطبي بل ترجموه في ترجمات رائعة كان معظمها على يد حنين ابن إسحاق العبادي ورفقائه.

– كما أبانت الدراسة أن للأطباء العرب والمسلمون صولات وجولات صححوا فيها بعض الأخطاء التي وقعت في النظريات القديمة، كأخطاء جالينوس مثلا.

– وتشير الدراسة أنه كانت هناك مجالس طبية من أشهرها الذي تصدّره " يوحنا بن ماسويه" أستاذ حنين بن إسحاق وكان لهذا المجلس فضل في إزدياد الإهتمام بالتراث الطبي.

– أيضا قام الأطباء في الخلافة العباسية بعد عصر الترجمة بإجراء ملاحظات إكلينيكية وتجارب علمية في ميدان الطب، كما استخدموا الآلات والأدوات الجراحية للجراحات المتعددة التي قاموا بها .

– قام الأطباء بتشجيع الخلفاء وتحفيز أصحاب الكلمة والرأي على بناء البيمارستانات.

تأسست هذه البيمارستانات في فترة مبكرة من تاريخ الأمة الإسلامية وانتشرت في أنحاء البلاد والمعمورة.

– كشفت الدراسة أيضا عن الأثر العلاجي لهذه البيمارستانات ومتابعة أحوال المرضى الصحية.

– كما أبانت الدراسة دور الأوقاف في دعم هذه البيمارستانات مما أدى إلى استمرارها في أداء وظيفتها.

– أيضا الإتقان الذي مُنيت به البيمارستانات حتى بقيت أثار بعضها شاهدة على تلك العصور .

– الكشف عن أنواع البيمارستانات من ثابت ومتنقل.

– أيضا الكشف عن التنظيمات الإدارية والمالية وأنواع الأدوية والعلاجات والأمراض التي انتشرت آنذاك.

– الكشف عن الأثر التعليمي وأثر تشجيع الخلفاء والسلاطين في تجميع صفوة من الأطباء المرموقين في ربوع البلاد الإسلامية وعاصمة الدولة خاصة.

– أبانت الدراسة أيضا رصد موسّع لأعظم البيمارستانات والعاملين فيها. وللأعظم الأطباء وظهور التخصصات الطبية منها علم الصيدلة وغيره .

الخاتمة:

- أيضا لعبت المكتبات الطبية في البيمارستانات دور في تثقيف الطلبة والأطباء.

-الضابط والنظام لمن يريد أن يكون طبيبا وذلك بإجراء امتحانات فُرضت عليهم ومنحت لهم إجازات.

رأينا أيضا ظاهرة الأسرة الطبية العربية، كأسرة ابن أبي أصيبعة وأسرة ابن زهر، ومساهمتهما في تطوير الطب. كما كشفت الدراسة أيضا عن أثر البيمارستانات في الوقوف أما الأزمات الإجتماعية لاسيما وقت الكوارث، مع قصورها طبعا عن أداء مهامها في بعض البلاد وربما ارتبط الأمر بالوضع السياسي، وقلة النفقات والأوقاف عليها.

-كما تشير الدراسة إلى ممارسة الأطباء العرب والمسلمين للتشريح على الحيوانات والإنسان أيضا تمتع الأطباء العرب بالأمانة العلمية والجرأة بقول الحق وتصحيح الخطأ.و رأينا منافحة الطالب "العربي التطاوي" عن العلامة ابن النفيس وأن الفضل له في إكتشاف الدورة الدموية الصغرى.

-أبانت الدراسة أيضا وظيفة المحتسب ودوره في الرقابة على الأطباء والصيادلة والغشاشين.

-كما تشير الدراسة إلى تأثير الطب العربي الإسلامي في نهضة أوروبا ونقل المؤلفات.

-والمبتكرات إلى أوروبا اللاتينية فكثيرا من كتب العباقرة العرب والمسلمين كأمثال الرازي: وكتابيه " الحاوي"، و"المنصوري"، وابن سينا وكتابه " القانون في الطب"، والزهراوي وكتابه " التصريف لمن عجز عن التأليف" وغيرهم نقلت إلى العالم اللاتيني، واستفادت منها أوروبا وكانت منارا لها وقت أن كانت تهيم في ظلمات الجهالة وتسلط وهيمنة الكنيسة عليها. ورغم هذا فقد حرص بعض الغربيين على سلب المسلمين حقوقهم وحرصوا على تعميق دور أهل الذمة من اليهود والمسيحيين.

- من المعلوم أنّ الصليبين هزموا المسلمين في ختام القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، وذلك بسبب التشرذم السياسي، إلاأن المواجهة الحضارية أثبتت غير ذلك فقد تفوّق المسلمون في العديد من المجالات والميادين ومنها الطب بالخصوص وتكرر الأمر مع المغول في دخولهم لبغداد وكانت النتيجة كذلك أن دخلوا في الإسلام وانتشر الإسلام بينهم. ونأمل أن تتكررالإستجابةالتاريخية في وقتناالحاضرردا على التحديات المعاصرة.

وأخيرا لعل من المناسب في ختام هذه الدراسة الوصية بالحاجة إلى توسيع مثل هذه الدراسات الحضارية المتصلة بتاريخ العلوم عند المسلمين والعرب وإنجازاتهم فيها ومنها علم الطب، وإيجاد مراكز بحث متخصصة مع فريق متكامل من المؤرخين والأطباء على السواء لتغطية مثل هذه المواضيع.

هذا وأرجو أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت ولو بقسط في هذا المجال الحضاري.

وآخر دعوانا الحمد الله رب العالمين

المـلاحـق

الملاحق:

الملحق رقم **01**:

– رواتب حاشية الخليفة[1]:

مرتبات جبريل بن بختيشوع طبيب هارون الرشيد: في السنة، وخلال 23 سنة مدة خدمته للرشيد إلى أن توفي الرشيد.

في 23 سنة	**في السنة**	
القيمة بالدرهم	**القيمة بالدرهم**	**من بيت مال العامة**
4 140 000	180 000	120 000 راتب نقدي
		60 000 نزله في الشهر
		من بيت مال الخاصة:
1150000		50 000 راتب نقدي
1150000		50 000 ثياب قيمتها
1150000		50 000 هدية علي عيد صوم النصارى
230 000	420 000	10 000 هدية يوم الشعانين (ثياب)
1150000		50000 هدية علي عيد الفطر نقدا
230000		10 000 هدية علي عيد الفطر (ثياب)
2300000		100 000 لفصد الرشيد دفعتين في السنة كل دفعة (50 000)
2300000		100 000 لشرب الدواء دفعتين في السنة كل دفعة (50 000)
9200000		400 000 أصحاب الرشيد
18400000		800 000 جندي سابور
31200000		1400 000 البرامكة
4288000		الصلات الجسام
72 748 000	**600 000**	**المجمـــــوع**

[1] أنظر/ **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق،** ص 198.

الملحق رقم 02:

التوقيعات والمراسيم:

التوقيع بنظر البيمارستان:

وهذه نسخة توقيع بنظر البيمارستان العتيق (الناصري) الذي رتبه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في بعض قصر الفاطمي وهي:

رسم بالأمر الشريف لازالت أيامه تفيد علاء، وتستخدم أكفاء، وتضفي ملابس النعماء، على كل عليّ فتكسوه بهجة وبهاء أن يستقر فلان في نظر البيمارستان الصلاحي بالقاهرة المحروسة: بالعلوم الشاهدة به الديوان المعمور إلى آخر وقت لكفاءته التي اشتهر ذكرها وأمانته التي صدق خبرها، ونزاهته التي أضحى بها على النفس فغدا بكل ثناء مليّا، ورياسته التي أحلت قدره أسمى رتبه، فلا غرو أن يكون عليا، فليباشر البيمارستان المذكور مباشرة يظهر بها انتفاعه، وتتميز بها أوضاعه، ويضحى عامر الأرجاء والنواحي، ويقول لسان حاله عند حسن نظره وجميل تصرّفه: الآن كما بدأ صلاحي، وليجعل همّته مصروفة إلى ضبط مقبوضة ومصروفة، ويظهر نهضته المعروفة بتشمير ريعه، حتى يتضاعف مداد معروفه، ويلاحظ أحوال من فيه ملاحظة تذهب عنهم البأس، ويراعي مصالح حاله في تنميته وتزكيته حتى لا يزال منه شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، وليتناول المعلوم الشاهد به الديوان المعمور من استقبال تاريخه بعد الخط الشريف أعلاه[1].

---

(1) **القلقشندي: صبح الأعشى**، ج11، ص 268، أنظر / **أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات**، ص 21.

الملحق رقم 03:

توقيع الوزير على بن عيسى بن جراح* إلى سنان بن ثابت الطبيب الحرّاني:

توقيع خاص بالمساجين:

قال ثابت بن سنان بن ثابت بن قرّه** في تاريخه: أذكر، وقد وقع الوزير علي بن عيسى بن الجراح إلى والدي سنان بن ثابت، في أيام تقلده الدواوين من قبل المقتدر بالله وتدبير المملكة في أيام وزارة حامد بن أبي العباس في سنة كثرت فيها الأمراض جدا وكان والدي آنذاك يتقلد البيمارستانات ببغداد وغيرها، توقيعا بقوله فيه: « فكرت مد الله في عُمُرك في الأمراض في الحُبوس، وإنه لا يخلو مع كثرة عددهم وجفاء أماكنهم، أن تنالهم الأمراض وهم معوقون عن التصرف في منافعهم ولقاء من يشاورونه من الأطباء فيما يعرض لهم، فينبغي أن نفرد لهم أطباء يدخلون إليهم في كل يوم، وتُعمل إليهم الأدوية، والأشربة ويطوفون في سائر الحُبوس، ويعالجون فيها المرض، ويزيحون عِللهم فيما يحتاجون إليه من الأدوية والأشربة، ويتقدم بأن تقام لهم المزوّرات لمن يحتاج إليها منهم» فعل والدي ذلك طول أيامه[2].

* ولد سنة 245هـ ، وتوفي سنة 335هـ ، الموافق لـ (859-947م) ، تقلد الدواوين من قبل الخليفة العباسي المقتدر بالله، حكم (295-320هـ-908-932) م.

** كان طبيبا فاضلا يلحق بأبيه في صناعة الطب، وتاريخه الذي عمله، ذكر فيه الوقائع والحوادث التي جرت في زمانه، من أيام المقتدر إلى أيام المطيع له.

(2) **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق،** ص301.

الملحق رقم 04:

توقيع ثاني من الوزير علي بن عيسى بن الجراح إلى سنان بن ثابت:

توقيع خاص بأرض السواد:

ورد توقيع آخر فيه: « فكرت في من السّواد* من أهله، وأنه لا يخلو أن يكون فيه مرضى لا يشرف عليهم متطبّب لخلو السواد من الأطباء، فتقدم مدّ الله في عُمرك بإيفاد متطببين وخزانة من الأدوية والأشربة يطوفون السواد، ويقيمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة إليه، ويعالجون من فيه من المرضى، ثم ينتقلون إلى غيره» فعل سنان ذلك، وانتهى أصحابه إلى سوار**، والغالب على أهلها اليهود، فكتب سنان إلى الوزير على بن عيسى يعرفه ورود كتب أصحابه عليه من السواد، يذكرون فيه كثرة المرض، وأن أكثر من حول نهر الملك يهود؛ وأنهم استأذنوا في المُقام عليهم وعلاجهم، وأنه لا يعلم ما يُجيبهم به، لأنه لا يعرف رأيه فيهم، وأعلمه أن رسم البيمارستان أن يُعالج فيه الملّي والذمّي، ويسأله أن يرسم له في ذلك ما يعمل عليه، فوقع له توقيعا نسخته: «فهمت ما كتبت به، أكرمك الله، وليس بيننا خلاف في أن معالجة أهل الذمّة، والبهائم صواب، ولكن الذي يجب تقديمه والعمل به مُعالجة الناس قبل البهائم، والمسلمين قبل أهل الذمّة، فإذا أفضل عن المسلمين ما لا يحتاجون إليه، صرف في الطبقة التي بعدهم: فاعمل أكرمك الله على ذلك واكتب إلى أصحابك به، ووصّيهم بالتنقل في القرى والمواضع التي فيها الأوبئة الكثيرة والأمراض الفاشية، وإن لم يجدوا بَذرقة*** توقفوا عن المسير حتى تصلح لهم الطريق، ويصحّ السّبيل، فإنهم إن فعلوا هذا وفقوا إن شاء الله تعالى» [1].

* السواد؛ رستاق العراق وضِياعِها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– سمّي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار.

** قال ياقوت: سورا على وزن بشرى موضع بالعراق من أرض بابل وهي مدينة السريانيين أنظر /أحمد عيسى،تاريخ البيمارستانات ،ص12.

*** بذرقةً: أي خفر وأمن أحمد عيسى،المرجع نفسه ص13.

[1] **ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق،** ص301؛ **ابن القفطي: مصدر سابق،** ص 193.

الملحق رقم 05:

إجازة منحت لأحد الجراحين من القرن الحادي عشر الهجري، وصادرة من رئيس الجراحين بدار الشفا المنصوري(قلاوون)[1].

صورة ما كتبه الفقير على ذلك:

بسم الله الرحمن الرحيم

من ممد الكون أستمد العون. الحمد لله الذي جعل لهذه الأمة بالطب المحمدي شفا، وداوى علل أفهامهم بصحيح حديثه بعد ما كانوا في سقم الباطل على شفا. أحمده حمداً يتقوى به الضعيف، وأشكره شكراً وافيًا يكون لنا نعم العلاج عند الحكيم اللطيف. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي جعل الفصد والحجامة للأبدان من أنفع العلاج، إذ بهما... (كلمة مفقودة) قف الحرارة الردية والمزاج. ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي قطع الاشتراك، وعلى آله وأصحابه سادة النساك، الذين جمعوا بالعلم والفصاحة بين الحكمة وفصل الخطاب، وعالجوا زمان الجهل بحسن تدبيرهم فعوفي وحفظ لهم الصحة وطاب.

وبعد فقد وقفت على هذه الرسالة العظيمة، والمقالة الكريمة، الموسومة "ببرء الآلام في صناعة الفصد والحجام" نظم لوذعي زمانه، وألمعي عصره وأوانه: الشمس شمس الدين محمد القيم شهرة، الجِراح صنعه ومهره، التي أصلها للشيخ الفاضل حاوي الفضائل الشيخ شمس الدين محمد الشربيني الجراح. لا زالت شآبيب الرحمة والرضوان على قبره غادية رائحة، وشذا العبهري والريحان من مرقده فائحة، الموسومة " بغاية المقاصد فيما يجب على المفصود والفاصد" إذ هي في هذا الفن أسمى المقاصد. وقد قرأها عليه قراءة إتقان وإمعان، وحل لمشكلات الألفاظ والمعان، فلم ير بدا من أن يبسطها ليتيسر حفظ تلك الفوائد، ولتسهل ضبط تلك القواعد فجاءت بجملة أبهى من نور الأنحار، وأضوأ من نور الأسمار، كالتبر المنسبك أو القطر المنسكب. فقد أجاد ناظمها في تحقيقها، وبذل الجهد في تحريرها وتدقيقها. وأتقن ألفاظ مبانيها. وغاص بحار معانيها، واستخرج الدر الثمين من أصلها، وجمع بين فصلها ووصلها، وصارت تجلى كالعروس لمعانيها. ولقد صارت في هذه الصناعة العمدة والكفاية واعترف لها الكامل أنها المنهاج والهداية. ونسيت بها التذكرة، ولم يبق لهذا العلم تذكرة حميدة. وأحجم عندها كل مهذب بالمكنون، وصرح تأريخ الأطباء أنها نص ما في القانون. فلما ظهرت نتيجة الانتخاب في المسألة والجواب وتغذى ناظم سلكها بالخاص من اللباب، وصارت الخناصر عليها تعقد، وإن كان لساعد الأنصاري* رسالة، فشتان رسالته ورسالة محمد.

---

(1) **أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات**، ص 32 فما بعدها

* هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري المعروف **بابن الأكفاني** المتوفى سنة 749هـ والرسالة تسمى نهاية القصد في صناعة الفصد.

وكانت عين المقصود، ورقمت فيما يجب على القاصد والمقصود، أستحق راقم وشيها وناسج بردها أن يتوج بتاج الإجازة فاستخرت الله تعالى وأجزت له أن يتعاطى على صناعة الجراح، ما أتقن معرفته ليحصل له النجاح والفلاح. وهو أن يعالج الجراحات التي تبرأ بالبط، ويقلع من السنان ما ظهر له من غير شرط. وأن يفصد من الأوردة ويبتر الشرايين وأن يقلع من الأسنان الفاسدة المسوسين (كذا) وأن يلم ما بعد من تفرق الاتصال، بقطان وغير ذلك وطهارة الأطفال. هذا مع مراجعته وخدمته لرؤساء هذا الفن المتبحرين، والمهرة الأساتذة العارفين مع تقوى الله والنصح في الصناعة، ولا يخشى مع ذلك من كساد البضاعة. ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياه لصالح الأعمال، في كل حال ومآل. اللهم إني أسألك من فضلك العظيم مغفرة لذنوبنا وعافية لأبداننا، لا إله غيرك، ولا مرجو إلا خيرك يارب العالمين.

رقمه بقلمه أحقر عباد الفتاح الفقير للحق علي بن محمد بن محمد بن علي الجرّاح خادم الفقراء الضعفاء بدار الشفا بمصر المحروسة ومصليا ومسلما ومحمدا ومحوقلاً ومستغفرا بتاريخ صفر الخير من شهور سنة إحدى عشرة وألف (1602م) من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والحمد لله وحده.

الملحق رقم 06:

وهذه نسخة العهد الذي وضعه أبقراط*

قسم أبقراط[1].

قال أبقراط: إني أقسم بالله رب الحياة والموت، وواهب الصحة، وخالق الشفاء وكل علاج. وأقسم باسقليبيوس. وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعا. وأشهدهم جميعا على أني أفي بهذه اليمين وهذا الشرط. وأرى أن المعلم لي هذه الصناعة بمنزلة آبائي، وأواسيه في معاشي، وإذا أحتاج إلى مال واسيته ووصلته من مالي.

وأما الجنس المتناسل منه فأرى أنه مسار لإخوتي. وأعلّمهم هذه الصناعة إن احتاجوا إلى تعلمها بغير أجرة ولا شرط. وأشرك أولادي وأولاد المعلم لي والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط أو حلفوا بالناموس الطبي في الوصايا والعلوم وسائر ما في الصناعة. وأما غير هؤلاء فلا أفعل به ذلك، وأقصد في جميع التدابير، بقدر طاقتي، منفعة المرضى.

وأما الأشياء التي تضرّ بهم وتُدني منهم بالجور عليهم فامنع منها بحسب رأيي. ولا أعطي إذا طلب مني دواء قتالا، ولا أضير أيضا بمثل هذه المشورة. وكذلك أيضا لا أرى أن أدني من النسوة فَرْزَجة**. تسقط الجنين. وأحفظ نفسي في تدبيري وصناعتي على الزكاة والطهارة، ولا أشق أيضا في مثانته حجارة، ولكن أترك ذلك إلى من كانت حرفته هذا العمل. وكل المنازل التي أدخلها إنما أدخل إليها المنفعة المرضى، وأنا مجال خارجة عن كل جور وظلم وفساد إراديّ مقصود إليه في سائر الأشياء، وفي الجماع للنساء والرجال، الأحرار منهم والعبيد. وأما الأشياء التي أعانيها في أوقات علاج المرضى أو أسمعها، في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس من الأشياء التي لا ينطق بها خارجا فأمسك عنها، وأرى أن أمثالها لا ينطق به.

فمن أكمل هذه اليمين ولم يفسد شيئا كان له أن يكمل تدبيره وصناعته على أفضل الأحوال وأجملها، وأن يحمده جميع الناس فيما يأتي من الزمان دائما، ومن تجاوز ذلك كان بضده.

* ويدعى قسم أبقراط.

(1) أنظر/**ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق**، ص 45.

** شيء يتداوى به النساء.

الملحق رقم07:

وقفية السلطان قلاوون على البيمارستان المنصوري

ديباجة وقفية السلطان الملك المنصور قلاوون[*] :

هذا كتاب وقف صحيح شرعي، وحبس صريح مرضي، أمر بتسطيره وإنشائه وتحريره، مولانا وسيدنا السلطان الأعظم السيد الأجل الملك المنصور العالم العادل، الكافي الكامل، المؤيد المظفر، الهمام غياث الأنام، سيف الدنيا، سلطان الإسلام والمسلمين، قامع الكفرة والمشركين، قاهر الخوارج والمتمردين، محيي العدل في العالمين، منصف المظلومين من الظالمين، ملك البحرين خادم الحرمين الشريفين، أبو المظفر قلاوون الصالحي قسيم أمير المؤمنين سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والأقاليم والقلاع والحصون، خلد الله ملكه وجعل الأرض بأسرها ملكه، وجدد له في كل يوم نصرا وملكه بساط الأرض برا وبحرا. وأشهد على نفسه الشريفة – صانها من كل محذور، وبلغها ما تؤمله في سائر الأوقات و الدهور– بما تضمنه هذا المكتوب وأشتمل عليه ونسب فيه الإشهاد إليه. وهو أنه – خلد الله ملكه وسلطانه، وأفاض على كافة الرعايا عدله وإحسانه – وقف وحبس وسبّل وحرّم وأبّد وتصدق بجميع ما هو له– خلد الله ملكه– وفي يده وملكه وتصرفه وهو جميع الربع الكامل المعروف بالعلمي أرضا وبناء الذي هو بالقاهرة المحروسة بالقرب من قيسارية جهاركس... إلخ ما وقفه من أملاكه وتراثه ندعه ونبدأ بشروط الواقف قال:....أما بعد، فإن أحق ما انتهزت فرص أجره العزائم، وأحرزت مواهب بره الغنائم، وأجدر ما تنبه لاغتنام ثوابه كل نائم، وأولى ما توجه إليه كل متوجه وقام إليه كل قائم، ما عادت بالخيرات عوائده، وزادت في المسرات زوائده، واستمرت على الآباء فوائده، واستقرت على التقوى بتطاول الآمال قواعده، وهي الأوقاف العميم برها، المقيم أجرها، الجسيم وفرها، الكريم ذخرها، فهي الحسنات التي هي أثمان الجنان، والقربات التي فيها رضوان الرحمن، والصدقات التي هي مهور الحور الحسان، والنفقات التي هي بحور الأجور لا اللؤلؤ والمرجان.

ولا يخفى ما فيها من إدخال السرور على المريض الفقير، وإيصال الحبور إلى قلبه الكسير، وإغنائه بإيوائه ومداواته، الذي لا يعبر عن وفور أجرها بتعبير، فطوبى لمن عامل مولاه العزيز الغفار، وراقبه مراقبة العالم بسره ونجواه في الإيراد والإصدار، وأقرضه أحسن القروض على حسب الإمكان والاقتدار. وأنتهز الفرصة بالاستباق وأحرز باغتنام أجرها قصب السباق، فساعد الفقير المسلم على إزالة ألمه، ومداواة سقمه مساعدة تنجيه غدا من عذا

---

[*] تعتبر من الوثائق التاريخية الثمينة التي قل أن يجود الزمان بمثلها لطول العهد وتغير الأحوال، وهي من المصادر التي يستعان بها في تحقيق أحوال ذلك الزمان ومعرفة ما بلغته مصر من الرقي والمدنية. وقد كانت هذه الوثيقة في حكم المفقود فقد ذكر "الجبريتي" المتوفى سنة (1240هـ/1825م) أن هذه الوثيقة قد احترقت: ومن حسن الحظ أن المرحوم إبراهيم باشا نجيب إدارة ديوان الأوقاف عثر على هذه الوثيقة في محفوظات الديوان. وقد نسخ منها المرحوم أحمد زكي باشا نسخة وقد أعارها لأحمد عيسى بك وتتكون الوقفية من أربع وقفيات تمت ثلاثة منها عهد قلاوون والرابعة عهد الأمير عبد الرحمن كتخذا المملوكي، وهذه ديباجة الوقفية الخاصة بالبيمارستانات فقط، أنظر: **أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات** ، ص 88 فما بعدها بعدة صفحات.

ربه الخلاق ورجاء أن تكون له بها عند الله الرتبة العظمى، والقربة التي لا يخاف بأجرها ظلما ولا هضما، والحسنة التي لا تبقى لذنبه غما.ولما علم بذلك مولانا السيد الأجل السلطان الملك المنصور العالم العادل...

فتقدم أمره الشريف، العالي المنيف، إلى ولي دولته، وغذي نعمته والمتشرف بخدمته، والمخصوص في هذا الوقف بوكالته، الجناب العالي الأمري الأجلي الأوحدي الكبيري المؤيدي المجاهدي المقدمي العضدي النصري العزي عز الدين، عز الإسلام ذخر الأنام، مقدم الجيوش نصرة المجاهدين عضد الملوك والسلاطين أبي سعيد أيبك بن عبد الله الملكي الصالحي النجمي المعروف بالأفرم أمير جاندار الملكي المنصوري السيفي أدام الله نعمته، أن يقف عنه خلد الله ملكه ويحبس ويسبل جميع ما هو جار في ملك مولانا السلطان الملك المنصور... جميع أراضي البستان... الذي ذلك بظاهر القاهرة خارج بابي الشعرية والفتوح غربي الجامع الظاهري المستجد العامر بذكر الله... على ما نص مولانا السلطان المنصور الموقوف عنه بإذنه المذكور خلد الله مملكته على بيانه وذكر تعيينه ذكرا مصدقا خبره لعيانه، وشرح مصارفه شرحا يبقى على الأبد وترادف زمانه؟ وبين شروطه بيانا لا ينقضي بانقضاء أوانه، من مصالح البيمارستان المبارك المنصوري المستجد إنشاؤه، والبديع بناؤه، والمعدوم في الآفاق مثاله، والمشهور في الأقطار حسن وصفه وجماله، لقد أعجز همم الملوك الأول، وحوى كل وصف جميل واكتمل وحدَّث عنه العيان والخبر، ودل على علو الهمة فيه كالسيف دلّ على التأثير بالأثر؛ من أكحال تكون فيه معدة للسبيل، وأشربة تحلو كالسلسبيل، وأطباء تحضره في البكرة والأصيل، وغير ذلك مما يشفي السقيم ويبري العليل، وفروش وأوان، وقومة وخدام ومطعوم ومشروب ومشموم مستمرا أبدا على الدوام وسيأتي بيان ذلك فيه مفصلا مبينا، ومشروحا معينا.

وهذا المارستان المذكور بالقاهرة المحروسة بين القصرين بخط المدارس الكاملية والصالحية والظاهرية، ورحم الله واقفيها على يمنة السالك من المدرسة الكاملية إلى باب الزهومة وفنادق الطواشي شمس الخواص مسرور رحمه الله، وفندقي الحجر والفاكهة والحريريين

والسقطيين والشرابشيين وغير ذلك، وإلى بسرة السالك من ذلك إلى المدرسة الكاملية والجامعي الأصغر والأنور... ويتوصل إلى هذا المارستان المذكور من الباب الكبير المبني بالرخام المفصوص، المقابل لباب 274 التربة الصالحية النجمية رحم الله واقفها المدخول منه إلى الدهليز المستطيل المسلوك منه إلى القبة المباركة التي على يمنه الداخل فيه وإلى المدرسة التي هي بالعلم الشريف معظمة... وهذا المارستان هو الذي وقفه مولانا السلطان الملك المنصور الموكل الموقوف عنه خلد الله ملكه بيمارستان لمداواة مرضى المسلمين الرجال والنساء من الأغنياء المثرين والفقراء المحتاجين بالقاهرة ومصر وضواحيها من المقيمين بها والواردين إليها من البلاد والأعمال على اختلاف أجناسهم وأوصافهم وتباين أمراضهم وأوصابهم، من أمراض الأجسام قلت أو كثرت أفقت أو اختلفت، وأمراض الحواس خفيت أو ظهرت، واختلال العقول التي حفظها أعظم المقاصد والأغراض، وأول ما يجب الإقبال عليه دون الانحراف عنه والإعراض، وغير ذلك مما تدعو حاجة الإنسان إلى صلاحه وإصلاحه بالأدوية والعقاقير المتعارفة عند أهل صناعة الطب والانشغال فيه بعلم الطب والاشتغال به، يدخلونه جموعا ووحدانا وشيوخا وشبانا، وبلغاء

وصبيانا، وحرما وولدانا، يقيم به المرضى الفقراء من الرجال والنساء لمداواتهم إلى حين برئهم وشفائهم ويصرف ما هو معد فيه للمداواة، ويفرق للبعيد والقريب، والأهلي والغريب، والقوي والضعيف، والدني والشريف، والعلي والحقير، والغني والفقير، والمأمور والأمير، والأعمى والبصير. والمفضول والفاضل، والمشهور والخامل والرفيع والوضيع، والمترف والصعلوك، والمليك والمملوك، من غير اشتراط لعوض من الأعواض، ولا تعويض بإنكار على ذلك ولا اعتراض، بل لمحض فضل الله وطوله الجسيم، وأجره الكريم وبره العميم، لينتفع بذلك... فقبل هذا الوكيل المذكور هذا التوكيل قبولا صحيحا سائغا شرعيا، ووقف بإذن مولانا السلطان الملك المنصور الموكل المذكور خلد الله مملكته، وحبس عنه المارستان المستجد المنصوري المحدود أعلاه، وعلى من يقوم بمصالح المرضى به من الأطباء والكحالين والجرائحيين وطباخي الشراب والمزاور والطعوم وصانعي المعاجين والأكحال والأدوية والمسهلات المفردة والمركبة، وعلى القومة والفراشين والخزان والأمناء والمباشرين وغيرهم ممن جرت عادة أمثالهم بذلك. وعلى ما يقوم بمداواة المرضى من الأطعمة والأشربة والأكحال والشيافات والمعاجين والمراهم والأذهان والشربات، والأدوية المركبة، والمفردة، والفرش والقدور والآلات المعدة للانتفاع بها في مثله. وسيأتي ذكر ذلك مفصلا فيه مبينا ومشروحا معينا، على أن الناظر في هذا الوقف والمتولي عليه يؤجر العقار من هذا الوقف المذكور وما شاء منه بنفسه أو بنائبه مدة ثلاث سنين فما دونها بأجرة المثل فما فوقها ويؤجر الأراضي مدة ثلاثة سنين فما دونها بأجرة المثل فما فوقها ولا يدخل عقدا على عقد ولا يؤجره لمتشرد ولا لمتعزز، ولا لمن تخشى سطوته، ولا لمن ينسى الوقف في يده، ويبدأ من ذلك بعمارة ما يجب عمارته في الوقف والبيمارستان، المذكور ذلك فيه من إصلاح وترميم أو بناء هديم، على وجه لا ضرر فيه ولا ضرار ولا إجحاف بأحد في جد ولا إضرار، وبتخير الناظر في حصيل ربع هذا الوقف وحسن الحال على حسب الإمكان ويطلب ذلك حيث كان في جهة ومكان، بحيث لا يفرط ولا يفرط ولا يخرج في سلوكه عن السنين المتوسطة ولا يهمل حقا معينا ولا يغفل عن أمر يكون صلاحه بينا، لتكون هذه الصدقة طيبة مقبولة وهذا السعي يرجو مولانا السلطان الملك المنصور – خلد الله ملكه – به من ربه قَبوله فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما ورد عنه من الأخبار الصحيحة المنقولة: إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له ثم ما فضل بعد ذلك صرف منه الناظر ما يرى صرفه لمن يتولى إنجاز ذلك واستخراج أجرته وعمارته وصرف ريعه في وجوهه المشترطة فيه وتفرقة أشربته وأدويته من شدّ وناظر ومشارف ومشاهد وكاتب وخازن، ويصرف لكل منهم من ريع هذا الوقف أجرة مثله عن تصرفه في ذلك وفعله، ولا يولي الناظر في هذا الوقف يهوديا ولا نصرانيا ولا يمكنه من مباشرة شيء من هذا الوقف بل يكون المتولي مسلما ظاهر الأمانة عارفا بأنواع الكتابة، كافيا فيما يتولاه موصوفا بدينه ودرايته وخبرته ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف، ثمن ما تدعوا حاجة المرضى إليه، من سرر حديد أو خشب على ما يراه مصلحته ولحف محشوة قطنا وطواريح محشوة بالقطن أيضا، وملاحف قطن ومخاد طرح أو أدم محشوة على ما يراه ويؤدي إليه اجتهاده وهو مخير بين أن يفصل كل نوع

من ذلك ويصرف أجرة خياطته وعمله وثمن حشوه وبين أن يشتري ذلك معمولا مكملا فيجعل لكل مريض من الفرش على حسب حاله وما يقتضيه مرضه عاملا في حق كل منهم بتقوى الله وطاعته باذلا جهده وغاية نصيحته، فهم رعيته وكل مسئول عن رعيته ويصرف الناظر في هذا الوقف ثمن سكر يصنعه أشربة مختلفة الأنواع، ومعاجين وثمن ما يحتاج إليه لأجل ذلك من الفواكه والخماير، رسم الأشربة وثمن ما يحتاج إليه من أصناف الأدوية والمعاجين والعقاقير والمراهم والأكحال والشيافات والذرورات والأدهان والسفوفات والدرياقات والأقراص وغير ذلك يصنع كل صنف في وقته وأوانه، ويذخره تحت يده في أوعية معدة له، فإذا فرغ استعمل مثله من ريع هذا الوقف ولا يصرف من ذلك لأحد شيئا إلا بقدر حاجته إليه ولا يزيده عليها، وذلك بحسب الزمان وما تدعوا الحاجة إليه بحسب الفصول وأوقات الاستعمال ويقدم في ذلك الأحوج فالأحوج من المرضى والمحتاجين والضعفاء والمنقطعين والفقراء والمساكين ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف ما تدعوا حاجة المرضى إليه من مشموم في كل يوم، وزبادي فخار برسم أغذيتهم وأقداح زجاج وغرار برسم أشربتهم وكيزان وأباريق فخار وقصاري فخار وزيت للوقود عليهم، وبماء من بحر النيل المبارك برسم شربهم وأغذيتهم و... لأجل تغطية أغذيتهم عند صرفها عليهم وفي ثمن مراوح خوص لأجل استعمالهم إياها في الحرّ ويصرف الناظر ثمن ذلك من ريع هذا الوقف في غير إسراف ولا إجحاف ولا زيادة على ما يحتاج إليه كل ذلك بحسب ما تدعو الحاجة لزيادة الأجر والثواب ويصرف الناظر في هذا الوقف لرجلين مسلمين موصوفين بالديانة والأمانة يكون أحدهما خازنا لمخزن حاصل التفرقة، يتولى تفرقة الأشربة والأكحال والأعشاب والمعاجين والأذهان والشيافات، المأذون له في صرف ذلك من المباشرين، ويكون الآخر أمينا يتسلم صبيحة كل يوم وعشيته أقداح الشراب المختصة بالمرضى والمختلين من الرجال والنساء المقيمين بهذا المارستان، ويفرق ذلك عليهم ويباشر شرب كل منهم لما وصف له من ذلك. ويباشر المطبخ بهذا المارستان وما يطبخ به للمرضى من مزاور ودجاج وفراريج ولحم وغير ذلك، ويجعل لكل مريض ما طبخ له في يوم في زبدية منفردة له من غير مشاركة مع مريض آخر ويغطيها ويوصلها إلى المريض إلى أن يتكامل إطعامهم ويستوفي كل منهم غذاءه وعشاءه وما وصف له بكرة وعشية. ويصرف الناظر لكل منهما من ريع هذا الوقف ما يرى صرفه إليه من غير حيف ولا شطط. وللناظر الشهادة عليهما في العدة إذا لم يكفيا ما اشترط عليهما مباشرته ويصرف له أجرة مثله من ريع هذا الوقف ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف لمن ينصبه بهذا المارستان من الأطباء المسلمين الطبائعيين والكحالين والجرائحيين بحسب ما يقتضيه الزمان وحاجة المرضى وهو مخبر في العدة وتقرير الجامكيات ما لم يكن في ذلك حيف ولا شطط يباشرون المرضى والمختلين الرجال والنساء وبهذا المارستان مجتمعين ومتناوبين باتفاقهم على التناوب، أو بإذن الناظر في التناوب، ويسألون عن أحوالهم وما يتجدد لكل منهم من زيادة مرض أو نقص ويكتبون بما يصلح لكل مريض من شراب وغذاء وغيره، في دستور ورق ليصرف على حكمه، ويلتزمون المبيت في كل ليلة بالبيمارستان مجتمعين أو متناوبين ويجلس الأطباء الكحالون لمداواة أعين الرمداء بهذا المارستان ولمداواة من يرد إليهم به من المسلمين بحيث لا يرد أحد من المسلمين

الرمداء من مداواة عينه بكرة كل يوم ويباشرون المداواة ويتطلفون فيها ويرفقون بالرمداء في ملاطفتهم وإن كان بينهم من به قروح أو أمراض في عينه تقتضي مراجعة الكحال للطبيب الطبائعي، راجعه وأحضره معه وباشر معه من غير انفراد عنه ويراجعه في أحوال برئه وشفائه ويصرف الناظر في هذا الوقف لمن بنصبه شيخا للاشتغال عليه بعلم الطب على اختلافه يجلس بالطبة الكبرى المعينة له في كتاب الوقف المشار إليه في الأوقات التي يعينها له الناظر ما يرى صرفه إليه وليكن جملة أطباء البيمارستان المبارك من غير زيادة عن العدد ويصرف الناظر مع ربع هذا الوقف للقومة والفراشين الرجال والنساء بهذا البيمارستان ما يرى صرفه إلى كل بحسب عمله على أن كلا منهم يقوم بخدمة المرضى والمختلين الرجال والنساء بهذا البيمارستان ويغسل ثيابهم وتنظيف أماكنهم وإصلاح شؤونهم والقيام بمصالحهم على ما يراه من العدة والتقرير بحيث لا يزيد في العدة ولا في المقادير على الحاجة إليه وفي ذلك بحسب الزمان والمكان ويصرف الناظر ما تدعوا الحاجة إليه في تكفين من يموت بهذا المارستان من المرضى والمختلين الرجال والنساء، فيصرف ما يحتاج إليه برسم غسله وثمن كفنه وحنوطه وأجرة غاسله وحافر قبره ومواراته في قبره على السنة النبوية والحالة المرضية، ومن كان مريضا في بيته وهو فقير كان للناظر أن يصرف إليه ما يحتاج إليه من حاصل هذا المارستان من الأشربة والأدوية والمعالجين وغيرها من عدم التضييق في الصرف على من هو مقيم به، فإن مات بين أهله صرف إليه الناظر في موته بتجهيزه وتغسيله وتكفينه وحمله إلى مدفنه ومواراته في قبره ما يليق بين أهله، وليس للناظر في هذا الوقف أن ينزل بهذا المارستان من المرضى ولا من المختلين ولا من الأطباء ولا من المباشرين ولا من أرباب الوظائف بهذا المارستان يهوديا ولا نصرانيا فإن فعل شيئا من ذلك أو أذن فيه ففعله مردود وإذنه فيه غير معمول به، وقد باء بسخطه وإثمه. ومن حصل له الشفا والعافية ممن هو مقيم بهذا المارستان المبارك صرف الناظر إليه من ربع هذا الوقف المذكور كسوة مثله على العادة، بحسب الحال من غير زيادة تقتضي التضييق على المرضى والقيام بمصالحهم، كل ذلك على ما يراه ويؤدي إليه اجتهاده بحسب ما تدعوا إليه الحاجة ويحصل منه مزيد الأجور لمولانا السلطان الملك سيف الدنيا والدين، أعز الله به الدين وأمتع ببقائه الإسلام والمسلمين فإن نقص ربع الوقف المذكور عن استيعاب المصارف المذكورة أعلاه، قدم الناظر صرف الأهم فالأهم من ذلك، من الأطعمة والأشربة والأدوية والسفوفات والمعاجين ومداواة الرمد، وتقديم الأحوج بحسب ما تقتضيه المصلحة وزيادة الأجور والثواب. وعلى الناظر في هذا الوقت أن يراعي تقوى الله سبحانه وتعالى سرا وجهرا، ولا يقدم صاحب جاء على ضعيف ولا قويا على ما هو أضعف منه ولا متأهلا على غريب، بل يقدم في الصرف إليه زيادة الأجور والثواب والتقرب إلى رب الأرباب، فإن تعذر الصرف والعياذ بالله تعالى إلى الجهات المذكورة أو إلى شيء منها كان ذلك مصروفا إلى الفقراء والمساكين من المسلمين أينما كانوا وحيث ما وجدوا وجعل هذا الجناب العالي الأميري العزي الوكيل الواقف بإذن موكله مولانا السيد الأجل السلطان الملك المنصور.

ثم من بعده رزقه الله أطول الأعمار وملكه سائر النواحي والأقطار للأمثل فالأمثل ومن أولاده وأولاد أولاده وإن سفلوا ثم للأمثل فالأمثل من عتقاء مولانا السلطان الملك المنصور المسمى أعز الله أنصاره وإذا انقرضوا كان النظر في ذلك لحاكم المسلمين الشافعي المذهب بالقاهرة ومصر المحروسة، ثم من بعده لمن يوجد من حكام المسلمين يوم ذلك على اختلاف مذاهبهم... وصار جميع ما وصف وحدد بعاليه وقفا محرما بحرمات الله الأكيدة التي هي أجمع للتحريم، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر ويعلم أنه إلى ربه صائر من سلطان أو وزير، أو مشير أو قاضي أو محتسب أو وكيل بيت مال، أو أمير أم آمر، نقض هذا الوقف ولا نقض شيء منه ولا تعطيله ولا فسخه ولا تحويله ولا السعي في إبطال شيء منه ولا الاعتراض إليه ولا إخراجه عن سبيله فمن فعل ذلك أو أعان عليه أو سعى فيه... وقعت الشهادة عليه بعد قراءته بتاريخ اليوم المبارك يوم الثلاثاء الثاني عشر من شهر صفر المبارك من شهور سنة خمس وثمانين وستمائة، الله يقضيها بخير وحسبنا الله ونعم الوكيل الشهود وهم ثمانية...وبذلك أشهد.. وبذلك أشهد يوسف بن سليمان محمد بن محمد... محمد بن عبد العزيز بن أحمد ابن عمر بن اللهيب؟ ..وبذلك أشهد...وبذلك أشهد محمد بن محمد بن عبد العزيز بن رشيق عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن الشافعي إسماعيل بن الحسن الأنصاري محمد بن محمد بن محمد البكري الحسيني علي بن عبد العزيز بن علي .

الملحق رقم 08:

بيمارستانات المغرب:

1- **بيمارستانات تونس:** في تونس بالقرب من سيدي محرز، لا يزال موجودا لكنه قد تغيرت معالمه، ويرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر الميلادي[1].

- ومن الأطباء الذين عملوا به: محمد الشريفي الزكراوي، نسبة إلى جده أبو زكريا الفاسي نزيل تونس وبها توفي سنة (874هـ/1470م).

2-بيمارستان مراكش: أو بيمارستان أمير المؤمنين المنصور أبي يوسف من ملوك الموحدين بالمغرب، بنى بمدينة مراكش مارستانا[1].

من الأطباء الذين عملوا في هذا المارستان:

- أبو إسحاق إبراهيم الداني، كانت له عناية بالغة بصناعة الطب وأصله من بجاية.

- محمد بن قاسم: بن أبي بكر القرشي المالقي نزيل غرناطة، قال ابن الخطيب: كان بارع الكتابة والنظم حسن النادرة عارفا بالطب ولي النظر على البيمارستان بفاس ومات وسط سنة (757هـ/1356م).

3- بيمارستان سلا: كان أحمد بن محمد بن عمر بن عاشر الأنصاري الأندلسي قد اشتهر بالطب في بلاد المغرب وداوى المرضى ولما توفي دفن بالقرية المسماة باسمه وأنشئ بالقرب من قبره مارستان[2].

ثانيا: بيمارستانات الأندلس:

-بيمارستان غرناطة: كان هذا المارستان لا يبلغ في الاتساع والإحكام في البناء مبلغ مارستان قلاوون بالقاهرة. لكنه كان مرتبا في بساطته أنيقا في تفاصيله، حول إلى دار ضرب السكة. بعد سقوط غرناطة سنة (897هـ/1492م)[3].

---

[1] **أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات**، ص 195.

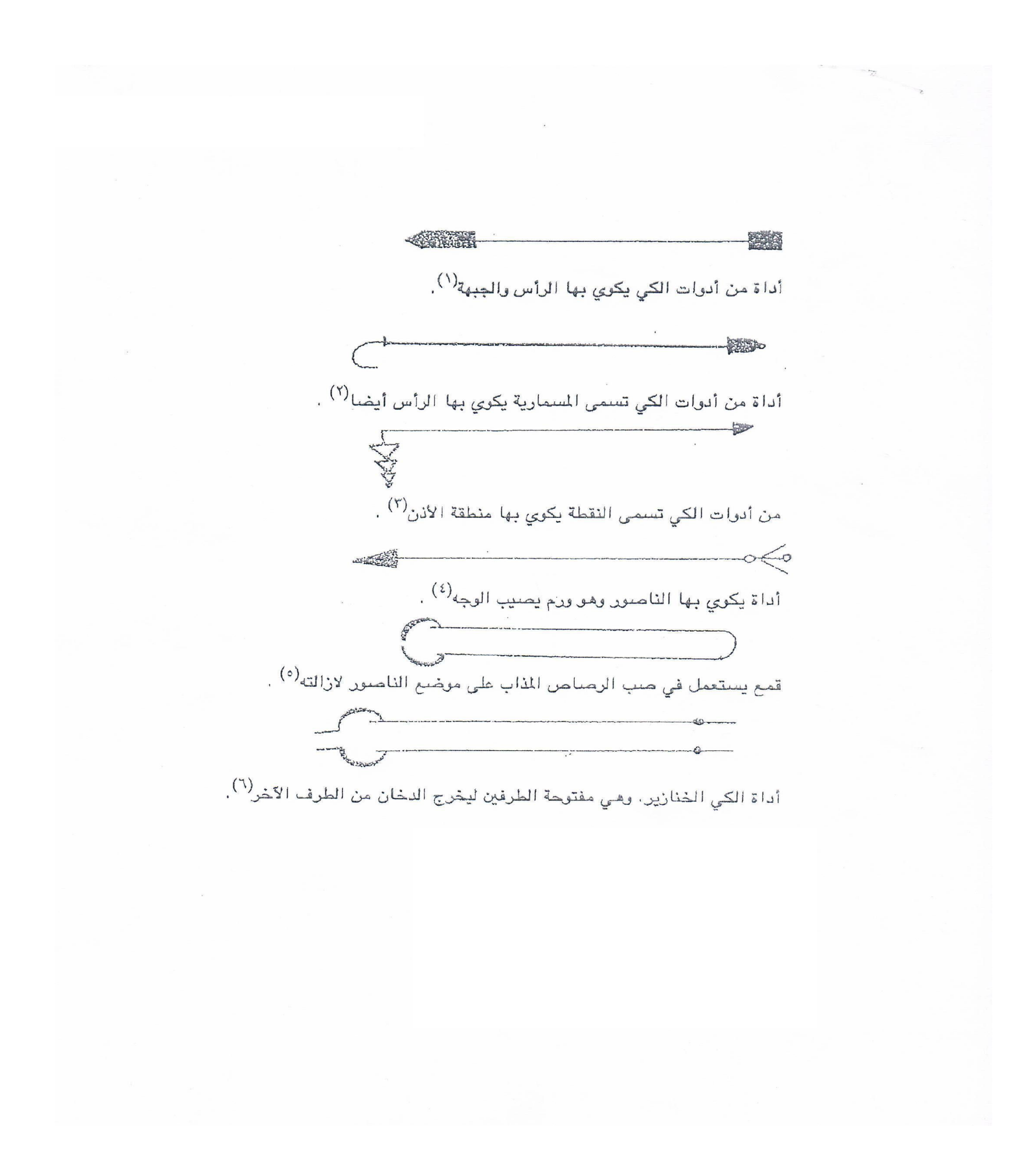
[1] **راغب السرجاني: مرجع سابق**، ص 80؛ **أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات**، ص 196.

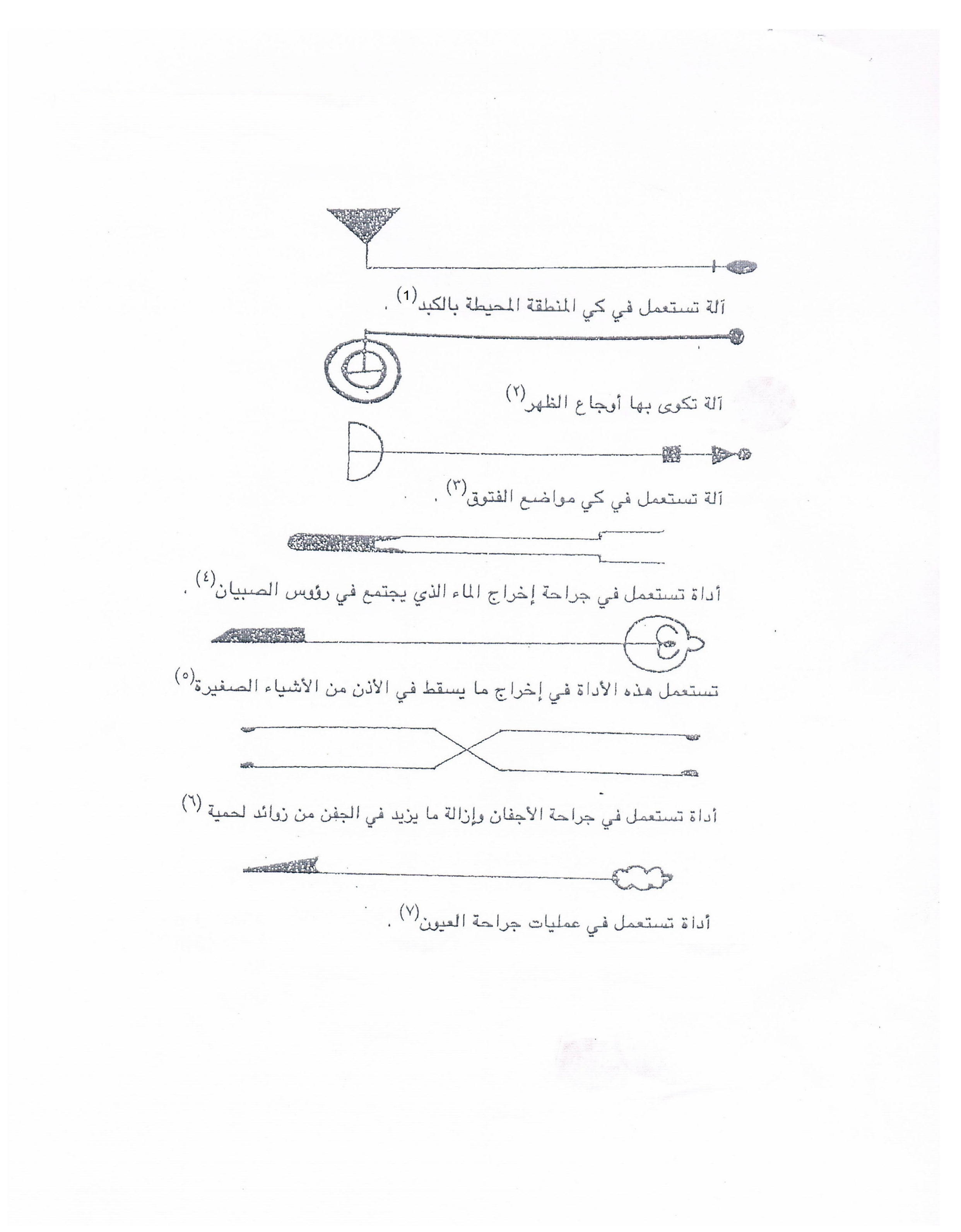
[2] **المصدر نفسه**: ص 197.

[3] **المصدر نفسه**: ص ص 201-202.

الملحق رقم 09:

- **ملحق الآلات الجراحية**:بعض الآلات الجراحية التي استعملها الجراحون العرب ومسلمون في العمليات الجراحية (صور، نقلا عن **البشري، سعد عبد الله صالح**، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس)، (نقلا عن الزهراوي. مخطوط التصريف لمن عجز عن التأليف).

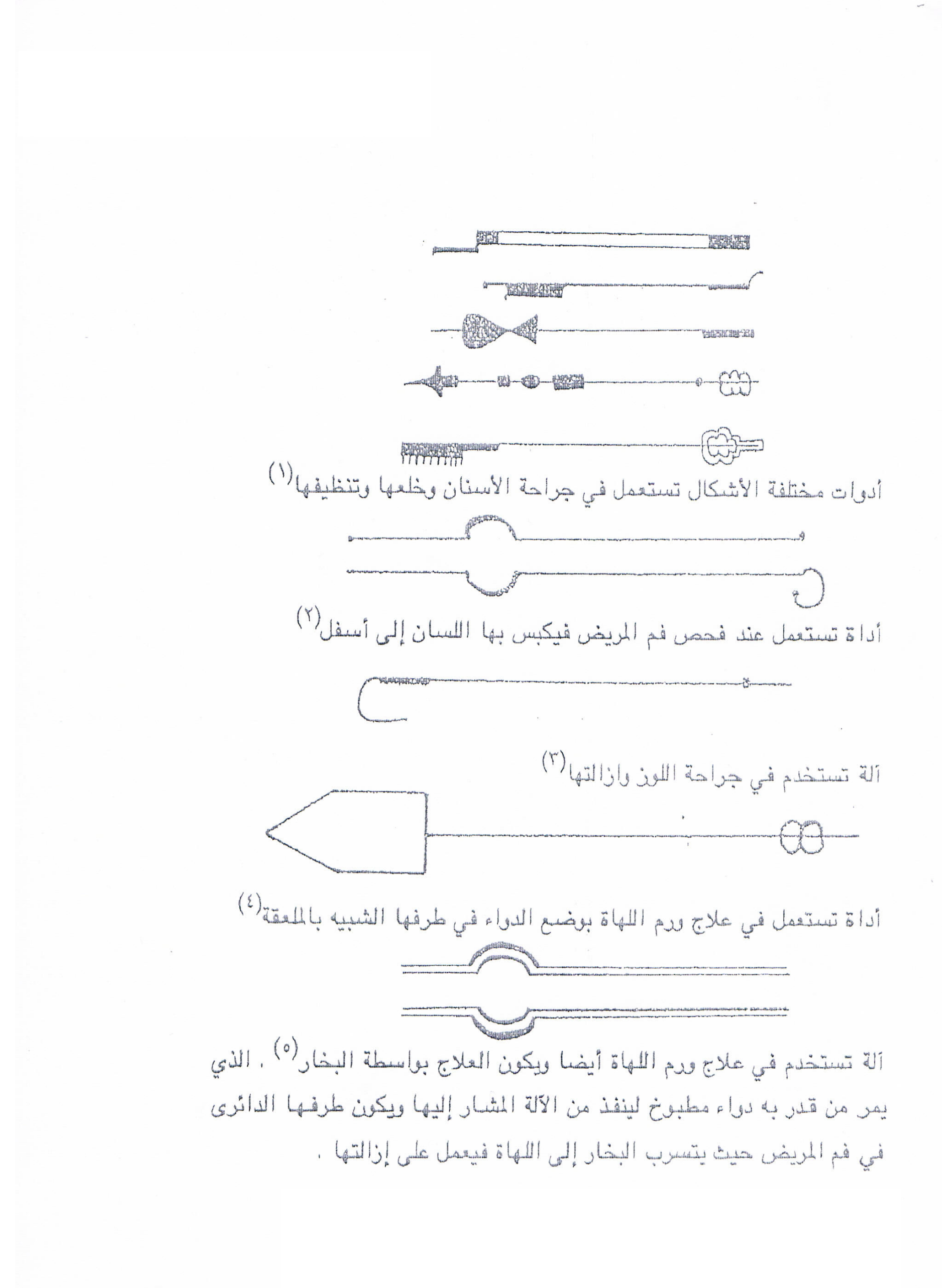




نقلا عن الزهراوي: التصريف لمن عجز عن التأليف.



نقلا عن الزهراوي: التصريف لمن عجز عن التأليف.



أدوات مختلفة الأشكال تستعمل في جراحة الأسنان وخلعها وتنظيفها[١]

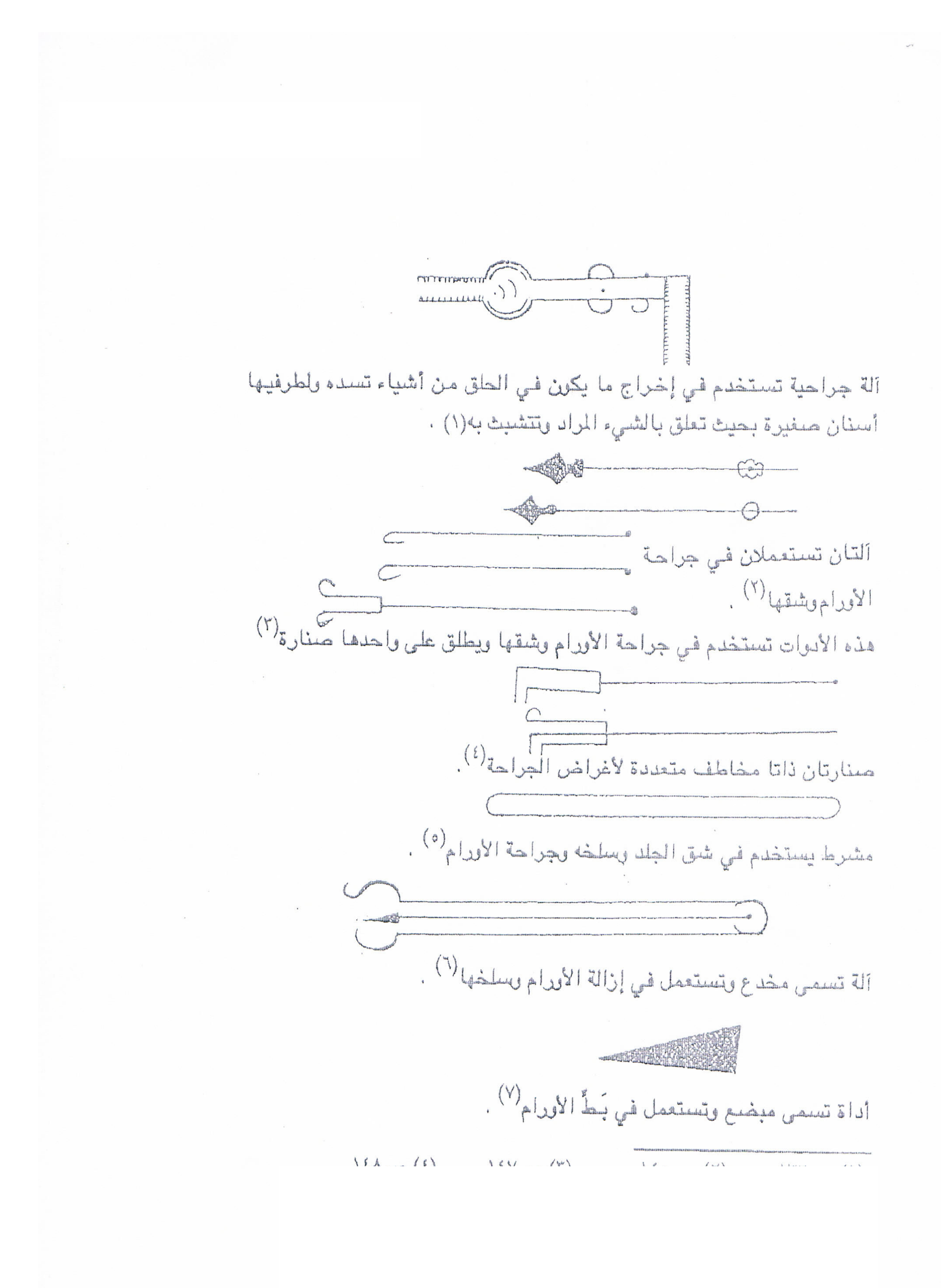
أداة تستعمل عند فحص فم المريض فيكبس بها اللسان إلى أسفل[٢]

آلة تستخدم في جراحة اللوز وإزالتها[٣]

أداة تستعمل في علاج ورم اللهاة بوضع الدواء في طرفها الشبيه بالملعقة[٤]

آلة تستخدم في علاج ورم اللهاة أيضا ويكون العلاج بواسطة البخار[٥] . الذي يمر من قدر به دواء مطبوخ لينفذ من الآلة المشار إليها ويكون طرفها الدائرى في فم المريض حيث يتسرب البخار إلى اللهاة فيعمل على إزالتها .

نقلا عن الزهراوي: التصريف لمن عجز عن التأليف.


آلة جراحية تستخدم في إخراج ما يكون في الحلق من أشياء تسده ولطرفيها أسنان صغيرة بحيث تعلق بالشيء المراد وتتشبث به(١) .

آلتان تستعملان في جراحة الأورام وشقها(٢) .

هذه الأدوات تستخدم في جراحة الأورام وشقها ويطلق على واحدها صنارة(٣)

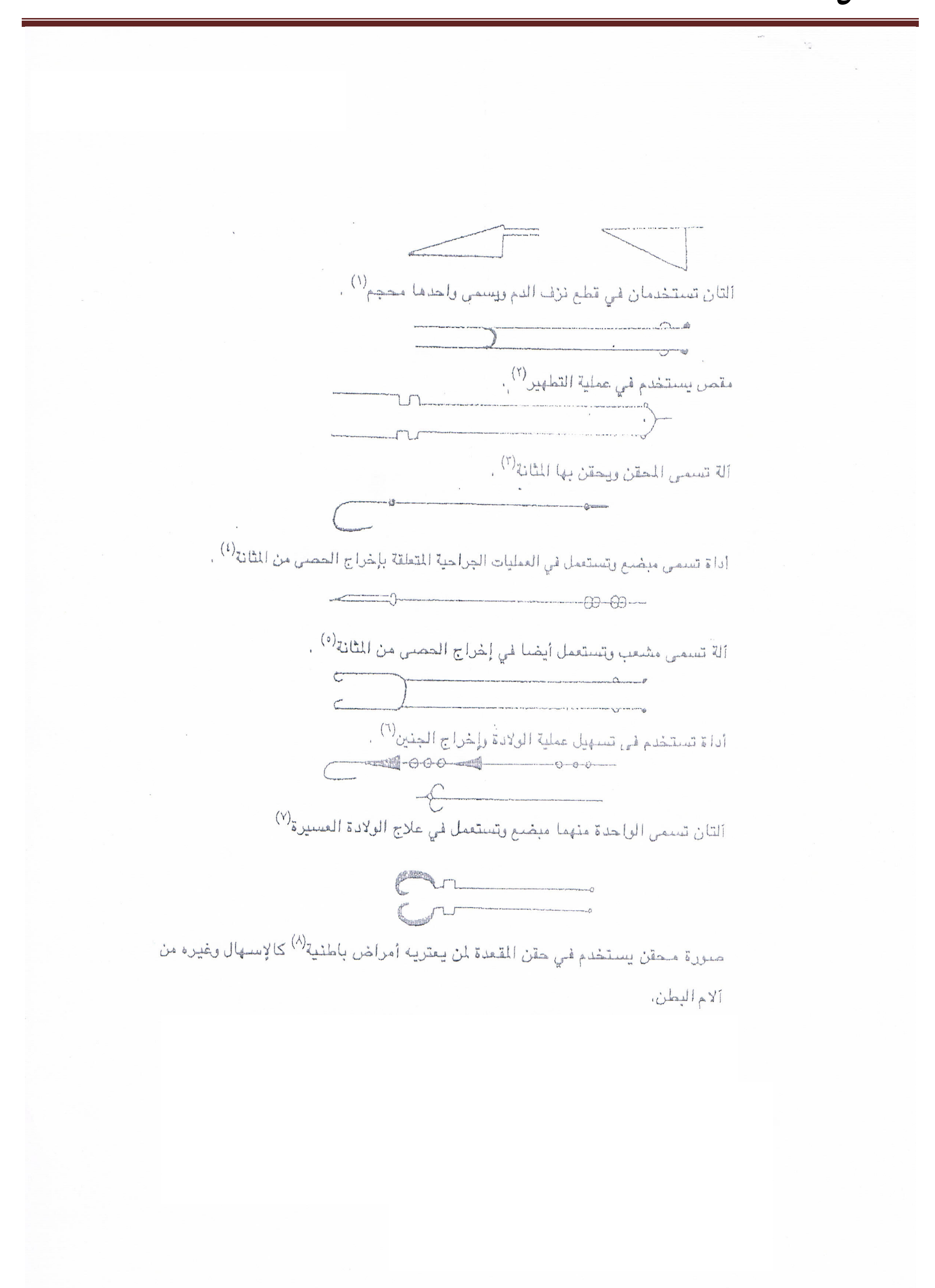
صنارتان ذاتا مخاطف متعددة لأغراض الجراحة(٤).

مشرط يستخدم في شق الجلد وسلخه وجراحة الأورام(٥) .

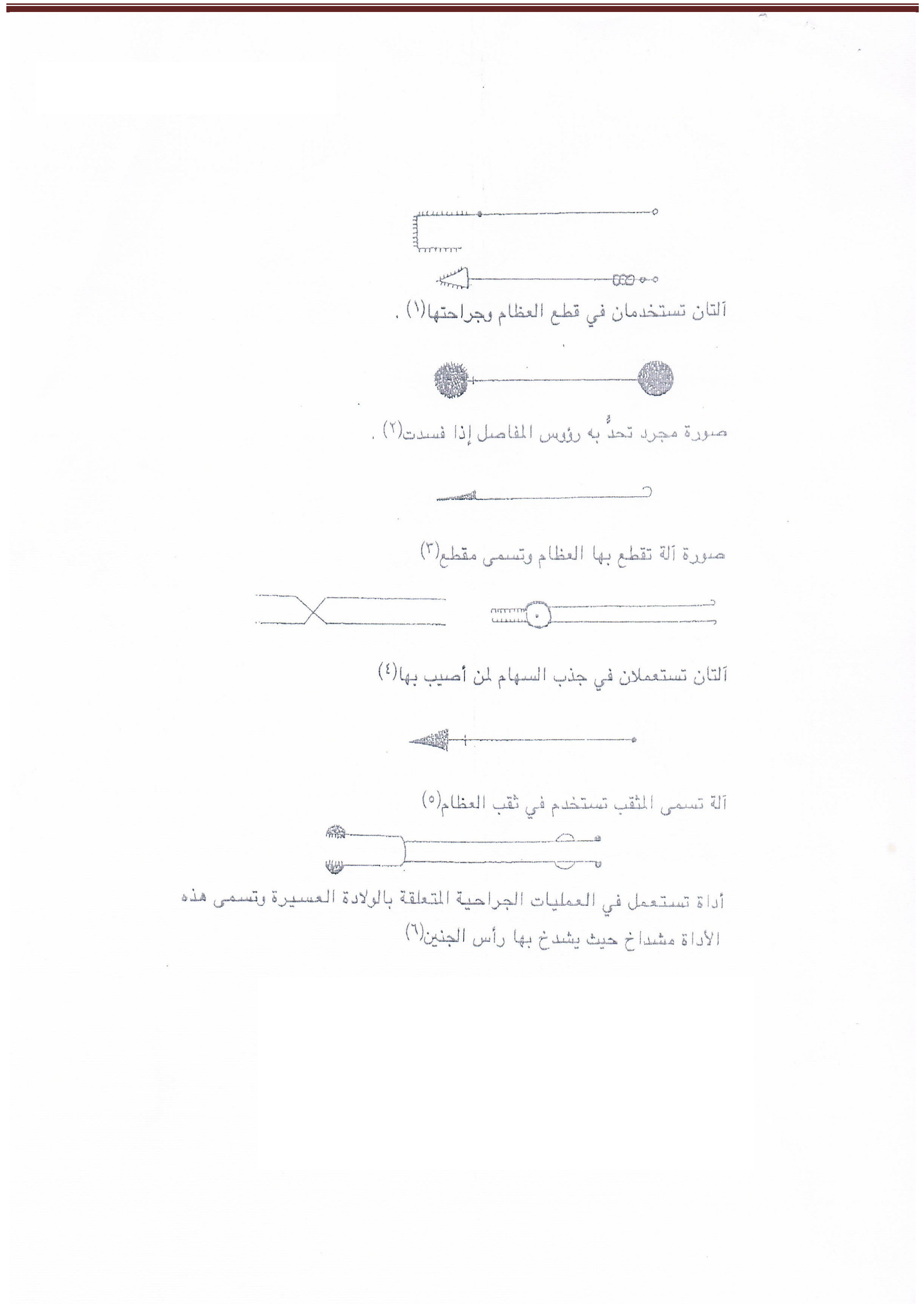
آلة تسمى مخدع وتستعمل في إزالة الأورام وسلخها(٦) .

أداة تسمى مبضع وتستعمل في بَطِّ الأورام(٧) .

نقلا عن الزهراوي: التصريف لمن عجز عن التأليف.



نقلا عن الزهراوي: التصريف لمن عجز عن التأليف.



آلتان تستخدمان في قطع العظام وجراحتها(١) .

صورة مجرد تحدُّ به رؤوس المفاصل إذا فسدت(٢) .

صورة آلة تقطع بها العظام وتسمى مقطع(٣)

آلتان تستعملان في جذب السهام لمن أصيب بها(٤)

آلة تسمى المثقب تستخدم في ثقب العظام(٥)

أداة تستعمل في العمليات الجراحية المتعلقة بالولادة العسيرة وتسمى هذه الأداة مشداخ حيث يشدخ بها رأس الجنين(٦)

نقلا عن الزهراوي: التصريف لمن عجز عن التأليف.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولا: المصادر المطبوعة

القرآن الكريم

1. ابن الأثير، عز الدين بن أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ/1232م)،

- الكامل في التاريخ، تحقيق، الشيخ خليل مأمون شيحا، ط1، دار المعرفة، بيروت، (1422هـ/2002م).
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تخريج الأحاديث أحمد بن شعبان بن أحمد، 6 مجلدات، ط1، دار البيان الحديثة، القاهرة، مصر، (1428هـ/2007م)، ج2.

2. ابن أبي أصيبعة، أبي العباس موفق الدين أحمد بن القاسم (ت 668هـ/1269م).

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق، نزار رضا، ط1، نشر، دار مكتبة الحياة، بيروت، (1384هـ/1965م).

3. ابن الأخوّة، محمد بن أحمد القرشي (ت 729هـ/1329م)،

- معالم القربى في أحكام الحسبة، تحقيق، محمد محمود شعبان وصديق المطيعي، طبعة القاهرة، (1396هـ/1976م).

4. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت 779هـ/1377م).

- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. تحقيق، عبد الهادي التازي، ط1، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، (1417هـ/1997م).

5. ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم ت(728هـ/1328م).

- الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية، (د ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ت).

6. ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الأندلسي (ت 614هـ/1217م)

- رحلة ابن جبير، (د ط)، دار صادر، بيروت، لبنان،(1404هـ/1984م).

7. ابن جُلجُل، سليمان بن حسان الأندلسي (ت بعد سنة 377هـ/987م).

- طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيزكين، ط2، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (1405هـ/1985م)

8. الجاحظ، أبو عمرو بن بحر (ت 255هـ/869م)

- الحيوان، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، 8 أجزاء، ط2، نشر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، ج2، (1385هـ/1965م).

9. الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت 393هـ/1003م)

- الصحاح، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطّار، ط1، دار العلم للملايين، بيروت (1410هـ/1990م).
10. ابن الجوزي، عبد الرحمان بن علي بن محمد (ت 597هـ/1201م)،
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، طبعة دائرة المعارف الإسلامية، حيدر آباد الدكن، (1378هـ/1959م)، ج6.
11. الحَموي، ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ/1229م).
- معجم البلدان، تصحيح وترتيب، محمد أمين الخانجي الكتبي، 10 مجلدات، ط1، نشر، مطبعة السعادة، محافظة مصر، (1323هـ/1906م)، ج2.
12. ابن حجر العسقلاني، أحمد ابن علي (ت 852 هـ/1448م).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، 13 مجلد، نشر، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (1379هـ/1960م)، ج10.
- تهذيب التهذيب، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، (1325هـ/1907م).
13. ابن خلدون، عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين (ت 808هـ/1406م).
- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المسماة بـ" المقدمة"، تحقيق، خليل شحادة، نشر، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان،(1432هـ/2010م).
14. بن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (ت 681هـ/1282م).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، 8أجزاء، دار صادر، بيروت، لبنان، (1392هـ/1972م)، مج1.
15. الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف (ت 387هـ/997م)،
- مفاتيح العلوم، تح: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (1409هـ/1989م).
16. الدّميري، كمال الدين محمد بن موسى (ت 808هـ/1406م).
- حياة الحيوان الكبرى، تهذيب أسعد الفارس، دار طلاس للدراسات والترجمة، سوريا، (1412هـ/1992م).
17. الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله (ت 746هـ/1345م)
- دُول الإسلام، مؤسسة لأعلمي للمطبوعات، بيروت، (1405هـ/1985م).
- سير أعلام النبلاء، ط2، مؤسسة الرسالة، لبنان، (1405هـ/1985م)، ج2.

18. الزبير بن بكار (ت 256هـ/870م).

- الأخبار الموفقيات، تحقيق، سامي مَكّي العاني، ط2، دار النشر،عالم الكتب، بيروت، لبنان، (1416هـ/ 1996م) .

19. طيفور أحمد بن أبي طاهر (ت 280هـ/894م).

- كتاب بغداد، إظهار، هَنْسْ كلَّر، دار الجنان، بيروت، ج6.

20. إسحاق بن حنين (ت 298هـ/911م).

- تاريخ الأطباء والفلاسفة، تحقيق، فؤاد سيّد، ط2، مؤسسة الرسالة، (1405هـ/1985م).

21. الشيزري، عبد الرحمان بن نصر (589هـ/1193م).

- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق، الباز العريني، نشر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (1365هـ/1946م).

22. الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ابن أبي بكر أحمد (ت 548هـ/1154م):

- المِلَلُ والنِّحَلُ ، تحقيق، أمير علي مهنا، وعلي حسن فعود، جزءان ،ط5، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (1416هـ/1992م)، ج2.

23. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ/1363م).

- الوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى،30 جزء، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان، (1420هـ/2000م)،ج21.
- الوافي بالوفيات، تحقيق، محمد بن محمد، ومحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن، نشر، مطبعة الدولة إستانبول، تركيا، (1350هـ/1931م)، ج1.

24. ابن صاعد، أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي (ت 462هـ/1070م).

- طبقات الأمم، ذيّله بالحواشي، الأب لويس شيخو الياسوعي، نشر، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان،(1330هـ/1912م).

25. العطار الهاروني، داوود أبو نصر (ت 636هـ/1239م).

- منهاج الدكان ودستور الأعيان، تحقيق، فارس بن فتحي بن إبراهيم، ط1، دار بن الهيثم للنشر، القاهرة، (1427هـ/2006م).

26. ابن العبري الملطي أبو الفرج بن أهرون (ت 684هـ/1286م).

- تاريخ مختصر الدول، ط3، دار المشرق، بيروت، لبنان، (1412هـ/1992م).

27. محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني (ت 580هـ/1185م).

- الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق، قاسم السامرائي، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر، (1419هـ/1999م).

28. ابن العديم الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت 660هـ/1262م).

- بغية الطلبْ في تاريخ حلب، تحقيق، سهيل زكار، 10 مجلدات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (دت)، ج1
- زُبدةُ الحَلَبْ من تاريخ حَلَبْ، تحقيق، خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، (1417هـ/1996م.

29. بن العميد، المكين جرجِسْ (ت 602هـ/1206م).

- أخبار الأيوبيين، نشر، مكتبة الثقافة الدينية، ش، بور سعيد، الظاهر، مصر، (د ت).

30. الغساني، التركماني (ت 694هـ/1295م).

- المعتمد في الأدوية المفردة، تنقيح وتصحيح، مكتب التوثيق والدراسات، ط1، دار الفكر، (1432هـ/2011م).

31. الفيروز آبادي (ت 817هـ/1414م).

- القاموس المحيط، تحقيق، محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، (1426هـ/2005م).

32. أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت 732هـ/1331م).

- مختصر في أخبار البشر، تحقيق، محمد عزب وآخرون، ط1، دار المعرفة، دون تاريخ، ج1.
- التبر المسبوك في تواريخ الملوك، تحقيق، محمد زينهم محمد عزب، ط1، نشر مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، القاهرة،(1415هـ/1995م).

33. ابن القفطي، جمال الدين (ت 646هـ/1248م).

- تاريخ الحكماء، نشر، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، (1321هـ/1903م).

34. ابن القف، أبي الفرج ابن موفق الدين يعقوب بن اسحاق ت (685هـ/1286م).

- العمدة في الجراحة: ط1، نشر، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، دون تاريخ،ج1.

35. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ/1418م).

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، (1407هـ/1987م)، ج4.

36. ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير القسنطيني (ت 809هـ/1407م).

- كتاب الوفيات، تحقيق، عادل نويهض، ط4، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، (1403هـ/1983م).

37. القمري، أبي منصور الحسن بن نوح البخاري (ت 380هـ/990م).

- التنوير في العلاج والتدبير، تحقيق، أحمد فريد المزيدي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، (1431هـ/2010م).

38. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد ابن أبي بكر (ت751هـ/1350م).

- الطب النبوي، خرج أحاديثه، خالد بن محمد بن عثمان، ط1، دار الإمام مالك، القاهرة، (1425هـ/2004م).
- زاد المعاد، تحقيق، يحي مراد، نشر، مكتبة مصر، ط1، (1425هـ/2005م).

39. الكتبي، محمد ابن شاكر (ت 764هـ/1363م).

- فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق، إحسان عباس، 5 أجزاء، دار صادر، بيروت، لبنان، مجلد2، دون تاريخ.

40. ابن كثير، عماد الدين أبي الفدا إسماعيل القُرشي الدمشقي (794هـ/1392م).

- البداية والنهاية، خرج أحاديثها محمود بن الجميل على كتب الألباني، 8 أجزاء، ط2، دار الإمام مالك ، باب الوادي، الجزائر،(1430هـ/2009م)، ج7.

41. المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ/1414م).

- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، 8 أجزاء، ط1،نشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1418هـ/1997م)، ج1.

المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، 07 أجزاء ، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت)، ج1-2-

- المقفى الكبير، تحقيق، محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، (1411هـ/1991م)، ج7.

42. الماوردي، أبي الحسن علي ابن محمد ابن حبيب البصري (450هـ/1058م).

- الأحكام السلطانية، تحقيق، أحمد جاد، نشر، دار الحديث، القاهرة، (1427هـ/2006م).

43. المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر المعروف بالبشاري،

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة بريل، مدينة ليدن،دار صادر، بيروت، لبنان، (1323هـ/1906م).

44. المنذري، زكي الدين عبد العظيم ،

- مختصر صحيح مسلم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط1، دار بن عفان للنشر، المملكة العربية السعودية، (1411هـ/1991م).

45. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت 711هـ/1312م).

- لسان العرب، دار صادر، بيروت، (438هـ/1046م).

46. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق الطوسي (ت 438هـ/1046م).

- الفهرست، تحقيق، ناهد عباس عثمان، نشر، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، (1405هـ/1985م).

47. النُّعيمي، عبد القادر الدمشقي (ت 978هـ/1571م).

- الدارس في تاريخ المدارس، ط1، أعدّا الفهرسة، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، (1410هـ/1990م).

48. نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي (ت 537هـ/1143م).

- القِند في ذكر علماء سمرقند، تحقيق، نظر محمد الفاريابي، ط1، مكتبة الكوثر، السعودية، (1412هـ/1991م).

49. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك المعفري (ت 213هـ/829م).

- السيرة النبوية، تحقيق، لجنة بمؤسسة الهدى، دار التقوى للنشر، شبرا الخيمة، (1425هـ/2004م).

50. ابن الوردي، زين الدين عمر(ت 749هـ/1348م).

- تاريخ ابن الوردي، النجف، مطبعة الحيدرية، مخطوط بدون تحقيق، (د ت)، ج2.

51. اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (ت 726هـ/1326م).

- ذيل مرآة الزمان، ط1، نشر، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، (1374هـ/1955م)، ج2.

52. اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي (ت 768هـ/1367م).

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط2، نشر، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (1413هـ/1993م)، ج2.

ثانيا: المراجع باللغة العربية:

53. أبو النصر، محمد عبد العظيم،

- الأوقاف في بغداد، العصر العباسي الثاني، ط1، نشر، مؤسسة عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، شارع المربوطية الهرم، مصر، (1422هـ/2002م).

54. أحمد عيسى بك (1365هـ/1946م).

- تاريخ البيمارستانات في الإسلام، نشر، مؤسسة كلمات عربية، مدينة نصر، القاهرة، (1432هـ/2011م).
- "معجم الأطباء، " ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة"، ط1، مطبعة فتح الله إلياس نوري وأولاده، مصر، (1361هـ/1942م).

55. أحمد أمين،

- ضحى الإسلام، ثلاثة أجزاء، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، (1417هـ/1997م)، ج1.

56. أحمد عزب، محمد سعد السيّد،

- الحياة الفكرية في إقليم خوارزم في العصرين السلجوقي، والخوارزمي، ط1، نشر شركة نوابغ الفكر، القاهرة، مصر، (1430هـ/2009م).

57. أحمد عبد الرزاق أحمد،

- الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط2، نشر، دار الفكر العربي، مدينة نصر، القاهرة، (1417هـ/1997م).

58. جرجي زيدان،

- تاريخ التمدن الإسلامي، خمسة أجزاء، ط2، نشر، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د ت)، ج1

59. الحسني، السيد عبد الرزاق وآخرون،

- بغداد، ترجمة، إبراهيم خورشيد وآخرون، ط1، كتب دائرة المعارف الإسلامية ، دار الكتاب اللبناني، مكتبه المدرسة، 1984م/1994م).

60. الخربوطلي علي حسني،

- الحضارة العربية الإسلامية،ط2، نشر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (1415هـ/1994م).

61. خوام، محمد نزار وآخرون،

- تاريخ العلاج والدواء في العصور القديمة، العصر الإسلامي، عصر النهضة في أوروبا، دار المريخ للنشر، الرياض، (1410هـ/1990م).

62. الدفاع، علي عبد الله،

- إسهام علماء العرب والمسلمين في الكيمياء، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت،(1409هـ/1988م).

63. السباعي مصطفى،

-من روائع حضارتنا، ط1، دار الوراق للنشر، الرياض، السعودية، (1420هـ/1999م).

64. السرجاني راغب،

- قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر، القاهرة، (1430هـ/2009م).

65. سوادي، عَبَد محمد:

- الأحوال الاجتماعية والإقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، الأعظمية، بغداد، (1409هـ/1989م).

66. الشطي، شوكت،

- تاريخ الطب وآدابه وأعلامه، مطبعة طربين، (1386هـ/1967م).

67. الطباخ، محمد راغب الحلبي:
- إعلام النبلاء بتاريخ حَلَبْ الشهباء، تصحيح وتعليق، محمد كمال،07 أجزاء، ط2، نشر، دار القلم العربي، حلب، سوريا، (1480هـ/ 1988م)، ج2.

68. عكاوي، رحاب خضر،
- موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافية والتاريخ والفلسفة، جزءان، ط1، نشر، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، (1413هـ/1993م)، ج2.

69. العقاد، عباس محمود:
- أثر العرب في الحضارة الأوروبية، نشر، دار النهضة مصر، (1422هـ/2002م).

70. عبد القادر، ماهر،
- حنين ابن إسحاق العصر الذهبي للترجمة، دار النهضة العربية، بيروت، (1407هـ/1988م).
- مقدمة في تاريخ الطب العربي، ط1، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (1408هـ/1988م).

71. عَوض،محمد مؤنس،
- من إسهامات الطب العربي الإسلامي في العصور الوسطى، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (1417هـ/1977م).

72. عرابي، سمير،
- علوم الطب والجراحة والأدوية عند علماء العرب والمسلمين، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، (1420هـ/1999م).

73. الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف:
- الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (1420هـ/1999م).

74. قبَّاني محمد،
- الدولة العباسية من الميلاد إلى السقوط ، ط1، دار وَحي القلم، بيروت، لبنان،(1427هـ/ 2006).

75. مرحبا، محمد عبد الرحمان،
- المرجع في تاريخ العلوم عند العرب، ط1، ، دار الجيل، بيروت، (1419هـ/1998م).

76. منصور، أحمد صبحي،
- الحسبة دراسة أصولية تاريخية، ط1، نشر، مركز المحروسة، المركز العربي المصري، (1415هـ/1995م)

77. محمد حسين، مؤنس،

- " ابن بطوطة ورحلاته، تحقيق ودراسة وتحليل"، نشر، دار المعارف، القاهرة، (1400هـ/1980م).

78. المازني، إسلام صُبحي،

- روائع تاريخ الطب والأطباء المسلمين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، (1427هـ/2006م).

79. مرزوق بثينة:

- الطب الوقائي العربي الإسلامي، نشر الإسكندرية للكتاب، مصر، (1425هـ/2005م).

80. محبوبة، عبد الهادي محمد رضا،

-" نظام الملك الطوسي كبير الوزراء في الأمة الإسلامية"، ط1، نشر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، (1419هـ/1999م).

81. محمد كامل حسين،

- الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، (د ط)، طبع ونشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ليبيا، (د ت).

82. ياسين خليل،

- الطب والصيدلة عند العرب، نشر، مطبعة جامعة بغداد، (1399هـ/1979م).

ثالثا: المراجع المعرّبة:

83. بروكلمان. كارل:

- تاريخ الأدب العربي،06 أجزاء، ترجمة، عبد الحليم نجار، ط5، نشر، دار المعارف،القاهرة، (د ت)، ج4.

84. ريسلر. جاك،

- الحضارة العربية، تعريب: خليل أحمد خليل، ط1، نشر، عويدات، بيروت، باريس، (1413هـ/1993م).

85. سيزكين فؤاد،

- تاريخ التراث العربي، ترجمة، محمود فهمي حجازي، نشر، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، (1411هـ/1991م).

86. فييه. جان موريس،

- أحوال النصارى في خلافة بني العباس، ترجمة، حُسني زينه، ط1، دار المشرق، بيروت، لبنان، (1410هـ/ 1990م).

87. ميتز آدم:

- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،جزآن، تر، محمد عبد الهادي أبو رَيدة، ط5، نشر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د ت)، ج2.

88. مايرهوف ماكس،

- العلوم والطب ضمن مجلد تراث الإسلام، تأليف، جمهرة من المستشرقين بإشراف، سير توماس أرنولد، ترجمة وتعليق، جرجيس فتح الله، ط3، دار الطليعة، بيروت، (1398هـ/1978م).

89. هونكة زيغريد:

- شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة، فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة، مازون عيسى الخوري، ط8، دار الجيل، بيروت، لبنان، (1413هـ/1993م).

رابعـا: الأبحاث والدراسات:

90. المزيني، إبراهيم بن محمد،

- المدارس المتخصصة في الحضارة الإسلامية، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثالث عشر ذو القعدة، (1415هـ/1995م).

91. ماهر عبد القادر محمد وآخرون:

- البيمارستانات ومجالس التعليم الطبي في العالم الإسلامي، بحث مقدم في أعمال مؤتمر الطب والصيدلة عند العرب، (1-2) أبريل، (1419هـ/1998م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

92. مرسي عرب:

- المستشفيات(البيمارستانات العربية الإسلامية،) بحث مقدم في أعمال مؤتمر الطبوالصيدلة عندالعرب، دار المعرفة الجامعية، (1-2) أبريل، (1419هـ/1998م).

93. سَعدي شخوم،

- التداوي بالحمامات السخنة المعدنية، بحث مقدم في أعمال الملتقى المغاربي الثالث للمخطوطات العلمية، ط1، منشورات، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر، (1428هـ/2007م).

94. أحمد أبو زيد،

- أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية، دراسة أعدت بإشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو)، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (1390هـ/1970م).

95. يحي، لطفي عبد الوهاب،

- دراسات في العصر الهلنستي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (1397هـ/1977م).

خامسا: الرسائل الجامعية:

96. البشري، سعد عبد الله صالح،

- الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، (1417هـ/1997م).

97. سعدي شخوم،

- الطب والأطباء بالأندلس من منتصف القرن الثالث إلى القرن التاسع الهجريين، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف، محمد الأمين بلغيث، قسم التاريخ، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، (1430هـ/2009م).

98. القبلان، غادة بنت عبد الله بن عبد الرحمان،

- البيمارستانات أوضاعها وآثارها في العصر المملوكي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الحضارة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الإجتماعية، (1427هـ/2006م).

99. الزهراني، علي بن محمد بن سعيد،

- الحياة العلمية في صقليّة الإسلامية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، (1417هـ/1996م).

الفهـــارس

- فهرس الأعلام
- فهرس لأهم الامراض
- فهرس لبعض الأدوية وأنواع العلاج
- فهرس الأماكن والبلدان

فهــرس الأعـــلام

– أ–

– ب–

– ت–

– ث–

-ج-

-ح-

– خ–

– د–

– ذ–

– ر–

– ق–

– ك–

– ل–

– م–

– ن–

– هـ–

– و–

– ي–

فهرس لأهم الأمراض

– أ–

– ب–

– ت–

– ج–

– ح–

فهرس بعض الأدوية وأنواع العلاج

– ك–

– ل–

– م–

– ن–

فهرس الأماكن والبلدان

– أ–

– ب–

- د-

- ر-

- ز-

- س-

فهرس الموضوعات

الفصل الثاني: نشأة البيمارستانات الإسلامية ونظم علماء وعوامل إزدهارها

الفصل الثالث: بيمارستانات البلاد الإسلامية